الجمهـــورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبيـــة

وزارة التّعليم العالـــي والبحـــث العلمـــي

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانـــم –

كلّية الأدب العربي والفنـــون

قسم اللّغة والأدب العربـــي

الشعبـــة : دراسات لغويـــة التخصص : دراســـات بلاغية معاصرة

أطروحة مقدمـــة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة والأدب العربـــي

موسومـــة بـــــــ:

المصطلـــح البلاغـــي في الدراســـات المغـــاربية المعاصـــرة

(دراســـة في إشكاليتي التّلـــقي والتّوظيـــف)

إعداد الطالـــب :

بلحـــاج منتصـــر

إشراف الأستاذ الدكتور:

نورالدين دحمـــانـــي

لجـــنة المنـــاقشة

الإسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة	الجامعة الأصلية
مليكـــة فريـــحـــي	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جـــامعة مـــستغانـــم
نورالدين دحـــماني	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقرّرا	جـــامعة مـــستغانـــم
طانيـــة حطـــاب	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جـــامعة مـــستغانـــم
حســـين بن عائشـــة	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جـــامعة مـــستغانـــم
سعـــيد خلـــيفـــي	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جـــامعة غـــليـــزان
الحـــاج جـــغـــدم	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جـــامعة شـــلـــف

السنة الجامعية :1441هـ-1442هـ/2020م-2021م

"معرفة المصطلح هي اللازم المحتّم. والمهمّ المقدّم. لعموم الحاجة إليه. واقتصار القاصر عليه."

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء:للقلقشندي (تـــ 821هـــ)

الإهـــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل من :

إلى روحـــي الجدّ والجدّة التي تربيت في حجـــرها

إلى الوالدين الكريمين أطال الله عمرهما وإلى الإخوة والأخوات

إلى رفيقة الدرب أم أولادي التي وفرت لي جوّ البحث والمطالعة لإتمام هذه الرسالة

إلى أبنائي محمد أنيس وبشرى وأيوب وإسراء

إلى أصدقائي الذين رافقوني في مشواري العلمي : محمد بن عمارة ، ومنور عمار، وغليد عبدالقادر

إلى جميع الأصدقاء كل باسمه وجميل وسمه

كما أهدي هذا العمل إلى جميع أساتذة قسم الأدب العربي، وعلى رأسهم أستاذي المحترم الدكتور نورالدين دحماني وإلى كل من وقف بجانبي .

منتصر بلحاج

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد ..

أرى رحلتي الجامعية قد أتت أكلها اليوم بالفعل، من بعد تعب ومشقة لوقت طويل. وها أنا اليوم أختم بحث تخرجي بكل ما لدي من همة ونشاط.

فإني أشكر الله تعالى على فضله حيث أتاح لي إنجاز هذا العمل ، فله الحمد أولاً وآخراً.

ثم أشكر أولئك الأخيار الذين مدوا لي يد المساعدة، خلال هذه الفترة، وفي مقدمتهم أستاذي المشرف على الرسالة فضيلة الأستاذ الدكتور/ **نورالدين دحماني** الذي لم يدَّخر جهداً في مساعدتي، فقد فتح لي بيته، كما هي عادته مع كل طلبة العلم، وكنت أجلس معه الساعات الطوال أقرأ عليه ولا يجد في ذلك حرجاً، وكان يحثّني على البحث، ويرغِّبني فيه، ويقوّي عزيمتي عليه، فله من الله الأجر ومني كل تقدير ،حفظه الله ومتّعه بالصحة والعافية ونفع بعلومه.

كما أتوجه بالشكر للجنة المناقشة على مابذلوه من وقت في مراجعة البحث ، وتوجيهي بالملاحظات والتصويبات القيمة ، مع تحملهم مشقة السفر من أجل مناقشة الرسالة.

جزى الله الجميع خير الجزاء ، ووفقني وإياكم لما فيه صلاح الدارين.

منتصر بلحاج

مقدّمـــــــــة

لقد أولى القدماء اهتماما بالغا بالدراسة المصطلحية،كونهم أدركوا أن وظيفة المصطلح البلاغي هي الأساس الذي يرتكز عليه علم البلاغة، وبه تتحدد معالمها وتتبين أهدافها، وعلى أساسه تكتسب شرعيتها،ولكن مع تطور العلوم والمعارف أصبح تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه من أبرز الإشكالات التي فرضت نفسها في البحث البلاغي العربي عامة، والمغاربي خاصة. حيث عرفت البلاغة العربية محطتين لبروز إشكاليتي التلقي والتوظيف للمصطلح البلاغي، فكانت أولى المحطات هي مرحلة نشأة البلاغة العربية إلى بدايات التواصل والتقاطع مع البلاغة الغربية،أمّا المحطة الثانية فتتجلى بوضوح في الدراسات المعاصرة خاصة في القرن العشرين، حيث صارت القضايا البلاغية عامة.

كان تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه من منظور غربي أكثر منه عربي، غير أن الباحث في التراث العربي يجد أنه حافل بالمؤلفات العظام التي تستوجب الوقوف عندها، والتلقي منها قصد الكشف عن تلك الإسهامات الأدبية والخطابية والشعرية التي تركها أصحابها وأبدعوا فيها بتوظيف بعض المصطلحات البلاغية، التي حققوا بها أبعادا حجاجية وإقناعية، خرجوا فيها عن المألوف من القول، وتميّزا بها فنا وإبداعا في قصائدهم وخطبهم مما أبرز القيمة الوظيفية المصطلحية لعلم البلاغة العربية، فتجاوزوا المألوف في الخطاب أحيانا لإحداث لفت الانتباه لدى المتلقي ،وأحيانا أخرى لبيان طرائق بناء المصطلح البلاغي في التراث العربي، وجعل متلقي الخطاب يبحث عن كيفية إخراج مدلولات المصطلحات البلاغية من معنى مباشر إلى معنى آخر غير مباشر في صور فنية، متجاوزين بذلك إشكالية توظيف المصطلح البلاغي القائم على الرمزية اللغوية والمفهوم والربط بينها وبين تلقيه وفق المواضعة الاصطلاحية لأهل الاختصاص قصد النظر في مقامات التوظيف والاستعمال. ولاستغراق ذلك المصطلح جميع دلالات المفهوم المراد، ومانعا في نفس الوقت للالتباس المفاهيمي في فن آخر الذي يستخدم المصطلح نفسه.

وعلى الرغم ممّا حققته الدراسات البلاغية المعاصرة في مجال البحث البلاغي عامة والمصطلحي خاصة، قصد تقليص فجوة معالجة إشكاليتي تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه في الدراسات البلاغية

المعاصرة ،يبقى اشكال الوعي بضرورة مراعاة فلسفة وضع المصطلحات البلاغية رهين الوقوف على تبسيط نماذج البلاغة العربية في توظيف المصطلحات انطلاقا من البلاغة الفطرية مرورا بالبلاغة التعليمية وصولا إلى البلاغة المعاصرة في بعدها التخييلي والحجاجي كل ذلك قصد تصحيح الرؤية، كما دعت إلى ذلك اللسانيات العربية قديما وحديثا والبلاغة الجديدة.

وعلى ضوء ما تقدم جاء هذا البحث موسوما بـــــ:

المصطلح البلاغي في الدراسات المغاربية المعاصرة

دراسة في إشكاليتي التّلقـــي والتوظيف

كمحاولة منّا للكشف عن المصطلح البلاغي بأبعاده الحجاجية والتواصلية والجمالية تلقيا وتوظيفا.

- **أهميـــة الموضوع**

وبالنظر إلى ما سبق بيانه، يكتسي الموضوع أهمية كبيرة في الدراسات البلاغية المعاصرة، وذلك بالنظر للعلاقة بين البلاغة العربية والعلوم الانسانية، فهي علاقة جد وطيدة حيث شكل البحث البلاغي انطلاقا من تراث القدامى خاصة، مدخلا هاما لمد أساسيات ومقومات البيان العربي وما يحتويه من خصائص ومميزات، جعلت إعادة قراءة درسنا البلاغي في رحاب الدراسات المعاصرة كاشفا عن صلاحية هذا التراث لقراءات وتصورات متعددة، انطلاقا من الوقوف على حقيقة إشكاليتي تلقي مصطلحات علم البلاغة وتوظيفها توظيفا يتيوائم والعلوم المعاصرة، التي تعاملت مع النصوص في تحليلاتها وفق ما تقتضيه البلاغة الجديدة بلاغة "الحجاج".

- **إشكالية البحث:**

إن طبيعة أي بحث لا تنطلق من فراغ، وإنما هي هواجس تسكن جوانح صاحب البحث ، فتمكنه من صياغة إشكالية لموضوعه، كي ترتسم له معالم الدراسة ويحن إلى نتائجها وتحقيق أهدافها، فكانت تساؤلات هذه الدراسة على النحو الآتي :

- كيف تعاملت الدراسات المغاربية المعاصرة مع المصطلح البلاغي تلقيا وتوظيفا؟ وما آلياتهم توليد المصطلح البلاغي، وموقفهم من دعوات التجديد؟ وما اشكالاتهم في ذلك؟

- هل استطاعت محاولات التجديد في تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه، أن تتجاوز تقسيم السكاكي الذي رسمه في القرن السابع الهجري؟ أم مازلنا نقرأ المصطلح البلاغي وفق منظوره؟ وبعد هذا كله ، هل تم تحديد إشكاليتي تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه ،أم هو إشكال يبقى يساير البحث البلاغي ليمدّه ديمومة الدراسة واهتمام النقاد؟

وقد كانت هناك عدة أسباب ذاتية وموضوعية دفعتني إلى البحث في المصـــطلح البلاغـــي تلقيـــا وتوظيفا ومدى توجيهها في الدراسات البلاغية المغاربية المعاصرة أوجزها فيما يلي :

- **الأسباب الذاتيـــة:**

تمثلت في:

-خدمة البحث البلاغي لاسيما أنها متعلقة بتراثنا اللغوي العربي.

- بيان أصالة البحث البلاغي في التراث العربي القديم.

- الكشف عن مكامن المصطلح البلاغي في الدراسات القديمة.

- الميل إلى البحث البلاغي على اعتبار أنه من أهم علوم اللغة

- استكمال المسار الدراسي في تخصص البلاغية العربية

- **الأسباب الموضوعيـــة:**

تمثلت في :

- الاشتغال على قضايا المصطلح البلاغي،كون ذلك أن المصطلحات هي مفاتيح كل علم ،و قد طرقت هذا الموضوع فوجدته موضوعا ذو أبعاد كبيرة يحتاج إلى نفس عميق و عزيمة قوي .

- ندرة الدراسات البلاغية التي تناولت قضايا المصطلح

- تعزيز الأهداف البحثية البلاغية في مجال المصطلح البلاغي

- الوقوف على أهم القضايا التي وجّهت البحث البلاغي المغاربي في قرائته المعاصرة واستكتشاف بنية وضع المصطلحات البلاغية وفق ما أثرت فيها بعض الحقول المعرفية. لتحديد ماهيته.

- الوقوف على جهود القدامى في فلسفة وضع المصطلح البلاغي في بداياته الأولى والتطور الذي شهده في مرحلة الازدهار في القرن الرابع هجري ، إلى غاية وصوله إلى مرحلة التقسيم الثلاثي على يد السكاكي في القرن السابع هجري.بغية إظهار هذه الجهود حتى لا تبقى غائبة عن أذهان الباحثين المعاصرين.

وتقتضي الأمانة العلمية منّا إلى نبين أن هناك دراسات سابقة لامست بعض جوانب الموضوع وأهدافه ينبغي الإشارة إليها كالآتي:

- ✓ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها لأحمد مطلوب
- ✓ البلاغة بين التخييل والتدول لمحمد العمري
- ✓ البلاغة و الأصول لمحمد مشبال
- ✓ اللغة والبلاغة والميلاد الجديد ناصف مصطفى

ولتحقيق الغاية المرجوة من البحث وتدعيما لجهود المعاصرين، اطلعنا على جملة من المصادر والمراجع كان لها قصب السبق في طرح هذا الموضوع، اعتمدنا على جملة منها نوجزها فيما يلي :

- ✓ البيان والتبيين للجاحظ
- ✓ دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني
- ✓ الصناعتين للعسكري
- ✓ البلاغة والأسلوبية لمحمد عبد المطلب
- ✓ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب لجابر عصفور
- ✓ أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة لمحمد العمري
- ✓ المحاضرة و المناضرة في تأسيس البلاغة العامةمحمد العمري
- ✓ بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية (الخطابة في القرن الأول نموذجا لمحمد العمري)
- ✓ مرتاض عبد الملك نظرية البلاغة
- ✓ البلاغة العربية أصولها وامتداداتها للعمري
- ✓ فريق البحث في البلاغة والحجاج: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم بإشراف حمادي صمود
- ✓ الأسلوبية والأسلوب عبد السلام المسدي
- ✓ البلاغة و الخطاب لمحمد مشبال

وفي محاولة لاثراء ومعالجة هذه القضايا المتصلة بالإشكالية التي ينبنى عليها موضوعنا ،ارتأينـــا أن نقسم بحثنا هذا إلى أربعة فصول تتصدرهم مقدمة ومدخل:

- **مقدمة**: بينا فيها الأطر العامة لبحثنا، فتناولنا فيها أهم الجوانب البلاغية التي وجهت نشأة المصطلح البلاغي وتطوره، وقراءة هذه التوجهات في ضوء الدراسات البلاغية المغاربية المعاصـــرة. مع ذكر أهم المصادر والمراجع التي رسمت لنا معالم البحث وذللت لنا الصعوبات

- **مدخل**: مهدنا فيه لموضوع الدراسة،فتعرضنا فيه بالذكر بتعريفات المصـــطلح وأهميتـــه في ضبط المفاهيم، وبيان تعامل النقاد المعاصرين مع المصطلح البلاغي في توظيفه وتجاذباته مع العلـــوم الانسانية المعاصرة، وفق ما حققته الدراسات المغاربية باستحداث مصطلحات لافتة مـــن حيـــث التوظيف والمفهوم.

- **الفصل الأول**: عنوناه بـــ: المصطلح البلاغي بين التأصيل والتجديد، حاولنا أن نعالج فيه أهم جهود القدامى في وضع مصطلحات علوم البلاغة الثلاث والمراحل التي مر بها البحث البلاغي عند القدامى إلى غاية التأسيس.وقد ارتأينا تقسيم هذا الفصل إلى المباحث التالية:

المبحث الأول: "المصطلح البلاغي في التراث العربي"عني بالالمام بـــأهم خصوصـــيات المصـــطلح البلاغي، التي أثرت على نشأته ضمن بيئات لغوية وفلسفية ظهرت تزامنا ونزول الوحي

أما المبحث الثاني"خصصناه للحديث عن جهود القدامى في وضع مصطلحات علـــوم البلاغـــة الثلاث–المعاني البيان البديع– وارتباط بعض منها بأصحابها كنظرية النظم للجرجاني وألوان البديع لابن المعتز وتوظيف مصطلحات علم البيان على أساس علمي عند الزمخشـــري، ثم عرجنـــا إلى مبحث ثالث" تناولنا فيه جهود المحدثين في بعث تجديد البحث البلاغي ومدى اسهاماتهم في إعادة قراءة التراث من منظور الحداثة، وبيان صلاحية التراث للتوظيف البلاغي المعاصر.

- **الفصل الثاني**:الموسوم بـــ"المصطلح البلاغي في الدراسات العربية والمغاربيـــة المعاصـــرة" وقد قسمناه إلى مباحث فرعية منها:

المبحث الأول" تعرضنا فيه لواقع الدراسات العربية المعاصرة في مجال البحث البلاغي وانفتاحها على العلوم المجاورة، مما مكن للمصطلح البلاغي أن يعود بقوة للحياة البلاغية المعاصرة وفق آليتي التوسع والتأويل لتجاوز إشكاليتي التلقي والتوظيف، أما المبحث الثاني:ركزنا فيه عن أهم مظاهر التجديد في المصطلح البلاغي في الدراسات المغاربية المعاصرة وذلك من خلال عودتها للسانيات الحديثة بغية تحقيق الوظيفة الحجاجية للصورة البلاغية ،أما المبحث الثالث تعرضنا في هذا الأخير بالمصطلح البلاغي ومظاهر التلقي في الدراسات المغاربية المعاصرة.في ضوء قراءات بعض الدارسين المغاربيين المعاصرين من أمثال صمود ومحمد العمري ...

- **الفصل الثالث**المعنون بـ"المصطلح البلاغي في الدراسات المغاربية بين السياق المعرفي والتوظيف البلاغي المعاصر" وقد قسمته إلى ثلاث مباحث:

المبحث الأول:تطرقت فيه لقضايا "المصطلح البلاغي ومظاهر التوظيف في الدراسات المغاربية المعاصرة" ومدى الانفتاح الذي حققته البحوث البلاغية المغاربية المعاصرة في ضبط مفهوم المصطلحات البلاغية لأجل مسايرتها وظيفيا لروح المعاصرة، أما المبحث الثاني فعنونته بـ: "المصطلح البلاغي في ضوء الدراسات الأسلوبية تلقيا وتوظيفا"فارتأيت أن أركز على المصطلح البلاغي في ضوء الدراسات الأسلوبية تلقيا وتوظيفا ومدى العلاقة التي تربط بين العلمين لتحقيق التواصل البلاغي المنشود ضمن توظيف مصطلحات بلاغية وفق أسلوب خطابي يستجيب للمزاوجة بين البحث البلاغي في بعده الحجاجي والتحليل الأسلوبي المعاصر، وفي المبحث الثالث المعنون بـ: "المصطلح البلاغي والبعد التداولي المعاصر" آثرت في هذا المبحث أن أطلق من جذور التداولية في التراث العربي وأصل اشتقاقها عند الغربيين ، وذلك من أجل محاولة تضييق فجوة البعد الوظيفي للمصطلح البلاغي في التراث وتوظيفه وفق البعد التداولي المعاصر وبيان المنحى الذي نهجته الدراسات البلاغية المغاربية المعاصرة لتحقيق عملية الحجاج

- **الفصل الرابع** عنوته بـ: "المصطلح البلاغي بين مراعاة التلقي ووعي التوظيف في الدراسات المغاربية المعاصرة" وتناول هذا الأخير ثلاث مباحث:

المبحث الاول"إشكالية الدراسات البلاغية المغاربية في مجال المصطلح تلقيا وتوظيفـــا" أردت مـــن خلالها تحديد مفهوم مصطلح التلقي وأهميتة في فاعلية التوظيف السليم لإحداث الإقناع والتأثير في المتلقي ، وذلك راجع لاعتبار لحظة الوعي بنشأة المصطلح ، حيث يرى مشبال، أن إشكالية التلقي والتوظيف هو إشكال قراءة التراث اللاواعية.أما المبحث الثاني والمعنون بـــ:"الاستمداد الحجاجي للمصطلح البلاغي*رؤية مغاربية* حاولت فيه تسليط الضوء على الدراسات المغاربية وأهم آليات تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه من منظور حجاجي الذي يرى العمري أنه مستلهم من التـــراث العربي والبلاغة الغربية القديمة.

وفي المبحث الثالث المعنون بـــ"المصطلح البلاغي رؤية معاصرة-توجيهات حمادي صمود ومحمـــد العمري- حاولت فيه الوقوف على تطبيقات بعض الدارسين المغاربيين حمادي صـــمود ومحمـــد العمري في سعيهما لقراءة التراث من منظور المعاصرة الذي يتجلـــى فيهـــا المكـــون الحجـــاجي للمصطلح البلاغي وبيان الفرق بين البلاغة العامة والبلاغة الخاصة ، وعـــدول مفـــاهيم بعـــض المصطلحات البلاغية إلى المعنى اللغوي العام الذي سايرها ردحا من الزمن ، مما أحدث اشـــكالا قائما في تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه.

- **الخاتمة**: وفـــي الأخير خلصنا إلى خاتمة عرضنا فيها أهم النتائج والأحكام المتمخضة عـــن هذا البحث. وبعدها أضفت ملاحق لهذا البحث رصدت فيها الآيات القرآنية والأبيات الشـــعرية الورادة في متن الأطروحة .

- **قائمة المصادر والمراجع**:رتبت فيها مصادر البحث ومراجعه التي رجعت إليها في بحثي .

- **فهرس الموضوعات**: فهرست فيه موضوعات البحث وفصوله ومطالبـــه، مـــع ضـــبط صفحات تواجدها في البحث.

وقد اقتضت مني هذه الدراسة وطبيعة الموضوع والتحليل،الاعتماد على المنهج الاستقرائي الذي ساعدني في جمع المادة العلمية المتعلقة بقضايا تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه منذ بـــدايات

النشأة الأولى، إلى غاية استقلالية البلاغة العربية كعلم له مصطلحاته الخاصة، كما وظفت المنـــهج التحليلي والوصفي في تتبع تطور المصطلح البلاغي والوقوف على آليات التلقـــي والتوظيـــف في الدراسات المغاربية المعاصرة من منظور القراءة النقدية لبعض أعلام البلاغة العربية .

وقد كانت أهداف البحث تنطلق من رؤية ورغبة علمية وهاجس يدفعني لبلوغ المراد على الإجابة عن هذه التساؤلات، لأن الجهل بألقاب فن قد يعد من جملة الجاهلين به إجمالا، فواجهت بذلك بعض الصعوبات تمثلت في ندرة الدراسات البلاغية المباشرة لتلقي المصطلح وتوظيفه، وأن ما وصلت إليه الدراسات البلاغية المغاربية المعاصرة لا يزال بحثا يكتنفه جانب الغموض نوعا ما، لاعتبارت منها محاولات التجديد التي تساير البلاغة العربية وتشق طريقها في ضوء الدراسات اللسانية التي فرضت نفسها في الوقت الحالي، ورغم كل هذه الصعوبات والعوائق، إلاّ أنني حظيت بأستاذ فاضل **الدكتور نور الدين دحماني** إذ تولى عملية الإشراف على هذه الرسالة، وذلك لما له من باع كبير في البلاغة العربية، حيث ساعدني على تخطي هذه الصعاب، ووقف بجانبي نصحا وتوجيها وإرشادا حتى أتممت هذه الرسالة، فله مني جزيل الشكر والعرفان على ما بذله من جهد لإخراج هذه الأطروحة إلى الوجود، كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل للجنة التكوين والمناقشة التي ستنير جوانب هذا البحث بملاحظاتهم وتصويباتهم القيمة.

منتصـــر بلحاج: مستغانم 2021/03/13.

مدخل

تمهيد:

تعدّ المصطلحات ضرورة علمية في مختلف المعارف الإنسانية، فلا يمكن بحالٍ من الأحوال أن تتقدمَ أمة أو تزدهر حضارتها دون العناية التامة بأمر المصطلحات، فالمصطلح العلمي هو الإطار العام الذي يعكس حضارة الأمم وعقلانيتها النقدية في مختلف المعارف التي أبدعتها، لتصلَ في النهاية إلى تحقيق غاياتها المثلى في النظر والعمل معًا لبناء صرحها الحضاري والمعرفي والعلمي الشامخ...، فكلما أحسنت الأمة الدقة والرؤية والعمق في تعريفاتها وتحديداتها، بدت أكثر تألقًا ونضارة على غيرها من الأمم المعاصرة لها.

وتأتي هذه الأطروحة الموسومةبـــ: **المصطلح البلاغي في الدراسات المغاربية المعاصرة(دراسة في إشكاليتي التلقي والتوظيف)** كإسهام منا لطرح جملة من التساؤلات النظرية والإجرائية التي أطرت المصطلح البلاغي العربي المعاصر من حيث التلقي المرتبط بالترجمة عن ما أبدعه النقاد الغرب من مصطلحات بلاغية أثارت جدلاً من حيث مرجعياتها النظرية وأصولها الفلسفية بين مختلف الباحثين العرب، كما سيحاول هذا العمل التطرق بكثير من العمق لإشكالية توظيف هذه المصطلحات الوافدة، مع العمل على رصد كيفية تعامل نقادنا معها من حيث التوليد والاستعمال والتوظيف و من حيث جدليتها مع التراث البلاغي العربي القديم.

هذا وقد وضعنا دراستنا في إطاراً حددناه في المشاريع البلاغية المغاربية التي تعّد تجربة رائدة ومميزةً في تجديد الدرس البلاغي، وخاصة من ناحية المصطلحات التي خضعت إلى نوع التجديد والإبداع لم نلمسه في الدراسات المشرقية المعاصرة التي بقيت وفيّة للمدرسة البلاغية التراثية القديمة، وهذا ما سنحاول رصده بعمق في فصول بحثنا.

1. تعريف المصطلح.

أ. لغةً:

جاء في لسان العرب عن مادة (صلح): صَلَحَ، يَصلَحُ، صَلاحاً وصُلوحاً، وهو صالح وصليح، والجمع صلحاء، وصلوحٌ، وصَلُحَ كصلَحَ، ورجل صالحٌ في نفسه من قوم صلحاء، (والإصلاح) نقض الإفساد، والمصلحة الصلاح، والمصلحة واحدة المصالح، والاستصلاح نقيض الإستفساد، وأصلحوالشيء بعد فساده: أقامه، وأصلح الدابة: أحسن إليها فصلحت، والصلح: تصالح القوم فيمها بينهم، والصلح: السلم، وقوم صُلوح: متصالحون، وأصصلح ما بينهم وصالحهم مصالحةً وصِلاحاً[1].

وجاء في معجم العين (الصلاح) ضد الفساد[2]، وجاء في القاموس المحيط: (أصلحه): ضد أفسده، وإليه أحسن، (والصلحُ) بالضم السلم[3]، ويذهب أحمد بن فارس في مقاييس اللغة: (صلح): الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد، وقال بعض أهل العلم: إنّ مكة تسمى صلاحاً[4].

وفي الأخير نجد أنّ لفظة(صلح) لا تخرج عن معاني النفع، والسلم، والتصحيح، والتنقيح، والتوفيق، والسلامة، والاستقامة، وهي خلاف الفساد والخصومة والعداوة.

ب.اصطلاحاً.

ذهب أهل الاختصاص إلى أنّ (الاصطلاح) هو نبذ الخلاف والفرقة، وهو التفاهم والاتفاق، والإجماع على الشيء، وأكد على هذا المنحى الجرجاني في تعريفاته فقال: «الاصطلاح عبارة عن

1-يُنظر، ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، ط، 1، القاهرة، مصر، ج6/ص 247.

2- يُنظر، الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط، 1، بيروت، لبنان، ج4/ص406.

3-يُنظر، الفيروزبادي الشيرازي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط، 3، ج1/ص233.

4-يُنظر، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، 1997م، ج3/ص303.

اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما يُنقل عن موضعه الأول»[1]، وذهب ابراهيم عبادة محمد إلى وضع حدّ للاصطلاح والمصطلح فقال: «فالاصطلاح والمصطلح يُراد بهما وضع اللفظ ذو الدلالة الخاصة المتعارف عليها بين طائفة معينة في مجال أو حقل معيّن»[2].

وقد ورد في موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: «والمصطلح مرتبط بطبيعة استعمال الألفاظ وكيفية استخدامها في الدلالات بعد احداث معنى في الذهن، أو نقلها من معرفيات وافدة على القوم»[3].

نستنتج من خلال هذه التعريفات أن تعريفات المصطلح تصب في مجرى واحد وهو الاتفاق على اخراج الشيء من المعنى اللغوي العام إلى معنى آخر أكثر خصوصيةً وتعييناً، وعليه يمكن القول أنّ المصطلح هو وضع لفظ معين بإزاء معنى ينتمي إلى حقل علمي محدّد.

2. لماذا المصطلح البلاغي المغاربي..؟

إن الباحث في حركة التجديد التي طالت الدرس البلاغي العربي المعاصر، يلمس مباشرةً أنّ هذه الحركة قادها نقاد المغرب العربي، سواء من حيث الترجمة عن النقاد الغربيين، أو من حيث قراءة التراث البلاغي العربي القديم بمناهج نقدية غربية معاصرة، وقد أفضى النظر في حركة التجديد التي مسّت الدرس البلاغي إلى وجود مشاريع بلاغية مهمة بارزة استحدثت مصطلحات لافتة من حيث الصياغة والمفهوم والمضمون والمرجع، وهذا التحديث الذي طال المنظومة المصطلحية البلاغية هو الذي دفعنا إلى تقصي الخلفيات الفلسفية والمعرفية التي أطرت هذه المصطلح البلاغي المعاصر من حيث الصياغة والمرجع.

---

1 علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ط، 1، لبنان، 1985م، ص28.

2 محمد إبراهيم عبادة، معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب، ط،1، القاهرة، 2011م، ص2.

3 التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاح الفنون والعلوم، دار التراث العربي، (د.ط) 1998م، ج1/ص20.

هذا، وقبل الخوض في إشكالية تلقي و المصطلح البلاغي المغاربي المعاصر وطرق توظيف، ارتأينا أن نذكر بعض المشاريع البلاغية التي ستمثل الإطار المرجعي لدراستنا، ومن بين هذه المشاريع:

- **محمد العمري:**

(تحليل الخطاب الشعري -البنيّة الصوتيّة في الشعر- 1990م)، (الموازنات الصوتيّة في الرؤية البلاغيّة والممارسة الشعريّة 2001م)، (بلاغة الخطاب الإقناعي 1986م)، (دائرة الحوار ومزالق العنف 2002م)، (البلاغة العربية أصولها وامتداداتها)، (البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول 2005م)، (بنية اللغة الشعرية)، (البلاغة والأسلوبيّة).

- **محمد مشبال:**

(مقولات بلاغيّة في تحليل الشعر1993م)، (الصورة في الرواية 1995م)، (أسرار النقد الأدبي 2002م)، (بلاغة النادرة 2006م)، (البلاغة والأصول - دراسة في أسس التفكير البلاغي عند العرب- 2006م)، (الهوى المصري في المخيّلة المغربيّة -دراسات في السرد الحديث- 2007م)ـــ (صورة الآخر في الخيال الأدبي 2010م)، (البلاغة والسرد 2010م)، (الحجاج في التواصل 2013)، (البلاغة ومقولة الجنس الأدبي).

- **محمد الولي.**

(الصورة الشعربة في الخطاب النقدي والبلاغي)، (الاستعارات الحية).

- **أبوبكر العزاوي.**

(حوار حول الحجاج)، (اللغة والحجاج).

- **حسن المودن.**

(في بلاغة الخطاب الإقناعي: نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب)، (في التحليل الحجاجي للخطاب السردي)

- **الحسين بنو هاشم.**

(بلاغة الحجاج: النظربة والتاريخ)، (نظرية الحجاج همد شاييم ببرلمان)

- **عبد الله صولة:**

(الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه)، (الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته)

- **حمادي صمود:**

(أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من آرسط إلى اليوم)، (تجليات الخطاب البلاغي)، (التفكير البلاغي عند العرب)

- **عبد المالك مرتاض.**

(نظرية البلاغة)

- **نور الدين السد.**

(الأسلوبية وتحليل الخطاب)

- **محمد سالم محمد الأمين الطلبة.**

(الحجاج في البلاغة المعاصرة).

وعليه ستمثل هذه المشاريع والمنجزات البلاغية المغاربية المعاصرة الإطار العام الذي سنحاول من خلاله تقصي المصطلح البلاغي، مع العمل على رصد طرق تلقيه من بيئته الأصل العربية أوالغربية، وكيفية توظيفه وتكييفه من قِبل هؤلاء النقاد.لمعالجة إشكالية المصطلح البلاغي المغاربي المعاصر (قراءة في جدلية التوظيف والتلقي).

الفصل الأول:

المصطلح البلاغي بين التأصيل والتجديد

المبحث الأول: المصطلح البلاغي في التراث العربي

المبحث الثاني :جهود القدامى في وضع مصطلحات علوم البلاغة الثلاث–المعاني البيان البديع–

المبحث الثالث: جهود المحدثين في بعث تجديد البحث البلاغي

المبحث الأول: المصطلح البلاغي في التراث العربي:

اهتم العرب اهتماما شديدا بصناعة البيان، فكان من اهتمامهم تأصيل البلاغة بيانا وتحديدا ووقوفا على مكامن الإقناع والتأثير ،فحين نذكر هذا المصطلح يتبادر مباشرة إلى الذهن ذلكم العلم الذي تفرع لاحقا إلى علوم ثلاثة هي المعاني والبيان والبديع.ولذا كان من اللازم قبل تتبع المسار الذي تحدد معه مفهوم المصطلح البلاغي في التراث العربي ،الوقوف على معنى مصطلح البلاغة لغة واصطلاحا، هذا المصطلح الذي سيتناول علم البلاغة العربية جميعا تحت مسماه.

مفهوم مصطلح" البلاغة"لغة واصطلاحا:

أ- المفهوم اللغوي:

ورد في لسان العرب بيان مادة (غ ب ل) احتواؤها على جملة من المعاني اللغوية منها:

1- الفصاحة:«والبلاغة: الفصاحة. والبلغ: البليغ من الرجال. ورجل بليغ وبلغ: حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه».

2- الوصول والانتهاء:« بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى، وأبلغه هو إبلاغا وبلغه تبليغا؛...إنما هو من ذلك أي قد انتهيت فيه وأنعمت. وتبلغ بالشيء: وصل إلى مراده، وبلغ مبلغ فلان ومبلغته».

3- الكفاية:«والبلاغ: الكفاية؛ ومنه قول الراجز:

4- تزج من دنياك بالبلاغ، ... وباكر المعدة بالدباغ وتقول: له في هذا بلاغ وبلغة وتبلغ أي كفاية»[1]

1 محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ) لسان العرب: الناشر: دار صادربيروت.ط3 - 1414 هـ مادة: غ.ب.ل.ج08.ص419.

5- المقاربة:«وبلغت المكان بلوغا: وصلت إليه وكذلك إذا شارفت عليه؛ ومنه قوله تعالى: فإذا بلغن أجلهن، أي قاربنه»[1]

قال الزمخشري في مادة:«ب ل غ أبلغه سلامى وبلغه. بولغت ببلاغ الله: بتبليغه...إلى أن قال:وتبالغ فيه المرض والهم إذا تناهى. وتبلغ بالقليل: اكتفى به، وما هي إلا بلغة أتبلغ بها. وتبلغت به العلة: اشتدت. وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ وهذا قول بليغ. وتبالغ في كلامه: تعاطى البلاغة وليس من أهلها، وما هو ببليغ ولكن يتبالغ، وبلغ الفارس: مد يده بعنان فرسه ليزيد في عدوه»[2] فهو يريد من هذا التحديد الوقوف على معنى الصواب والانتهاء والوصول الى حقيقة الأشياء.يؤيد هذا ورود لفظة (بليغ) في قوله تعالى﴿**وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا** ﴾[3]

فسرها الراغب الأصفهاني (تـــ502هـــ) على وجهين: فقال: «القول البليغ: إذا، اعتُبر بنفسه،-أي القائل- فهو ما يجمع أوصافا ثلاثة: أن يكون صوابًا في موضع لغته، وطبقًا للمعنى المقصود به. لا زائدًا عليه ولا ناقصًا عنه، وصدقًا في نفسه. وإذا اعتبر بالمقول له والقائل فهو الذي يقصد به قائله الحق. ويجد من المقول له قبولاً، ويكون وروده في الموضع الذي يجدر أن يورد فيه، فكل قول اجتمع

1ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـــ) لسان العرب: مادة غ.ب.ل.ج 08.ص420.

2 أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـــ): أساس البلاغة.تح: محمد باسل عيون السود. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. ط: 01، 1419 هـــ - 1998 م.ج01.ص75.

3 سورةالنساء: الآية63.

فيه هذه الأوصاف فهو البليغ من كل وجه»[1]حيث يصح حمل الآية على المعنيين .«أما الزمخشري فأشار إلى الأثر النفسي في تفسيرها وإلى تأثيرها رمزاً في قوله «قل لهم قولاً بليغاً" قلت: بقوله: (بليغا) أى: قل لهم قولا بليغا في أنفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما، ويستشعرون منه الخوف استشعارا »[2]

ب- مفهوم البلاغة في الاصطلاح:

أراد ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) أن يحدد البلاغة ويبين معالمها غير أنه لم يأت بالتعريف الجامع المانع، فهو لم يعرف البلاغة، وإنما فرّق بينها وبين الفصاحة. حيث جعل«" الفصاحة " خاصة بالألفاظ، أمّا" البلاغة " فهي عامة في الألفاظ والمعاني. وبذلك كان كل كلام بليغ فصيح، ولم يكن كل فصيح بليغ فقال: " والفرق بين الفصاحة والبلاغة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني. لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وإن قيل فيها إنها فصيحة. وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغاً كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه»[3].

لم يفرّق عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) بين المصطلحين؛ لأن والبلاغة والبراعة والبيان أمور مترادفة عنده يقول: «تحقيق القول على "البلاغة" و "الفصاحة"، و "البيان" و "البراعة"، وكل ما شاكل ذلك، مما يُعبَّر به عن فضلِ بعضِ القائلين على بعضٍ، من حيث نَطقوا وتكلَّموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، ووا أن يعلموهم ما في نفوسهم؛ ويَكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم ... ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها، مما يفرد فيه اللفظ

1أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502هـ): تفسير الراغب الأصفهاني .تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني. الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا.ط1: 1420 هـ - 1999 م.ج3.ص1297.

2 أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ):الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل.الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت. ط3- 1407 هـ.ج1.ص527.

3 أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت: 466هـ). سر الفصاحة.الناشر: دار الكتب العلمية.الطبعة: 01.سنة 1402هـ_1982م.ص59.

بالنعت والصفة، وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة»[1] وهذا يعني أن الحدود الدقيقة لم تكن قد اتضحت بعد، وأن هذه المصطلحات لم تستقل وتأخذ معناها الخاص. وهذا ما اعترف بغموضه ضياء الدين بن الأثير (ت637هـ)في كتابه الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور فقال: «وقد قال بعض المصنفين من العلماء: لم أزل منذ خدمت أهل العلم، انظر فيما قالوه في معنى الفصاحة والبلاغة، وأستكشف عن المعنى في ذلك، فلا أجد إلا كالرمز والاشارة، ولا أقف فيه على قول شاف، ولا كلام كاف. فلما رأيت الأمر كذلك، علمت إنه لا يكفي في معرفة هذا العلم العظيم، الذي كان به إعجاز القرآن الكريم، قول مهمل، ولا كلام مجمل. بل لا تتم معرفته حتى يفصل فيه القول، ويدل على الخصائص التي تأتي في تأليف الكلام، ويوضح إيضاحاً جلياً من غير مغادرة لشيء من ذلك. »[2].

بقي الالتباس يساير مصطلح البلاغة إلى غاية القرن الرابع هجري حين أبن العسكري (ت: نحو 395هـ) عن حد البلاغة ووضّح معالمها في كتابه «الصناعتين» وعرّفها تعريفاً دقيقاً، فقال:«البلاغة كلمات بلغ بها لمعنى قلب السامع فتمكنه فى نفسه كتمكنه فى نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن. وإنما جعلنا حسن المعرض وقبولا لصورة شرطا فى البلاغة؛ لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة ومعرضه خلقا لم يسم بليغا، وإن كان مفهوم المعنى، مكشوف المغزى».[3]

1 أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـ). دلائل الإعجاز في علم المعاني. تح: محمود محمد شاكر أبو فهرالناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة.ط3. 1413هـ - 1992م

2 نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت: 637هـ): الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور.تح: مصطفى جواد.الناشر: مطبعة المجمع العلمي. عام النشر: 1375هـ.ص76.

3 أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395هـ) .الصناعتين .تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت .عام النشر: 1419 هـ.ص10.

فهو تعريف اصطلاحي يوضح من خلاله العسكري نجاح الخطاب البلاغي أخذا بأوصاف الكلام الثلاثة عنده ،والتي جعلها شرطا أساسيا في تحقيق العملية التواصلية بين المرسل والمرسل إليه والرسالة حتى يتحقق الإقناع والتأثير في نفس المتلقي أو السامع.

مراحل تطور مصطلح البلاغة

لقد استمد مصطلح البلاغة مفهومه من خلا ل الاستعمال الذي دأبت عليه عند أهل اللغة، حيث يظهر بعد التتبع أن المفهوم الاصطلاحي لم تبد معالمه النهائية و لم ترسم حدوده كما هي عند السكاكي(ت626هـ)وتابعيه،إلا من خلال ثلاث مراحل مر بها تاريخيا يمكن تحديدها باختصار في ما يلي:

1.2- مرحلة المفهوم الفني العام:

تعتبر هذه المرحلة عرفت باختلاط العلوم والمعارف ،حيث إن البلاغة يقصد بها كل ما من شأنه إيصال المعنى إلى قلب السامع مع الإفصاح.وعلى هذا النحو عرفها علي بن أبي طالب (ت40هـ) مبينا وظيفتها فقال: «وقال عليٌ رضي الله عنه: البلاغة إيضاحُ الملتبسات وكشف عوار الجهالات بأحسن ما يمكن من العبارات. ومثله قول الحسن بن علي رضي الله عنهما: البلاغةُ الإفصاحُ عن حكمةٍ مستغلقة وإبانة علم مشكل"[1].

و من تعريفات البلاغة في هذه المرحلة تعريف لغاية عقدية أو تصوير جدلي ،حيث عرفها ابن المقفع(ت134هـ)على أساس هذا الاعتبار "البلاغة كشف ما غمض من الحقّ، وتصوير الحقّ فى صورة الباطل»[2].كما عرفها على اعتبار أنها طريقة في التعبير «لم يفسّر البلاغة تفسيرا بن المقفع احد قط. سئل ما البلاغة؟ قال: البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة. فمنها ما يكون

1 أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري (ت: 395هـ):ديوان المعاني. الناشر: دار الجيل – بيروت. ج02.ص88.

2أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395هـ):الصناعتين. المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت. عام النشر: 1419 هـ.ص53.

في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل. فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى، والإيجاز، هوالبلاغة.»[1]

2.2- مرحلة التأليف والتجميع :

تبدأ هذه المرحلة بظهور تآليف لبعض الكتب والرسائل واختيار البلاغة أو أحد موضوعاتها عناوين لهاته التآليف، وهذا لا يعني دخول مصطلح البلاغة حيز الاختصاص أو التفرد العلمي ،حيث ظلت تتعاورها علوم أخرى كالتفسير وشروح الشعر كما سميت بمصطلح البديع عند ابن المعتز والبيان عند الجاحظ. يقول ابن وهب محاولا تبيين اتجاهات البعض في عدم تحديد البلاغة تحديدا شاملا ومخالفته للجاحظ«وقد ذكر الناس البلاغة ووصفوها بأوصاف لم تشتمل على حدها، وذكر الجاحظ كثيراً مما وصفت به، وكل وصف منها يقصر عن الإحاطة بحدها»[2] ثم عرج على ذكر تعريف لها فقال«وحدها عندنا: القول المحيط بالمعنى المقصود، مع اختيار الكلام، وحسن النظام، وفصاحة اللسان، وإنما أضيف إلى الإحاطة بالمعنى اختيار الكلام، لأن العامي قد يحيط قوله بمعناه الذي يريده، إلا أنه بكلام مرذول من كلام أمثاله، فلا يكون موصوفاً بالبلاغة، وزدنا فصاحة اللسان لان الأعجمي واللحان قد يبلغان مرادهما بقولهما فلا يكونان موصوفين بالبلاغة، وزدنا حسن النظام لأنه قد يتكلم الفصيح بالكلام الحسن الآتي على المعنى، ولا يحسن ترتيب ألفاظه، ويصير كل واحد مع ما يشاكله، ولا يقع ذلك موقعه»[3]

---

1 عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: 255هـ) : البيان والتبيين. الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: 1423 هـ.ج1.ص114.

2 أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب:البرهان في وجوه البيان.تح: د. حفني محمد شرف.الناشر: مكتبة الشباب (القاهرة) – مطبعة الرسالة–عام النشر: 1389 هـ - 1969 م.ص129

3 المصدر نفسه .ص129.130.

من الكتابات التي اتخذت البلاغة عنوانا لها في المرحلة رسالة صغيرة للمبرد (ت258هـ)يجيب فيها عن مسألة أحمد بن الواثق أي البلاغتين أبلغ: أبلاغة الشعر أم بلاغة النثر فأجاب المبرد « إن حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى واختيار الكلام وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاضدة شكلها ،وأن يقرب بها البعيد ويحذف منها المفضول. فإن استوى هذا في الكلام المنثور والكلام المرصوف المسمى شعرا فلم يفضل أحد القسمين صاحبه...ولكن يرجع إليهما عند قولهما فينظر أيهما أشد على الكلام اقتدارا وأكثر تسمحا وأقل معاناة وأبطأ معاسرة فيعلم أنه المقدم».[1]

من هنا نلحظ أن البلاغة لا يعني بها المبرد العلم الذي عرفت به فيما بعد واستقرت عليه .وإنما اتخذت عناوين عند القدماء في بعض مؤلفاتهم.

3.2- مرحلة الإستقرار والتفرد:

من الصعب تحديد بدايات هاته المرحلة وغيرها من المرحلتين السابقتين بشكل دقيق ،إلا أن المعول عليه عند أهل الاختصاص أن استقرار البلاغة ونضجها كانت على يد عبد القاهر الجرجاني ،ولكن ظهور البلاغة كعلم مستقل بعلومه الثلاث بدأت ملامحه تتبلور وتتضح مع السكاكي (ت626هـ) ومن سار بعده على نهجه .حيث خصصت لها مباحث مستقلة انفردت بقضاياها وعلومها إذ خص القسم الثالث من كتابه مفتاح العلوم لعلمي المعاني والبيان، لكنه اعتمد تقسيما منطقيا أغفل فيه الجانب الفني والجمالي للبلاغة الذي عاشته في زمن الجرجاني، وأورد تعريفا للبلاغة يقول فيه «البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص

1 المبرد. (ت258هـ):البلاغة.تح د.رمضان عبدالتواب .الناشر: مكتبة الثقافة الدينية القاهرة.ط02. 1405هـ-1985م .ص81

التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها»[1] غير أن الملفت للنظر أن السكاكي لم يعتبر مباحث علم البديع من البلاغة وإنما هي وجوه لتحسين الكلام وتزينه ليس إلا،وهذا ما جعل كثيرا من مؤرخي البحث البلاغي ينسبون مرحلة التفرد التام للبلاغة العربية للخطيب القزويني (ت739هـ) الذي سار على منهج السكاكي، حيث ذهب في تعريفه للبلاغة مميزا بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم فقال« بلاغة الكلام: فهي مطابقته لمتقضى الحال مع فصاحته. ومقتضى الحال مختلف. فإن مقامات الكلام متفاوتة فمقام التنكير يباين مقام التعريف ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام ... وأما بلاغة المتكلم: فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ.»[2].

يعلل فهمه هذا للبلاغة معتبرا علم البديع علما مستقلا من علوم البلاغة «وما يحترز به عن الأول –أعني الخطأ هو علم المعاني. وما يحترز به عن الثاني –أعني التعقيد المعنوى- هو علم البيان. وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته، هو علم البديع.»[3]

1- المصطلح البلاغي وتطوره في التراث العربي:

حاولنا تتبع مسار البلاغة العربية في التراث العربي مسلطين الضوء على مصطلحاتها من خلال حقول معرفية أسهمت في تحديد مفهوم المصطلح البلاغي وتوجيهه ،هذا المفهوم سوف

1 يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: 626هـ):مفتاح العلوم. ضبطه وكتبه وهمشه وعلق عليه: نعيم زرزور. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة: الثانية، 1407 هـ - 1987 م.ص415.

2محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي،المعروف بخطيب دمشق (ت: 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة. المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي. الناشر: دارالجيل – بيروت. الطبعة: الثالثة. ص41.42.43...54

3 جلال الدين القزويني الشافعي: الإيضاح في علوم البلاغة ص50.

يتماشى مع مر العصور موجها للبلاغة العربية، ودعامة أساسية من الدعائم الأولى التي قام عليها التراث البلاغي،حيث تمثلت هذه الحقول المعرفية فيما يلي : حقل النقاد اللغويين ، ثم حقل المتأدبين ،ثم حقل المتكلمين ، وأخيرا حقل الفلاسفة.

1.3- حقل النقاد واللغويين:

لقد أسهم حقل اللغويين كثيرا في إرساء قواعد البلاغة العربية وتطوير مصطلحاتها يقول أحمد مطلوب:« للغويين يد طولى في نشأة البلاغة وتطورها،وقد ظل دورهم مشهودا منذ عهد التدوين واستطاعوا أن يسيطروا على مناهج الدرس ويرفعوا لواء المحافظة على اللغة . وكان أبو عبيدة من أقدم اللغويين الذين تعرضوا للدرس البلاغي في كتابه مجاز القرآن وكتابه النقائض اللذين ذكر فيه بعض المصطلحات البلاغية كالاستعارة والتشبيه.ومن الرواة واللغويين الذين أثروا في نشأة البلاغة والنقد أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت216هـ)وله كتاب فحولة الشعراء وقد تعرض فيه لبعض مسائل البلاغة والنقد»[1]

يرى أكثر الباحثين في العصر الحديث بعد تتبعهم لمسار النقد اللغوي ابتداءا من العصر الجاهلي وحتى نزول القرآن الكريم ،أن قضايا النقد في اللغة العربية عامة والبلاغة خاصة إنما هو مجرد ملاحظات أولية للفهم والتذوق الشعري ،اعتمادا على ملكتهم اللغوية في كونهم أهل فصاحة وبيان،وهي حقيقة يشهد لها القرآن الكريم في قوله تعالى﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾[2]

كانت الغاية من البلاغة فهم سر إعجاز القرآن الكريم «ولذلك انتهى كثير من الباحثين القدماء إلى أن ثمرة علم البلاغة هي في فهم الإعجاز من القرآن »[3] فكانوا يميزون بين جيد الكلام ورديئه وحسنه من سيئه ، اعتمادا على الذوق والسليقة اللغوية والبلاغية يقول عبد

1أحمد مطلوب:بحوث بلاغية.مطبوعات المجمع العلمي بغداد.سنة1417 هـ -1996م. ص14

2 سورة البقرة.الآية 204.

3 أحمد مطلوب:بحوث بلاغية.ص08.

القادر حسين، في كتابه المختصر في تاريخ البلاغة «والإصطلاحات البلاغية أول ما نشأت لم تكن واضحة المعالم ،دقيقة التعريفات، وإنما كانت مجرد ملاحظات عابرة يدركها العرب بحكم ذوقهم وسليقتهم في التمييز بين الكلام البليغ ،وبين ما هو أقل درجة منه ، وبين ما هو عار من سمة البلاغة»[1] وهذا الذي أشار إليه العلوي في القرن الثامن في كتابه الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز وكان قد قرأ للسكاكي قبله فقال عن مصطلح علم البيان الذي قصد به علم البلاغة« اعلم أن كثيرا من الجهابذة والنظّار من علماء البيان، وأهل التحقيق فيه، ما عوّلوا على بيان تعريفه بالحدود الحاصرة، والتعريفات اللائقة، ولا أشاروا إلى تصوير حقيقة يعرف بها من بين سائر العلوم الأدبية، والعلوم الدينية، كعلم الفقه، وعلم النحو، وعلم الأصول، وغيرها من سائر العلوم، فإنهم اعتنوا فيها نهاية الاعتناء. وأتوا فيها بماهيّات تضبطها وتفصلها من سائر العلوم»[2].

علل العلوي أن سبب عدم وقوف الأوائل على تحديد ماهية المصطلح البلاغي راجع إلى أمرين اثنين فقال :«وعلى الجملة فإن ذلك غفلة لأمرين أما أولا فلأن الخوض في تقاسيمه وخواصّه، وبيان أحكامه، فرع على تصوّر ماهيته؛ لأن من المحال معرفة حكم الشيء قبل فهم حقيقته. وأما ثانيا فلأن الخوض في أسراره ودقائقه إنما هو خوض في المركبات، والخوض في معرفة ماهيته إنما هو خوض في المفردات. ولا شكّ أنّ معرفة المفرد سابقة على معرفة المركب.»[3] فالعرب لم يقفوا على المصطلح البلاغي بالمعنى الذي هوعليه اليوم ،إنما حكموا الذوق السليم الذي وصفهم القرآن الكريم به فقال تعالى﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾[4]

لم تكن البلاغة عندهم علما أساسه ضبط المصطلح وإنما كان الذوق هو الحكم في تفضيل كلام على كلاموإلى هذا أشار جميل عبد الحميد قائلا :«و لم تعبأ — العرب– بالتجنيس

1 عبد القادر حسين،المختصر في تاريخ البلاغة.درا غريب للنشر والطباعة والتوزيع.القاهرة.تاريخ النشر2001.ص08.

2يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي (ت: 745هـ): الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت،ط: 1، 1423 هـ، ج01.ص09.

3يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي (ت: 745هـ): الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ج01.ص09.

4 سورة البقرة الآية 204.

والمطابقة ،ولم تحفل بالإبداع والإستعارة، إذا حصل لها عمود الشعر، ونظام القريض، وقد كان يقع ذلك في خلال قصائدها ، ويتفق لها في البيت على غير تعمد وقصد.»[1]، فلم يكن هم شعراء الجاهلية تكلف المصطلح البلاغي في أشعارهم وإنما يأتي عفوا لطبيعة سليقتهم وملكتهم اللغوية، يقول الجندي موضحا هذا الأمر«والشعر الجاهلي يدل على أن البلاغة كانت فطرية لدى الشعراء الجاهليين، فكانت الأشعار تنثال على ألسنتهم انثيالًا، وتتوارد على خواطرهم الألفاظ والتراكيب الموسيقية من تلقاء نفسها، فلا نكاد نجد في تعبيرهم أو تصويرهم ما هو متكلف أو مصطنع، وإنما يبدو عليها كلها أنها تأتي طبيعية، وعلى السجية. وقد ورد في تضاعيف أشعارهم بعض الظواهر اللفظية التي اعتبرها الدارسون الفنيون فيما بعد محسنات بلاغية، من أمثال التشبيه، والاستعارة والمجاز والكناية، والطباق، والجناس، ولكن من الواضح أنها جاءت على ألسنتهم في غير ما تكلف أو جهد كأنما هي طبيعية، وعفو الخاطر»[2].

نشأالعرب على تذوق الأسلوب ونقده والفطنة لجيده ورديئه وكان هذا النقد هو أساس علم البلاغة حيث كانت الجزيرة العربية مجتمعا قبليا يكثر فيه التراع والتناحر، ويصبح الهجاء والفخر عاملين هامين في نشاط الحركة النقدية تقوم على الموازنة والمفاضلة والانتصار للقبيلة وأي الشعرين أقوى وأيهما أشد على خصمه يقول الثعالبي :«وسعد من بين قبائل العرب مخصوصة بالفصاحة وحسن البيان وكان النبي صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم»[3]

لقد تجلت ثمار بيئة اللغويين بالظهور منذ النصف الأول من القرن الثاني للهجرة ، فهي البيئة الأقدم زمنيا، ويرجع الفضل في ذلك لعلماء أمثال : أبي عمرو بن العلاء (145هـ) ويونس بن حبيب (182هـ) والخليل بن أحمد (175 هـ) وسيبويه (177 هـ) الذي يعده بعض النقاد والمؤرخين أنه من أوائل مؤسسي البحث البلاغي ، من خلال ما ورد في مؤلفه "الكتاب" حيث

1العلويّ الطالبي (ت: 745هـ): الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ج01.ص16.

2 علي الجندي:في تاريخ الأدب الجاهلي.الناشر: مكتبة دار التراث. طبعة دار التراث الأول1412هـ - 1991م.ص455.

3 عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: 429هـ)،ثمار القلوب في المضاف والمنسوب.الناشر: دار المعارف – القاهرة.ص28.

عرج على ذكر بعض الملاحظات التي أدرجت فيما بعد في مصطلحات علمي المعاني والبيان"[1] فمن هذه الملاحظات قيام المصدر النكرة مقامَ مثل للتشبيه كقولنا يغرد الولد تغريدة العصافير أي إن استطعت أن تقدر مثل فهو تشبيه يقول سيبويه في الكتاب«فإذا أخرجت " مثل " قام المصدر النكرة مقام مثل، لأنه مثله نكرة، فدخول مثل يدلك على أنه تشبيه»[2] فالنحو هو أساس الظبط البلاغي، في حين أن البلاغة هي الناظر في سلامة هذا التركيب، يقول الهاشمي في كتابه جواهر البلاغة « لما وضع «علم الصرف» للنظر في أبنية الألفاظ ووضع "علم النحو" للنظر في إعراب ما تركب منها وضع «البيان» للنظر في أمر هذا التركيب، وهو ثلاثة علوم»[3]

مع مرور الزمن والاحتكاك بالشعوب غير العربية ، ظهرت بعض المفاهيم التي تؤسس للغة العربية عامة وللبلاغة خاصة غير أنها لم ترق إلى مستوى تحديد المصطلح تقول رولا سلطان كوافحة مشيرة إلى هاته القضية «وإن اللغة العربية حظيت بدخول كثير من المصطلحات في حقول المعرفة المختلفة بعد حركة الترجمة والاختلاط بثقافات الأمم الأخرى، وفي مجال البلاغة العربية كثيرا من مصطلحات غيرهم من الأمم، وتسربت إليها بعض المصطلحات المتأثرة بالفلسفة والمنطق. وعلى الرغم من معرفة العرب للكثير من المصطلحات واستخدامهم لها واستخراجهم لبعضها، إلا أنهم لم يطلقوا عليها في السابق اسم المصطلح، فلفظة المصطلح لم تستخدم بمعناها الاصطلاحي سابقا و لم تكتسب هذه الصفة الاصطلاحية إلاّ في العصر الحديث».[4]

1 أحمد مصطفى المراغي ، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ، الحلبي القاهرة سنة 1950 ص 43-57 بتصرف .

2 عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: 180هـ): الكتاب.تح: عبد السلام محمد هارون. الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة. ط: 03، 1408 هـ - 1988 م.ج01.ص360.

3 أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: 1362هـ):جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي. الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.ص16.

4 رولاسلطان كوافحة، تطور المصطلحات النقدية والبلاغية في الأدب المملوكي –ابن الأثير الحلبي أنموذجا-، دار الكندي، عمان، ط1، 2019، ص5 .

عمد اللغويون القدماء إلى شرح وتفسير بعض الأشعار لغويا ، دون تعرض أو ذكر لمكامن المجازات أو الإستعارات وإنما يحسون بها ذوقا من غير تعرض لها بذكر أو بيان إلا ما جاء عل ألسنتهم من مصطلحات بلاغية من غير وعي بهذا الفن على أساس علمي «أما اللغويون فكان همهم الأول حسب طبيعة عملهم على وجه التحقيق ضبط أصول معاني الألفاظ ، دون ما سلكته هذه الألفاظ على ألسنة الشعراء من مجازات ودروب ومدارج، إلا ما شذ من ذلك عند استشهاد أصحاب اللغة بشعر شاعر بعينه»[1].

إن القرآن بسحر بلاغته إنما خاطب قوما يفهمونه ويتأثرون بأسلوبه ،وهذا ما جعلهم يؤمنون به، وإن لم يدركوا سر جماله بعلم مستقل يسمى علم البلاغة. حيث يشير أبو هلال العسكري إلى أن العرب في الجاهلية بفطرتهم وسليقتهم اللغوية السليمة وقفوا على بعض ما سيكون من مصطلحات البلاغة العربية كالفصل والوصل فقال : «وكان أكثم بن صيفي كان إذا كاتب ملوك الجاهلية، يقول لكتابه افصلوا بين كل معنى منقض وصلوا إذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض. وكان الحارث بن أبي شمر الغسّاني يقول لكاتبه المرقش[2]: إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه فافصل بينه وبين تبيعته من الألفاظ، فإنك إن مذقت ألفاظك بغير ما يحسن أن تمذق به نفّرت القلوب عن وعيها، وملّته الأسماع، واستثقلته الرواة»[3] كان تمثيل هذه

---

[1] ياسر بن سليمان شوشو: النقد التطبيقي عند الصفدي دراسة وتوجيها، رسالة دكتوراه ،إشراف حامد بن صالح الربيعي .ص02.

2 المرقش الأكبر (نحو 75 ق هـــ_550 م) عوف (أوعمرو) بن سعد بن مالك ابن ضبيعة من بني بكر بن وائل: شاعر جاهلي، من المتيمين الشجعان. عشق ابنة عم له اسمها " أسماء " وقال فيها شعرا كثيرا. وكان يحسن الكتابة. وشعره من الطبقةالأولى، ضاع أكثره. ولد باليمن، ونشأ بالعراق. واتصل مدة بالحارث أبي شمر الغساني ونادمه ومدحه. واتخذه الحارث كاتبا له. وتزوجت عشيقته أسماء برجل من بني مراد، فمرض المرقش زمنا،ثم قصدها فما تفيحيها. وفي المؤرخين من يسميه عمرو بن سعد وربيعة بن سعد. وهو عم المرقش الأصغر، وهذا عم طرفة بن العبد.ينظر :خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـــ): الأعلام،الناشر: دار العلم للملايين. الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 مج5.ص95.

3 أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395هـــ) الصناعتين،تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت. عام النشر: 1419 هـــ.ص440.
عام النشر: 1419 هـــ.ص440.

المرحلة الأولى من طرف عدد من الأدباء والعلماء واللغويين الأعلام منهم أبو عبيدة (208هـ)، والجاحظ (255هـ)، وابن قتيبة (276هـ) وغيرهم، وجاءت المرحلة الثانية التي اهتمت بوضع الدراسات والأبحاث ذات الطابع الأدبي والعلمي المميّز،غير أن الفهم للصورة البلاغية في غالبه لم يتعد الفهم اللغوي، فأبو عبيدة (208هـ)،يدير معنى مصطلح المجاز بمفهوم نحوي على أنه طريقة عند العرب في التعبير، حيث اعتبر الحذف من المجاز وسماه بمجاز الاختصار فيقول في قوله تعالى﴿ وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾[1]سقوه حتى غلب عليهم مجازه مجاز المختصر أشربوا فى قلوبهم العجل: حبّ العجل»[2].

1.1.3- المصطلح البلاغي والإرهاصات الأولى

إذا رجعنا للإرهاصات الأولى للمصطلح البلاغي في حقل اللغويين وما اهتموا به في هذا المجال ، لم نجد إلا مصطلح التشبيه ،حيث كان أكثر أنواع المصطلحات البلاغية جذبا، فكانت العرب أهل بيان وفصاحة وأهل ذوق بلاغي رفيع يميزون ويفاضلون به بين الشعراء ولعل أوضح هذه النصوص دلالة على ظهور أول إرهاصات مصطلح التشبيه في التراث العربي ، ما يروى عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت –وكان صبيا أيضا– وكيف جاء إلى أبيه باكيا يقول :« لسعني طائر ،قال : فصفه لي يا بني ، قال كأنه ثوب حبرة، قال حسان : قال ابني الشعر ورب الكعبة »[3]، يقول جميل عبد المجيد مشيرا لقضية التشبيه عند العرب القدامى«وكانت العرب قديما إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته ،وتسلم السبق فيه لمن وضف فأصاب وشبه فقارب، وبده فأغزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله، وشوارد أبياته »[4]وهذا ما ذهب إليه حمادى صمود في كتابه التفكير البلاغي عند العرب حيث يقول مؤكدا «ولا

1 سورة البقرة الآية 93.

2 أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: 209هـ):مجاز القرآن،تح: محمد فواد سزگين .الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة.سنة: 1381 هـ.ص47.

3 الجاحظ (ت255 هـ)،الحيوان.الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.الطبعة: الثانية، 1424 هـ. ج03.ص30.بتصرف

4 جميل عبد المجيد ،البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية.الهيئة المصرية العامة. ص 16.

شك أن اللغويين لم يختلقوا ذلك اختلاقا ، فلقد كان لأسباب تعود لطبيعة نشأة المستوى الفني في اللغة ،واعتبار التشبيه أولى درجات ذلك المستوى غالبا على شعر القدامى مما جعله يلفت انتباه هؤلاء اللغويين وعلى أساسه يقوم تعريفهم للشعر .ولقد بين لنا البحث في مختلف المصادر التي اعتمدناها في هذا العمل أن التشبيه كان من الوجوه البلاغية الأولى التي وقع ضبطها وتحديد أقسامها ووظائفها وتحديد الجيد منه و الردئ»[1]

فمصطلح التشبيه أو ما يرتبط به في العصور الأولى هو جوهر العمل الإبداعي الشعري ، وهناك أحكام لبعض اللغويين تكشف عن ذلك الميل ، فلقد قال أبو عمرو بن العلاء : «افتتح الشعر بامرئ القيس وختم بذى الرمة »[2] وكلا الشاعرين فضلا على أقرانه بالقدرة على التشبيه قطعا دون أية ميزة لغوية أخرى ، وهذا ما جعل الشاعر الإسلامي مثل ذي الرمة يقول في مقولته المشهورة « إذا قلت :" كأن فلم أجد وأحسن فقطع الله لساني »[3]يقول ابن سلام عن امرئ القيس «حدثني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال كان علماؤنا يقولون أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس وأحسن أهل الإسلام تشبيها ذو الرمة»[4] ولعل هذا الفهم هو ما جعل ابن رشيق يقول «الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف ، ... وهو مناسب للتشبيه ، مشتمل عليه،وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع، كما قال النابغة الجعدي يصف ذئباً افترس جؤذراً [5]:

فَباتَ يُذَكِّيهِ بِغَيرِ حَدِيدَةٍ أَخو قَنَصٍ يُمسي ويُصبحُ مُفطِرا

1 حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس. ط2. ص 32.

2 الجاحظ (ت: 255هـ)،البيان والتبيين.دار ومكتبة الهلال، بيروت،سنة: 1423 هـ.ج03. ص300.

3 الجاحظ (ت255هـ)، الحيوان. ج07. ص99.

4 محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (ت232هـ).تح محمود محمد شاكر، طبقات فحول الشعراء. الناشر: دار المدني – جدة.ج02. ص549.

5 الجؤذر والجوذر: ولد البقرة، وفي الصحاح: البقرة الوحشية، والجمع جآذر.لسان لعرب .ج4.ص124.

إِذَا ما رَأَى مِنهُ كُراعاً تَحَرَّكَت أَصابَ مَكانَ القَلبِ مِنهُ فَفَرفَرا

فأنت ترى كيف قام هذا الوصف بنفسه، ومثل الموصوف في قلب سامعه.»[1]. يرى قدامة أن التشبيه الجيد هو الذي تتفق فيه صفات أكثر بين المشبه والمشبه به حتى يصل الأمر بينهما إلى المطابقة، يقول بن قدامة في هذا الصدد« إنه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات، إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه و لم يقع بينهما تغاير البتة اتحدا، فصار الاثنان واحداً، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها، وإذا كان الأمر كذلك، فأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد»[2]. فعلى ضوء ما سبق من النصوص نقف على المكانة و الأهمية التي يحتلها مصطلح التشبيه ، فيما بعد القرن الهجري الثاني حيث يعده ثعلب (291هـ) أصلا من أصول الشعر وثعلب هو تلميذ ابن الأعرابي وابن سلام، وهو من معاصري المبرد البصري الذي قال مبينا أهمية مصطلح التشبيه في التراث العربي وفي صدر الإسلام، ومدى ولوع العرب في الجاهلية بالتشبيه،واعتبروه فنا من فنون التعبير الشعري حتى قال المبرد يصف تعلقهم وولعهم فقال«والتشبيه جار كثيرا في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم، لم يبعد»[3]. و قد يكون ما أصله اللغويون فيما يتصل بربط مصطلح التشبيه بالشاعرية أمرا طيبا، ولكنهم في نفس الوقت شغلوا بمصطلح التشبيه عما سواه من المصطلحات، كونه أثار انتباههم، لأنه كثير الظهور عند فحول شعراء الجاهلية أمثال امرئ القيس، فلم يجدوا بدا من عد التشبيه علامة على

1 أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 463 هـ) ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر: دار الجيل .ط 05، 1401 هـ - 1981 م.ج2. ص 294 .

2قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (المتوفى: 337هـ)، نقد الشعر.الناشر: مطبعة الجوائب – قسطنطينية .ط: 01،سنة 1302هـ.ص37.

3 محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: 285هـ): الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة. الطبعة: الثالثة.سنة 1417 هـ - 1997 م. ج3. ص70.

الشاعرية،ولعل أول من تعرض بالدراسة والتحليل لمفهوم التشبيه هو المبرد ت: 285هـ فقال في كتابه الكامل"واعلم أن للتشبيه حدا؛ لأن الأشياء تتشابه من وجوه، وتتباين من وجوه؛ فإنما ينظر إلى التشبيه من أين وقع، فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر فإنما يراد به الضياء والرونق، ولا يراد به العظم والإحراق. قال الله عزوجل: ﴿ **كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ** ﴾[1]، والعرب تشبه النساء ببيض النعام، تريد نقاءه ورقة لونه، قال الراعي:

كَأَنّ بَيْضَ نَعامٍ في مَلاحِفِها ...إذا اجْتَلاهُنّ قَيْظاً ليلةٌ وَمِدُ"[2]

يشيد السراج بمصطلح التشبيه وتنافس الشعراء في القدرة على الإتيان به والتفنن فيه فيقول:" التشبيه ميدان يتسابق فيه فرسان البلاغة وأمراء القريض، وقد تفننوا في ضروبه وتنافسوا في فنونه. فبعضهم أورد تشبيهين في بيت واحد وأورد غيره ثلاثة فأربعة، فمن التشبيهين في بيت واحد قول امرئ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابساً * لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَّابُ والْحَشَفُ الْبَالِي "[3]

إن وقوف اللغويين الأوائل على هذه الصور الفنية والمصطلحات البلاغية لم تكن هي مشكلتهم الأولى، بل الأهم من ذلك هو الحفاظ على اللغة العربية نفسها ، بكل ما تتيحه الفرصة لهم من جمع وحصر ورواية ...الخ ،وكون مصطلح التشبيه رافد أساسي يساهم في إثراء اللغة العربية ومدى قابليتها للتأثير في المتلقي. وهناك أشعار عند القدماء المتأمل فيها يرى أن الشاعر في هذا العصر ليس مجرد قدرته على نظم كلمات موزونة ومقفاة، بل يجب عليه أن تكون له القدرة على دقة الوصف والتشبيه.

1 سورة الصافات، الآية 49.

2المبرد، أبو العباس (ت: 285هـ): الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. ص41.

3 محمد علي السَّراج، اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، مراجعة:خير الدين شمسي باشا، الناشر: دار الفكر – دمشق،ط01. 1403 هـ - 1983 م.ص137.

2.3- حقل المتأدبين:

مضت الدراسات البلاغية تتقلب بها المناهج، وتؤثر فيها الحقول المعرفية المختلفة، وقد أدرك القدماء أنفسهم وجود بلاغتين، سمّوا الأولى البلاغة على طريق العجم، وأهل الفلسفة، وسمّوا الثانية البلاغة على طريقة العرب والبلغاءكما سماها السيوطي قائلا «ورزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع؛ على طريقة العرب والبلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة.»[1]

لقد أسرف رجال المدرسة الأدبية في ذكر الشاهد والمثال، ولم تكن أمثلتهم مقصورة على الجمل أو أبيات الشعر وإنما تجاوزوا ذلك إلى القصيدة الشعرية والرسالة الأدبية، فتعاملوا مع المصطلح البلاغي بذكر تعريف له، ثم يسوقون أمثلة على ذلك المصطلح ليميزوا بين حسنه ورديئه يقول أحمد مطلوب :«فابن المعتز مثلا يذكر تعريف الإستعارة أو التجنيس، ويورد بعد ذلك أمثلة كثيرة ويفرق بين الحسن والردئ، وتبعه بلاغيون آخرون في هذا المنهج كأبي هلال العسكري في كتاب الصناعتين وابن رشيق في العمدة وأسامة بن منقذ في البديع في نقد الشعر وابن الأثير في المثل السائر والجامع الكبير وابن أبي الأصبع المصري في تحرير التحبير»[2] غير أنه ليس من الممكن وضع فاصل بين من نهجوا الاتجاه العقلي والذين نهجوا النهج الأدبي، حيث يطرح هذا السؤال أحمد مطلوب ويجيب عنه فيقول:«ليس من الممكن ذلك لأن البلاغي الواحد كثيرا ما يمزج بين الطريقتين ويستفيد من الاتجاهين، فالجاحظ مثلا وهو رأس فرقة إعتزالية سميت الجاحظية نراه يميل إلى الفن ويحكم الذوق في كثير من الأحيان، وأبو هلال العسكري مع تأكيده أنه لن يتبع طريقة المتكلمين نراه يتجه نحوهم في تقسيماته وتبويبه ويجري في مضمارهم ويخدم أغراضهم، وكان عبد

1 عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت : 911هـ): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. تح : محمد أبو الفضل إبراهيم.الناشر : دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاؤه – مصر.الطبعة : الأولى 1387 هـ - 1967 م.ج01.ص338.

2 أحمد مطلوب و كامل حسن البصير، البلاغة والتطبيق. ط1999.02.ص33.

القاهر الجرجاني يميل مرة إلى المدرسة الكلامية في كتابه دلائل الإعجاز ويتجه إلى المدرسة الأدبية في كتابه أسرار البلاغة.»[1]

إن الحدود بين المدرستين غير بينة يقول أحمد مطلوب «لكن الحدود بين المدرستين غير فاصلة،لأن كل اتجاه يحمل سمات الاتجاه الآخر بقدر، ولعل أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز للجرجاني والطراز للعلوي خير ما يمثل هذا المزج بين الاتجاه العقلي في تحديد الفنون وتقسيمها ،والاتجاه الفني في نقد النصوص وإظهار ما فيها من روعة وجمال وتأثير»[2] ولهذا تركت التوسع والتفصيل عن المصطلح البلاغي في حقل المتكلمين.

2.4- حقل المتكلمين:

كان لظهور علم الكلام أثر واضح في تطور الدرس البلاغي، التي أثارتها نصوص الوحيين القرآن والحديث، يقول الدكتور شوقي ضيف«كان يقابل طائفة المعلمين من النحاة واللغويين طائفة ثانية من معلمين كانوا يعنون بمسائل البيان والبلاغة ،لاتصالها بما كانوا ينهضون به من الخطابة والمناظرة ،ونقصد طائفة المتكلمين »[3]

لقد اتخذت البلاغة هدفا دينيا عند المتكلمين وخاصة المعتزلة، فجعلوها وسيلة إقناع وحجاج، يراد بها تخير اللفظ في حسن الإفهام والتأثير، ليكون الكلام البليغ على هذا المفهوم، أي فصل الخطاب، وهذا هو تعريف عمرو بن عبيد 114هـ المتكلم المعتزلي لمفهوم البلاغة حين قال «إنك إن أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين، وتخفيف المؤونة على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين، بالألفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبة في سرعة

1 أحمد مطلوب و كامل حسن البصير، البلاغة والتطبيق. ص34.

2 أحمد مطلوب: بحوث بلاغية .مطبوعات المجمع العلمي .بغداد.1417ه-1996م.ص21.

3 شوقي ضيف،البلاغة تطور وتاريخ.الناشر دار المعارف.القاهرة مصر ،ط 09.ص32.

استجابتهم، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة، على الكتاب والسنة، كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستوجبت على الله جزيل الثواب»[1]

لقد كان لهم كبير فضل في الحياة العقلية وأثرا بينا في البلاغة ،يقول الجاحظ"إن كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء، وأبلغ من كثير من البلغاء. وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفا لكلّ خلف، وقدوة لكل تابع»[2].

لقد عمد المعتزلة إلى معرفة ما عند الأمم الأجنبية من وجوه بلاغية،والوقوف على مسائلها وتحديد بعض مفاهيمها المصطلحية ،فهذا الجاحظ مثلا يورد تعريفا لمصطلح البلاغة عند الأمم غير العربية « قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل. وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام. وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة. وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة»[3] بل نجد سعة اطلاعهم على بلاغة الأمم الأجنبية والدعوة إلى قراءة كل ما تعلق بالبلاغة عندهم للوقوف على وصلت إليه في بيان مكامن الــتأثير والإقناع، يقول الجاحظ :«ومن أحبّ أن يبلغ في صناعة البلاغة، ويعرف الغريب، ويتبحر في اللغة، فليقرأ كتاب كاروند. ومن احتاج إلى العقل والأدب، والعلم بالمراتب والعبر والمثلات، والألفاظ الكريمة، والمعاني الشريفة، فلينظر في سير الملوك. فهذه الفرس ورسائلها وخطبها والفاظها، ومعانيها. وهذه يونان ورسائلها وخطبها، وعللها وحكمها، وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة، والخطأ من الصواب، وهذه كتب الهند في حكمها وأسرارها، وسيرها

1 الجاحظ (ت: 255هـــ): البيان والتبيين.الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: 1423 هـــ.ج1.ص113.112.

2المصدر نفسه.ج1ص131

3المصدر نفسه.ج1.ص92.

وعللها، فمن قرأ هذه الكتب، وعرف نور تلك العقول، وغرائب تلك الحكم، عرف أين البيان والبلاغة، وأين تكاملت تلك الصناعة»[1].

هبت طائفة من علماء الكلام بالبحث والتنقيب في القرآن الكريم، للوقوف على أدلة تؤيد مذهبهم الكلامي، فتتبعوا آياته محاولين الوقوف على سر بلاغته وفصاحته يقول الرافعي«مر الناس على ذلك إلى أوائل المائة الثالثة، فلما فشت مقالة بعض المعتزلة بأن فصاحة القرآن غير معجزة؛ وخيف أن يلتبس ذلك على العامة بالتقليد أو العادة، وعلى الحُشْوَة من أهل الكلام الذين لا رسوخَ لهم في اللغة ولا سَليقةَ لهم في الفصاحة ولا عرق لهم في البيان، مسَّت الحاجة إلى بسط القول في فنون من فصاحته ونظمه ووجهِ تأليف الكلام فيه، فصنفَ أديبنا الجاحظ المتوفى سنة 255 هـ كتابه (نظم القرآن)»[2] فليست الفصاحة كما يرى الجاحظ هي القدرة على الإفهام، بل هي مجموعة من القضايا البلاغية تتحد مع بعضها حتى تتحقق الفصاحة يقول الجاحظ«فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل، جعل الفصاحة واللكنة، والخطأ والصواب، والاغلاق والإبانة، والملحون والمعرب، كله سواء، وكله بيانا»[3]

قام المعتزلة بتطوير بعض الاجتهادات السابقة عليهم، والتي نقلوها عن الأمم الأخرى ،والتي ترجع إلى الفترة الأولى التي ساد فيه مذهب التفسير بالمأثور حيث ساهم توسعهم في استغلال التفسير المجازي في بلورة وتحديد دلالة مفهوم مصطلح" المجاز" كونه رافدا هاما من روافد بلاغة الخطاب القرآني، ولعل الجاحظ هو أول معتزلي يستعمل المجاز في التأويل ويستخدمه كمصطلح بلاغي بالمعنى المقابل للحقيقة، وليس بالمعنى الواسع الذي كان عليه عند أبي عبيدة أو الفراء، فها هو الجاحظ (ت255هـ) البلاغي المعتزلي يتعرض للمجاز والتشبيه مشيرا إلى صوره

1الجاحظ (ت: 255هـ): البيان والتبيين ج03.ص10.

2 مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: 1356هـ): إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – ط8- 1425 هـ - 2005 م.ص106.

3 الجاحظ.البيان والتبيين .ج01.ص148.

المختلفة، مقدما لنا شواهد قرآنية كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾[1] **ويقال: هم لحوم الناس**[2]»فالجاحظ حينما يتحدث عن المجاز القرآني فإنه ينظر له من خلال قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[3]. ويعد هذا من باب المجاز، والتشبيه على شاكلة قوله تعالى: ﴿ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾[4]. يقول الجاحظ"وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة، ولبسوا الحلل، وركبوا الدوابّ، و لم ينفقوا منها درهما واحدا في سبيل الأكل. وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ ﴾ . وهذا مجاز آخر[5]».فهو يقرن أحياناً بالآية بعض آيات أخرى من التنزيل الحكيم، وبعض أشعار العرب التي تجري مجراها في الاستعارة، ثم يعقب على ذلك فيقول«: فهذا كله مختلف، وهو كله مجاز[6]».أما المجاز على أنه طريقة في التفسير لا كمصطلح بلاغي ،فإنه لم يأخذ طريقه في الشيوع إلا على يدي أبي عبيدة في كتابه،يقولمحمد فواد سزگين في مقدمة تحقيقه لكتاب مجاز القرآن"مجاز القرآن يقول في مقدمة كتابه "ومهما كان الأمر فإن أبا عبيدة يستعمل في تفسيره للآيات هذه الكلمات: «مجازه كذا»، و «تفسيره كذا»، و «معناه كذا»، و«غريبه»، و«تقديره»، و«تأويله» على أن معانيها واحدة أو تكاد، ومعنى هذا أن

1 الحجرات: الآية 49

2 الجاحظ (ت: 255هـ)الحيوان. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،ط: 2، 1424هـ ج05.ص13.

3النساء: الآية 10.

4المائدة:الآية 42

5الجاحظ. الحيوان. ص13.

6الجاحظ. الحيوان.ص14.

كلمة «المجاز» عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن فى تعبيراته، وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة «المجاز» فيما بعد."[1]

أخذ المجاز المنحى البلاغي مع الجاحظ حيث اعتبره وجها من وجوه البيان يقول عبد القادر حسين " أما الجاحظ فقد كان رأيه في المجاز مختلفا عن أبي عبيدة ،فلم يكن يرى المجاز تفسيرا لمعنى كلمة غريبة من ألفاظ القرآن ،وإنما كان المجاز كاشفا لوجه من وجوه البيان...حيث مهد السبيل لمن أتى بعده في تناولهم للحقيقة والمجاز في القرآن الكريم"[2].ولكن مفهومه الاصطلاحي ليس هو المفهوم المحدد الذي أخذه المصطلح فيما بعد على أيدي المعتزلة بوجه خاص . و كتب ابن قتيبة بحثاً مستفيضاً عن المجاز في كتابه «تأويل مشكل القرآن» فقال"باب القول في المجاز وأما (المجاز) فمن جهته غلط كثير من الناس في التأويل، وتشعّبت بهم الطرق، واختلفت النّحل"[3]غير أنه سلك منهج أبي عبيدة متأثرا به يقولمحمد فواد سزگين :"ولعل ابن قتيبة قد تأثر في كتابه «مشكل القرآن» بأبي عبيدة في استخدام كلمة المجاز بهذا المعنى العام "[4]

لقد أخذ بعده البلاغي كثيرا عند الزمخشري ممثلا له بأمثلة كثيرة فيقول :"ومن المجاز: جاش أدب البحر إذا كثر ماؤه."[5] كما استعان المتكلمون بقضايا إعجاز القرآن في إثبات عقائدهم،كقضية خلق القرآن من عدمه.

1 أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: 209هـــ):مجاز القرآن. تح: محمد فواد سزگين. الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة. 1381 هـــ.المقدمة .ص19.

2 عبد القادر حسين:القرآن والصورة البيانية.عالم الكتب بيروت .ط02.سنة1405-1985م.ص133.

3 أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـــ): تأويل مشكل القرآن. المحقق: إبراهيم شمس الدين. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.ص69.

4 أبو عبيدة :مجاز القرآن. تح: محمد فواد سزگين.ص19.

5 أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـــ): أساس البلاغة.تحقيق: محمد باسل عيون السود. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة: الأولى، 1419 هـــ - 1998 م.ج01.ص22.

تماشت قضايا الإعجاز مع علم الكلام، فعلم البيان نبت في جحور المتكلّمين، وقد كان نشاطهم واسعًا، وكان لهم أثر كبير في الحياة العقلية عامة وفي البلاغة العربية خاصة ،حيث ركز المتكلمون على مصطلح المجاز بسبب مجموعة القضايا الكلامية ولكن ما أن يطالعنا القرن الرابع حتى يتكامل مفهوم المجاز، وتتحدد دلالاته وأبعاده، تحددا شاملا، نتيجة الجدل الطويل الذي دار بين المعتزلة وغيرهم من الطوائف، التي كانت نشطة طوال القرن الثالث للهجرة، مما هيأ السبيل لأن يفرد الرماني المعتزلي كتابا خاصا لمبحث الحقيقة والمجاز.حيث أصبح مبحث المجاز منحصرا في مباحث التشبيه، والتمثيل، والاستعارة يقول الرماني(ت384هـ) «الاستعارة تليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة... وكل استعارة حسنة فهي توجب بيان لا تنوب منابه الحقيقة»[1] ويمثل لذلك البعد البلاغي للتصوير المجازي في قوله تعالى فيقول«وقال عز وجل: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]. حقيقته فبلغ ما تؤمر به, والاستعارة أبلغ من الحقيقة, لأن الصدع بالأمر لابد له من تأثير كتأثير صدع الزجاجة , والتبليغ قد يصعب حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزله ما لم يقع. والمعنى الذي يجمعهما الإيصال, إلا أن الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاجة أبلغ»[3]. يؤكد الباقلاني أن التصوير الاستعاري أبلغ من التعبير بالحقيقة بعدما ساق مجموعة من آي القرآن الكريم فقال:«وهذا أوقع من اللفظ الظاهر، وأبلغ من الكلام الموضوع له»[4] كما أكد العمري هذه النظرة وبين أهميتها خاصة ما تعلق بمصطلحي المجاز والاستعارة لدى علماء الكلام فقال: «تكمن أهمية الخطوة التي خطاها المتكلمون الأوائل (أي الذين نظروا في انسجام النص) في بلورة مجموعة أساسية من المصطلحات والمفاهيم البلاغية ،تسمية وتعريفا

1 علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت: 384هـ)النكت في إعجاز القرآن: مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (16)] تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام الناشر: دار المعارف بمصر.الطبعة: الثالثة، 1976م.ص86.85.

2 سورة الحجر الآية94.

3 المصدر نفسه .ص87.

4 أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت: 403هـ): إعجاز القرآن للباقلاني. تح: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: الخامسة، 1997م.ص269.

وتمثيلا .وعلى رأسها مفهوم المجاز والاستعارة.»[1] وهذا يعتبر نقلا من البحث عن المفهوم اللغوي إلى المفهوم المنطقي ،حيث دعا إلى ذلك الجاحظ« ولو كان أعلم الناس باللغة، لم ينفعك في باب الدين حتى يكون عالما بالكلام.»[2]

ولقد أنكر جماعة المجاز على أنه لا يستقيم في فهم الخطاب القرآني وألحقوه بالكذب يقول السيوطي في الإتقان«أما المجاز فالجمهور أيضا على وقوعه فيه وأنكره جماعة منهم الظاهرية وابن القاص من الشافعية وابن خويز منداد من المالكية وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب والقرآن مترّه عنه وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير وذلك محال على الله تعالى»[3] ثم ينفي السيوطي هذه النظرة لمفهوم المجاز ويرى أنه أبلغ من الحقيقة فيقول:«وهذه شبهة باطلة ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها وقد أفرده بالتصنيف الإمام عز الدين بن عبد السلام ولخصته مع زيادات كثيرة في كتاب سميته مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن»[4] ويؤكد هدا القول ما ذهب إليه ابن قتيبة قائلا:«لو كان المجاز كذبا...لكان أكثر كلامنا فاسدا ، لأنا نقول : نبت البقل وطالت الشجرة وأينعت الثمرة ، وأقام الجبل ، ورخص السعر ، ونقول: كان هذا الفعل منك في وقت كذا وكذا، والفعل لم يكن وإنما كون »[5].

1 محمد العمري :البلاغة العربية أصولها وامتداداتها،الناشر :أفريقيا الشرق المغرب .ط02.سنة 2010.ص25.

2 الجاحظ(ت: 255هـ) :الحيوان .الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.الطبعة: الثانية، 1424 هـ.3ج02.ص265.

3 عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة: 1394هـ/ 1974 م.ج03.ص120.

4 جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. ج03.ص120.

5 أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ) ، تأويل مشكل القرآن.تح: إبراهيم شمس الدين.الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. ص85.

إن الذي ذهب إليه ابن قتيبة في القرن الثالث يتشابه مع ما يقوله ابن رشيق في القرن الخامس حيث يقول «والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع ... فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز، إلا أنهم خصوا به أعني اسم المجاز باباً بعينه؛ وذلك أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه سبب، كما قال جرير ابن عطية:

إذاسقط السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

أراد المطر لقربه من السماء... لأن كل ما أظلك فهو سماء»[1]هذه الشبهة جعلت عبد القاهر يرى الكذب قرين إثبات الحكم لغير مستحقه ، والمجاز ليس كذلك ، حيث يقول :«ومن قدح في المجاز، وهم أن يصفه بغير الصدق، فقد خبط خبطا عظيما، ويهرف بما لا يخفى، ولو لم يجب البحث عن حقيقة المجاز والعناية به، حتى تحصل ضروبه، وتضبط أقسامه، إلا للسلامة من مثل هذه المقالة، والخلاص مما نحا نحو هذه الشبهة، لكان من حق العاقل أن يتوفر عليه، ويصرف العناية إليه، فكيف وبطالب الدين حاجة ماسة إليه من جهات يطول عدها»[2].

ومن هنا يمكن القول أنه ليس هناك تعارض في الحقيقة بين جمهور أهل السنة والمعتزلة في مسألة التسليم بإمكانية وجود المجاز في القرآن . أما التعارض الحقيقي بين أهل السنة والمعتزلة يكمن في مدى المضي في تطبيق فكرة المجاز نفسها على النص القرآني.

وإذا رجعنا لابن قتيبة مرة أخرى حيث صور هذا الاختلاف بين الفريقين على النحو الذي وجد عليه في القرن الثالث خير تصوير . وهو يرفض الحرية الاعتزالية في التأويل. و يحذر من الانطلاق في القول به فيقول:«وأما (المجاز) فمن جهته غلط كثير من الناس في التأويل، وتشعّبت

1 ا بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 463 هـــ) ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر: دار الجيل .ط 05، 1401 هـــ - 1981 م.ج1. ص266.

2 أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـــ)،أسرار البلاغة .قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.ص391.

بهم الطرق، واختلفت النّحل»[1]ولقد أول المعتزلة الآيات التي تسند الكلام إلى الخالق ، وتصف حوارا يدور بينه وبين الأشياء والكائنات لا تؤدي معنى القول الحقيقي ،وإنما هي مجازات ولها ما يشبهها في الشعر القديم ولغة العرب .«قالوا: ونحو هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[2] وليس يومئذ قول منه لجهنم، ولا قول من جهنم، وإنما هي عبارة عن سعتها».[3]

لقد أجهد عبد القاهر على وجه الخصوص نفسه طويلا في دراسة المجاز، وتوضيح أقسامه وطرائقه، حرصا على خدمة العقيدة ، ونفيا لكل الشبهات التي يمكن أن تلحق بها. لكنه في بحثه للمجاز كان متكلما أكثر منه بليغا، ومنطقيا حريصا على وضع الحدود والتقسيمات أكثر منه ناقدا، يحاول البحث عن العلل النفسية التي يرتدّ إليها المجاز،حيث عقد فصلا له قال فيه: «اعلم أن طريق المجاز والاتساع في الذي ذكرناه قبل، أنك ذكرت الكلمة وأنت لا تريد معناها، ولكن تريد معنى ما هو ردف له أو شبيه، فتجوّزت بذلك في ذات الكلمة وفي اللفظ نفسه. وإذا قد عرفت ذلك فاعلم أن في الكلام مجازا على غير هذا السبيل... والمثال فيه قولهم: «نهارك صائم وليلك قائم» و «نام ليلي وتجلّى همي»[4]

إن مصطلح المجاز لم يتحدد من قبل ولم يخضع لأي تقسيم حتى جاء الجرجاني فأعطى للمصطلح قاعدته وبين أصوله وتقسيماته يقول أحمد مطلوب مبينا هذا العمل عند الجرجاني «ولم يقسم الأوائل المجاز إلى أنواعه المعروفة ،وعندما ألف عبد القاهر كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار

1 ابن قتيبة (ت: 276هـ)،تأويل مشكل القرآن.تح: إبراهيم شمس الدين.ص69.

2 سورة ق الآية 30

3 المصدر نفسه .ص 72

4 أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني. تح : محمود محمد شاكر أبو فهر.الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة.الطبعة: الثالثة 1413هـ – 1992م.ص293.

البلاغة أخذ المجاز مترلته واستقرت قواعده وأصوله وقسمه إلى مجاز لغوي ومجاز عقلي وفرق بينهما، وسار البلاغيون على خطاه»[1] كما أن تتبع المتكلمين لمصطلح المجاز كان لغرض بيان إعجاز الخطاب القرآني، لا لتصوير أبعاد هذا المصطلح والوقوف على حقيقته البلاغية يقول الرافعي«ولسنا نقول إن القرآن جاء بالاستعارة لأنها استعارة أو بالمجاز لأنه مجاز، أو بالكناية لأنها كناية، أو ما يطردُ مع هذه الأسماء والمصطلحات إنما أريدَ به وضع معجز في نسق ألفاظه وارتباط معانيه على وجوه السياستين من البيان والمنطق فجرى على أصولهما في أرقى ما تبلغه الفطرة اللغوية على إطلاقها في هذه العربية، فهو يستعير حيث يستعير، ويتجوز حيث يتجوز، ويُطنِبُ ويُوجز ويؤكد ويعترض ويكرر إلى آخر ما أحصي في البلاغة ومذاهبها؛ لأنه لو خرج عن ذلك لخرج من أن يكون معجزاً في جهة من جهاته ولاستبانَ فيه ثمة نقص يمكن أن يكون في موضعه ما هو أكمل منه وأبلغ في القصد والاستيفاء. »[2]

3.3- حقل الفلاسفة:

سلك المعتزلة الاتجاه الفلسفي في مجال البلاغة العربية، وتأثروا فيه بالفلسفة اليونانية التي ذاعت وشاعت في نهاية القرن الثاني الهجري وأوائل الثالث إثر نشاط حركة الترجمة في عهد العباسيين.إذ«يشكل هذا الاتجاه الرأي الأغلب في الدراسات الحديثة التي تقر بالتأثير اليوناني ،فهي ترى التأثير واقعا بأشكال متعددة ،ونواح مختلفة"[3]حيث أمدت هذه الحركة المعتزلة بسلاح جديد استخدموه في مقارعة الخصوم ، وفي الذود عن أرائهم وأفكارهم ،وكان إمام هذا الاتجاه أبا الهذيل العلاف (ت 235 هـ / 849م (وتلميذه إبراهيم النظام (ت 231هـ/ 845م) أما الأول فقرأ كتب

1 أحمد مطلوب :معجم المصطلحات البلاغية وتطورها.مطبعة المجمع العلمي العراقي .1407ه-1998م.ج03 .ص198.

2 مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: 1356هـ): إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثامنة – 1425 هـ - 2005 م.ص187.

3 رامي جميل سالم: التأثير اليوناني في النقد والبلاغة العربيين، الناشر عالم الكتب الحديث، ط01. سنة 2014. ص69.

الفلاسفة وانتهج مناهجهم ، وأما الثاني فقد قال عنه الشهرستاني : أنه "قد طالع كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة»[1]

أثرت الفلسفة في البلاغة العربية وتسربت إلى مناهجها وتقسيماتها وتسمية مصطلحاتها، « فكثير من التطور أو التغير قد اخل البلاغة في مصطلحاتها ودلالاتها لا عبر هذا التاريخ الطويل، وتداولها في البيئات المختلفة من لدن اللغويين إلى طبقة الأدباء والكتاب ،فضلا عن الفلاسفة.»[2]حيث يتجلى ذلك بوضوح في كتب البلاغة العربية بعد جنوح الأدب إلى التقليد وسيطرة النزعة العقلية على مقاييسه البلاغية والنقدية.

1.3.3- المدارس الفلسفية ودورها في وضع المصطلح البلاغي

لعل من أبرز المتأثرين بهذه النزعة الفلسفية في الرؤية البلاغية فخر الدين الرازي من خلال كتابه نهاية "**الإيجاز في دراية الإعجاز**"وتبعه في ذلك أبو يعقوب السكاكي في المفتاح حتى شاعت مدرسة السكاكي في المناهج التعليمية عند البلاغيين أو المتكلمين على الأصح، ليأتي الخطيب القزويني، متأثرا بهذه الرؤية الفلسفية في الفهم البلاغي ليلخص رأي السكاكي في البلاغة و لم يأت بجديد يذكر، و لم يضف على قواعد السكاكي سالكا سبيل ما سلكه أبو المدرسة قبله. فمن هذه الزاوية يأتي تقدير الدور اللافت الذي لعبه أرسطو في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب ، خاصة في الجانب المتصل ببحثنا.

سلك قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر وهو من رجال المدرسة الكلامية. مسلكا فلسفيا في الفهم البلاغي، ففي هذا الكتاب نرى الطريقة المنطقية الكلامية جلية، إذ يتحدث قدامة عن المديح فينظر إلى مذهب أفلاطون في أصول الفضائل الأربع وأمهاتها فيقول: «إنه لما كانت فضائل

1 عبد المجيد أبو الفتوح بدوي. التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد .. دار الوفاء للطباعة والنشر. ط 2، 1988 م ، ص ــ45.

2 حلمي مرزوق: في فلسفة البلاغة العربية (علم المعاني). كلية الآداب دمنهور، 1999م. ص12.

الناس من حيث هم ناس، لا من طريق ما هم مشترك ونفيه مع سائر الحيوان، على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق في ذلك، إنما هي العقل والشجاعة والعفة، كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيباً، والمادح بغيرها مخطئاً»[1]

يؤكد شوقي ضيف من خلال كتابه البلاغة تطور وتاريخ قضية التأثير بأرسطو في البلاغة العربية وفي وضع مصطلحاتها، مبينا أن البلاغيين العرب وضعوا قواعد البلاغة ،على وفق الفهم الأرسطي في فن الشعر وفن الخطابة عنده، يقول شوقي «وعلى نحو ما تطور الشعر بتأثير الفلسفة ودقة الفطن ولطف مداخلها إلى المعاني والصيغ البديعة تطور النثر...وكان هناك كتاب آخرون يبالغون في التفلسف والتعمق في معانيهم وأخيلتهم، بل ربما تمادوا واستظهروا في كتابتهم بعض اصطلاحات الفلسفة والعلوم»[2] ومن هذا المنطلق نجد النزعة الفلسفية واضحة جلية عند السبكي في كتابه عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، «فالكتاب يتصل بذلك التيار الفلسفي الذي طالعنا منذالقرن الثالث هجري ،فتراه يسرف في مباحث التعريفات ،وإكمال التقسيمات ،ويفيض السبكي في شرح ما وقف عنده الخطيب القزويني من القضايا الموجبة المعدولة والمهملة والسالبة الكلية والجزئية وما يتصل بها»[3] .

بدأت قدم المتأثرين بالتيار الفلسفي في الثبات والرسوخ مع قدامة ابن جعفر،(ت337هـ)، حيث أفاد مما كتبه ابن المعتز مضيفا إليه بمنهج فلسفي بعيدا عن الروح الأدبية ، حيث تأثر فلسفيا في التقسيم والتفريع محاولا منطقة كل شيء .حيث نرى الأثر الأرسطي في حديثه عن الجنس والحد وغيرهما فيقول في كتابه نقد الشعر «إنه لما كان الشعر على ما قلناه لفظاً موزوناً مقفى يدل على معنى، وكان هذا الحد مأخوذاً من جنس الشعر العامل هو فصوله

1 قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (ت: 337هـ): نقد الشعر الناشر: مطبعة الجوائب – قسطنطينية الطبعة: الأولى، 1302ص 20.

2 شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ ، الناشر دار المعارف القاهرة. ط09. ص65

3 رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور. الناشر:منشأة المعرف بالأسكندرية. ط02. ص41.

التي تحوزه عن غيره،كانت معانيه ذا الجنس والفصول موجودة فيه،كما يوجد في كل محدود معاني حده، لأن الإنسان مثلاً يحد بأنه حين اطق ميت، فمعنى الحياة التيه يجنس للإنسان موجود في الإنسان، وهو التحرك والحس»[1]

إن هذه الرؤية الأرسطية التي نحاها قدامة ومعاصره إسحاق بن وهب في كتابيهما نقد الشعر والبرهان في وجوه البيان هي نتيجة التأثير الفلسفي الأرسطي «والأثر اليوناني واضح في كل ما كتب قدامة وفي نظراته النقدية وملاحظاته البلاغية.كما كتب معاصر قدامة إسحق بن وهب كتاب البرهان في وجوه البيان وفيه نرى التأثر بمنطق أرسطو وعلى وجه الخصوص في مبحثيه المنطق والجدل»[2]. فالتأثير واضح حينما يشير ابن وهب لمصطلحي الصدق والكذب في الشعر مستدلا بوصف أرسطو لهما فقال:«وللشاعر أن يقتصد في الوصف أو التشبيه أو المدح أو الذم، وله أن يبالغ، وله أن يسرف حتى يناسب قوله المحال ويضاهيه، وليس المستحسن السرف والكذب والإحالة في شيء من فنون القول إلا في الشعر. وقد ذكر أرسطاطاليس الشعر فوصفه بأن الكذب فيه أكثر من الصدق، وذكر أن ذلك جائز في الصياغة الشعرية»[3].

إن اتصال رجال البلاغة بالفلسفة أثر في توجيه الأبحاث البلاغية توجيها فلسفيا مما جعل بعض الباحثين يذهب إلى القول بأن البلاغة كانت وديعة في يد المتفلسفين على مر الدهر.ويركز قدامة كذلك على الفلسفة حين يفاضل بين المغالاة وغيرها فيقول: «إن الغلو عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما، وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: أحسن الشعر

1 قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (ت 337هـ)، نقد الشعر. الناشر: مطبعة الجوائب – قسطنطينية، ط: 01، 1302. ص06.

2 رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور. الناشر: منشأة المعرف بالأسكندرية. ط02. ص26.

3 أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تح :حفني محمد، الناشر: مكتبة الشباب (القاهرة) – مطبعة الرسالة، عام النشر: 1389 هـ - 1969 م. ص147.

أكذبه، وكذلك يرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم»[1]هذه الرؤية نجد أرسطو أن يميز الشعر عن غيره على أساس الوزن فحسب ، وقال «إن المؤرخ والشاعر لا يختلفان بأن ما يرويانه منظوم أو منثور ،فقد تصاغ أقوال هيرودوتس في أوزان فتظل تاريخا سواء وزنت أم لم توزن"وقد سلك أبو هلال العسكري حذو قدامة في اعتماد المنطق وإن لم يبالغ مثله، وذلك إذ ذهب إلى أن المدح إنما يكون بالفضائل الأربع، وأن الهجاء إنما يكون بسلب تلك الصفات المستحسنة التي تختصها النفس.[2]

يرى المتأثرون لعلم الأسلوب أن البلاغة العربية قد خضعت للمنطق اليوناني في تشكيل نظرياتها وتحديد مصطلحاتها، وكان من نتيجة ذلك سيطرة تلك النزعة المعيارية الصارمة على مباحثها ومصطلحاتها يقول سعد مصلوح في تقسيم علوم البلاغة "أكثر الأسلوبيين يرون أنّ المنطق الأرسطي القائم على مبدأ الحد والاستدلال هو الأساس المنهجي الضابط لتصنيف مباحث البلاغة العربية بتقسيماته المختلفة"[3] كما يشير عبد القاهر الجرجاني عن إمكانية هذا التأثير و التأثير في العلوم ،بل اعتبره من احترام الحضارة الإسلامية في تداخل العلوم فقال في قضية مصطلحي الحقيقة و المجاز مفرقا بينهما " فمن الحق الحد أن يكون بحيث يجري في جميع الألفاظ الدالة ، و نظير هذا نظير أن تضع حدا للاسم والصفة، في أنك تضعه بحيث لو اعتبرت به لغة غير لغة العرب وجدته يجري فيها جرياته في العربية، لأنك تحد من جهة لا اختصاص لها بلغة دون لغة ، ألا ترى أن حدك الخبر بأنه :ما احتمل الصدق و الكذب مما لا يخص لسانا دون لسان ، ونظائر ذلك كثيرة"[4]

---

1 قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (ت: 337هـ): نقد الشعر. الناشر: مطبعة الجوائب – قسطنطينية الطبعة: الأولى، 1302.ص19.

2العسكري (ت نحو 395هـ): الصناعتين. ص104بتصرف.

3 سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللّسانية آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت. ط1. سنة 2003م، ص70.

4 أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل،الجرجاني الدار (ت: 471هـ): أسرار البلاغة.قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر.الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة. ص 351.

2.3.3- حمادي صمود وقراءته لجهود القدامى في وضع المصطلح

لقد تبنى حمادي صمود البلاغة العربية بمفهومها الواسع (الشرقية والغربية القديمة والمعاصرة) وحاول قراءة مدونة البلاغة العربية حتى القرن السادس الهجري مركزا في ذلك بما يسميه الحدث الجاحظي، الذي يرى أنه أرسى قواعد البلاغة للبيان تعتمد على الحجاج و المنطق، مستنتجا أن هذه القراءة النقدية تتلخص إلى أقسام كبرى وهي المفاهيم والمنهج و الإجراء، ويقصد بالمفاهيم المصطلحات البلاغية فيقول: «جملة المصطلحات التي تمثل قمة الاستخلاص النظري المتمخض عن تحسس العلم ماهيته وسعي القائمين عليه إلى إيجاد أدوات عمل تختزن على اختصارها أدق أبعاده الأصولية»[1]

إن من أهم هذه المفاهيم التي أشار إليها صمود عند القدامى مصطلح الحقيقة والمجاز والبلاغة والفصاحة على اعتبار أن هذه المصطلحات عند القدامى تصب في اهتمامهم في بيان الدلالة،كون هذا الفن له تعلق كبير بعلم المعاني يقول صمود:«لعلم الدلالات بناء متطور ويثير الإعجاب في نطاق دراستهم الموسعة لعلم المعاني»[2].

يمكن القول أن تركيز القدامى على مصطلحي الحقيقة والمجاز كان مدخلا من مداخل تصورهم للخطاب الأدبي و خصائصه، في حين أن مصطلحي البلاغة والفصاحة « تسمح بتحديد ميادين الدراسة الأسلوبية و تكشف عن سبب بلاغة النص وجودته في رأيهم»[3] وهذا هو الذي أراده أبو هلال العسكري صاحب الصناعتين بقوله: «وقد علمنا أنّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف؛ وضمنّه من

[1] حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب ص 392

[2] المصدر نفسه: ص395

[3] حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب: ص433

الحلاوة، وجلّله من رونق الطّلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيّرت عقولهم فيها.»[1]

وعلى هذا نجد بعض «المصطلحات التي مثلت إشكالية عند العرب القدماء مثل التراجيديا التي جعلوها مديحا ،والكوميديا التي جعلوها هجاء ،والمحاكاة التي تحولت على أيديهم إلى لغة تصويرية مرتبطة بالأشكال البلاغية مثل التشبيه والاستعارة والغرابة الذي صار معناه تعجبا خاصة عند ابن سينا ،ومصطلح التخييل الذي انتقل من دائرة البحث الفلسفي إلى دائرة البحث البلاغي والنقدي ليصبح واحدا من أهم المصطلحات الرئيسية عند عبد القاهر والقرطجاني والسجلماسي»[2].

وهكذا نستطيع القول بالفلسفة اليونانية وتمظهراتها على البلاغة العربية سواء ما تعلق بالتقسيم أو المصطلح أو التوظيف المفاهيمي

[1] أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395هـ): الصناعتين .تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت. عام النشر: 1419 هـ.ص01 المقدمة.

2 رامي جميل سالم :التأثير اليوناني في النقد والبلاغة العربيين من منظور الدراسات العربية المعاصرة .عالم الكتب. ط01. سنة2014. ص21.

المبحث الثاني:جهود القدامى في وضع مصطلحات علوم البلاغة الثلاث :المعاني والبيان والبديع.

لقد انتهت البلاغة العربية اليوم إلى ما انتهت إليه من تجديد خاصة ما تعلق في إشكالية المصطلح ،وإذا أردنا للبلاغة ثوبا جديدا ورؤية معاصرة، خاصة ما تعلق ببحثنا في قضايا المصطلح البلاغي فعلينا أن نتمثل المقولة التي تقول إذا أردت أن تدرس الجديد فعليك أن تقتل القديم بحثا وهذا ما يؤيد نفس الرؤية التي أشار إليها مازن المبارك " ونحن نعتقد أنه إذا أردنا للبلاغة ثوبا جديدا فلابد لنا من فهم القديم الذي لم يعد يعجبنا ولا يرضي أذواقنا، إن التجديد نفسه يدعو إلى معرفة القديم ليكون تجديدا صادقا أصيلا ،وإنه لشتان ما بين تجديد مخلص ،يعرف القديم ويعمل على تطويره ، وتجديد يبدأ من جديد قاطعا كل صلة بالقديم وأصله "[1]

جهود القدامى في وضع مصطلحات : علم المعاني

أ/ علم المعاني :

بدأت البلاغة رحلتها عند القدامى الأوائل من غير تقسيم لعلومها الثلاث المعاني و البيان والبديع، وإنما كان الذوق هو الأساس في الحكم ،وإنما كان مصطلحات البلاغة متفرقة لا تنضبط وفق فن من فنون البلاغة الثلاث ، فحاولت من خلال هذا المبحث أن أتعرض ولو بشيء قليل لجهود القدامى في تحديد وتوزيع مصطلحات البلاغة على أبوابها الثلاث وما ينتمي لكل باب من المصطلحات.

عنونت الباحثة رجاء عبيد ، متعرضة لمباحث مصطلحات علم المعاني كونه هو الباب الأول من أبواب البلاغة العربية لإرتباطه بالنحو العربي ، فقالت " جذور التقنية في مباحث علم المعاني بين النحو والبلاغة" [2] ثم ساقت بعد ذلك قولا لإبن الأثير يفرق فيه بين عمل النحوي

[1] مازن المبارك : الموجز في تاريخ البلاغة ، دار الفكر ، ص.12

[2] رجاء عيد: فلسفة البلاغة بين التفنية و التطور : الناشر منشأة المعارف ، الاسكندرية ط2، ص.141

والبلاغي جاء فيه " أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي، وتلك دلالة عامة، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن وذلك أمر وراء النحو والإعراب، وألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنشور ويعلم مواقع إعرابه، ومع ذلك لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة "[1] ولذا نجد عبد القاهر الجرجاني يدرك تلك الصلة الوثيقة بين النحو والبلاغة، ولربما نجد في بعض الأحيان أن اسمه يلقب بالنحوي، يقول عنه السيوطي " عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي "[2].

ولذا ارتبطت نظرية النظم بعلم المعاني في البلاغة العربية عند عبد القاهر الجرجاني الذي بلور مفهومها، وأسس دعائمها حتى انتهت نسبة النظرية إليه، وقد كانت قبلة على محك النقد .

ب/ علاقة نظرية النظم بعلم المعاني :

ارتبطت نظرية النظم قبل الجرجاني بوصف الكلام على جهة التشبيه كما هو سائد في حقل اللغويين القدامى، فيروى عن ابن عباس أنه قال :" قدم الوليد بن عتبة المدينة فكان وجهه ورقة مصحف وكان منطقة نظم خرز فلم يبق بها راجل إلا حمله، ولا فقير إلا أعطاه" [3]. حيث أريد به طريقه اختيار عناصر الكلام و بناء بعضها على بعض ، ثم تتابعت هذه التصورات و الأفكار إلى أطوار من البحث والنظر إلى أن ضمها مصلح النظم في كونه نظرية عند الجرجاني، تفسر في ضوئها وجوه الإعجاز القرآني على توخي معاني النحو فيقول:" اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو و تعمل على قوانينه و أصوله و تعرف مناهجه

---

[1] ابن الأثير الكاتب (ت637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة و النشر ـبيروت، عام 1420هـ ص.26

[2] جلال الدين السيوطي (ت911هـ): بقية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر المكتبة العصرية لبنان ـصيدا ، ج2 ،ص.106

[3] المبرد (ت 285هـ) :الفاضل ، الناشر دار الكتب المصرية القاهرة ، ط3، عام 1421هـ ، ص 118 .

التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيئ منها "[1] وبالتالي تظهر الطاقة التعبيرية و الجمالية بمعان متجددة تجدد اختلاف السياقات اللغوية، فيختلف التعبير و الجمال البلاغي من شاعر إلى شاعر بحسب قدرته على وضع اللفظة المناسبة في المكان المناسب وفق قواعد النحو كي يتحقق لها النظم ،وسبيل الوصول إلى هذا أشار إليه الجرجاني "سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش ، فكما أنك ترى الرجل قد تهدى في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التخير والتدبر في أنفس الأصباغ ،و في مواقعها ،و مقاديرها ، و كيفية مزجه لها ،و ترتيبه إياها إلى ما لم يتهد إليه صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب ، وصورته أغرب كذلك حال الشاعر و الشاعر في توخيها معاني النحو ووجوهها التي علمت أنها محصول النظم "[2].

وبهذا يمكن القول بأن عبد القاهر الجرجاني هو واضع نظريتي علم المعاني وعلم البيان ، فالأولى تعرض لها في كتابه دلائل الإعجاز والثانية في أسرار البلاغة ، وكان وضعه لهذين العلمين وضعا علميا يقوم على الذوق الفني والحسن الجمالي غير أن الفصل بين مصطلحات علوم البلاغة الثلاث البيان والمعاني والبديع، لم تأخذ شكلها النهائي في تقسيمها يقول شوقي ضيف :"تقترن بكلمة البيان في دلائل الإعجاز كلمتا الفصاحة والبلاغة و كأنهما جميعا ذات دلالة واحدة " [3] كما أعتبر مصطلح الإستعارة قسما من أقسام البديع في كتابه أسرار البلاغة " و أما التطبيق والإستعارة وسائر أقسام البديع "[4].

[1] الجرجاني (ت471ه): دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح ياسين الأيوبي، الناشر المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ط1، ص26.

[2] الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص122.

[3] شوقي ضيف : البلاغة تطور و تاريخ .ص161.

[4] الجرجاني (ت471ه) : أسرار البلاغة : علق عليه محمود محمد شاكر، الناشر، مطبعة المدني القاهرة، ص 20.

إن المتتبع في تاريخ تطور الدرس البلاغي إلى غاية التقسيم الثلاثي يجد أن هناك جملة من المؤثرات التي وجهت البلاغة العربية وأثرت في نضجها ، وخاصة خلال القرون السبعة الأولى ، ومن أهم هاته المؤثرات والعوامل التي ساعدت في التقسيم الثلاثي نوضحها على النحو التالي :

1_ مدرسة الأصوليين والمفسرين :

أثر القرآن الكريم في توجيه الرؤية المصطلحية البلاغية وخاصة ما تعلق بقضية الاعجاز، وهو ما كان مدعاة لبعض القدامى في تأليف كتب تتناول ذلك، لأن الغاية من دراسة البلاغة هي فهم الخطاب القرآني يقول ابن خلدون " وأعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة و مفهومة و هي أعلى مراتب الكمال مع الكلام فيما يختص بالألفاظ في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن إدراكه"[1]، ومن أحسن من تعرضوا للإعجاز ودراسته والوقوف على أسراره ومضامينه في القرآن الكريم الواسطي صاحب كتاب " إعجاز القرآن في نضمه وتأليفه "والرماني صاحب" النكت في إعجاز القرآن " والخطابي مؤلف "بيان إعجاز القرآن " والباقلاني في كتابه " إعجاز القرآن " والقاضي عبد الجبار خص جزءا من كتابه للإعجاز "المعنى في ابواب التوحيد و العدل" ولهذا اشتغل المفسرون على بيان معاني القرآن الكريم و الوقوف على أسراره، وسبر أغواره البلاغية، كونه نزل بلسان عربي، فيقول الطبري "فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المترل على نبينا محمد _ص_ لمعاني كلام العرب موافقة وظاهرة لظاهر كلامها ملائما ... فإذا كان ذلك كذلك ، فبين " إذ كان موجودا في كلام العرب الإيجاز و الاختصار و الاجتزاء بالإخفاء من الإظهار، وبالقلة من الإكثار في بعض الأحوال، وعن الكناية والمراد منه المصرح وعن

[1] ابن خلدون (ت808هـ) : ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح خليل شحادة، الناشر دار الفكر بيروت، ط02، 1408ه/1988م، ص 762.

الصفة و المراد الموصوف ، وعن الموصوف و المراد الصفة ...." [1] كما نجد الزمخشري يفسر القرآن تفسيرا اعتمد فيه البلاغة سبيلا للكشف عن معاني كتاب الله تعالى، وها هو العلوي يبين سبب تأليفه في كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز على أنه تغير اعتمد فيه على علمي المعاني و البديع فقال : " ثم إن الباحث على تأليف هذا الكتاب هو أن جماعة من الإخوان شرعوا علي في قراءة كتاب " الكشافة "...لأني لا أعلم تفسيرا مؤسسا على علمي المعاني و البيان سواه ، فسألني بعضهم أن أملي فيه كتابا يشتمل على التهذيب و التحقيق" [2].

يشير الإمام السبكي إلى تداخل علم الأصول بالبلاغة العربية خاصة ما تعلق بعلم المعاني كون الأصوليين أثروا الدرس البلاغي و خاصة ما تعلق بقسم علم المعاني يقول السبكي (ت773هـ) "واعلم أن علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل فإن الخبر و الإنشاء اللذين يتكلم فيهما علم المعاني، هما موضوع غالب الأصول وإن كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب النهي للتحريم ،ومسائل الأخبار ،و العموم والخصوص والإطلاق التقييد والإجمال التفصيل والتراجيح، كلها ترجع إلى موضوع علم المعاني "[3]، هذا الاهتمام الذي نجده عند الأصوليين والفقهاء ،فيما تعلق بمباحث البلاغة العربية، وتوظيفهم لمصطلاحاتها في علم الدلالة والاستنباط الشرعي، "دفع بالبلاغيين أنفسهم إلى إعادة الرؤية في التقييد والتقسيم للحاجة إليه في استنباط الأصول والأحكام "[4].

---

[1] الطبري (310هـ) جامع البيان في تأويل القرآن تح : أحمد محمد شاكر، الناشر مؤسسة الرسالة، ط01 / 1420هـ/ 2000م ،ج1/ص12

[2] العلوي (745هـ) : الطراز لأسرار البلاغة، علوم حقائق الإعجاز، الناشر المكتبة العصرية، بيروت،ط1، ج1، 1423ه، ، ص07.

[3] بهاء الدين السبكي (773هـ) : عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح، تح عبد الحميد هنداوي، الناشر المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت _لبنان ،ط1/1423هـ/2003،ج1 ص 48

[4] أحمد مطلوب، البحث البلاغي عند العرب، دار الجاحظ للنشر، بغداد، ص 27 بتصرف

2_ مدرسة اللغويين و النحاة :

احتدم الصراع قديما بين النحويين واللغويين فأفاد ذلك الأدب العربي القديم و أثر في نشأة البلاغة العربية و عمل على تطويرها ، فلقد ذكر أبو عبيدة كثيرا من قواعد البلاغة العربية ومصطلحاتها في كتابه مجاز القرآن والمبرد في كتابه الكامل وغيرهم كثير يقول أحمد مطلوب " ومن النحاة الذين كانت لهم مشاركات بلاغية أبو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر المشهور بسيبويه، فقد تحدث في كتابه المعروف عن الأساليب العربية، وتعرض لبعض فنون البيان "[1]، كما نجد من الأوائل الذين اهتموا بالتقسيم البلاغي المبكر عبد الله ابن المعتز في كتابه البديع حيث يقول: "وألوان البديع عند ابن المعتز خمسة: الإستعارة – التجنيس – المطابقة – رد للعجز على الصدر – المذهب الكلامي، ويجعل ما عدا ذلك من محاسن الكلام و الشعر و يقول أنها كثيرة "[2] فالتقسيم عند ابن المعتز يراه في اثنين الأول خمسة مصطلحات وتنتمي لقسم البديع وما عداها فهي من محاسن الكلام التي يراها في " الالتفات، الاعتراض، الرجوع، حسن الخروج، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تجاهل العارف، الهزل الذي يراد به الجد، حسن التضمين، التعريض و الكناية، الإفراط في الصفة، حسن التشبيه، لزوم ما لا يلزم حسن الابتداء" [3].

ومن الذين عنوا بتقسيم البلاغة في العصور الأولى للنشأة ابن فارس (395هـ)، اللغوي الذي عقد فصلا في كتابه الصاحبي بابا سماه بباب معاني الكلام ورأى أن علم المعاني هو عشرة فقال : " وهي عند بعض أهل العلم عشرة : خبر واستخبار، وأمر ونهي، ودعاء وطلب، وعرض وتخفيض، وتمن وتعجب" [4] ولعل هاته الوقفات البلاغية عند الأوائل من النحويين واللغويين أسهمت بحق في بعث الدرس البلاغي، واتضاح الرؤية للتقسيم الثلاثي الذي سيكون عليه

[1] أحمد مطلوب، البحث البلاغي عند العرب، ص 29.

[2] ابن المعتز (ت226): البديع في البديع ، دار الجيل، ط1، 1410هـ/1990م، ص 22.

[3] المصدر نفسه، ص 22.

[4] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ابو الحسين (ت 395ه): الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الناشر محمد علي بيضون، ط01، 1418ه/ 1997م، ص133.

مصطلحات البلاغة فيما بعد القرن السابع الهجري ولعل أفضل نحوي أسهم بحق في البلاغة العربية هو عبد القاهر الجرجاني الذي كانت نظرية النظم على يديه، يقول أحمد مطلوب :" وكانت نظرية النظم أعظم ما وصل إليه العرب القدماء"[1]

3 _ مدرسة الشعراء و الكتاب :

لا يخص على أي باحث في ميدان أدب العرب أن يتجاهل الدور الكبير الذي لعبه الشعر في ثراء اللغة العربية عامة والبلاغة خاصة بمصطلحات فنية جمعت بين الحسن اللغوي العلمي والذوق الفني الجمالي، يقول ابن وثيق مبينا مكانة الشعراء وما قدموه وأثروا به البلاغة العربية " أهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته من نحو وغريب ومثل وخبر وما أشبه ذلك "[2] ولذا ألف ابن طباطبا عيار الشعر وبحث فيه عن الصناعة الشعرية، كما ألف قدامة ابن جعفر نقد الشعر للوقوف على الميزان الذي نقاس به البلاغة في الشعر، ومالقبة الحمراء التي كانت تضرب للنابغة في سوق عكاظ إلا دليل على أهمية الشعر في العصر الجاهلي، فقد عرفوا من خلال هاته الأندية والأسواق الكثير من البلاغة، لكل البلاغة الفطرية التي تقوم على الذوق والفن حيث عرفت على يد الشاعر ابن المعتز باسم البديع من دون تقسيم لعلومها و مصطلحاتها، ولقد بين الجاحظ كيف كان الشعراء يزينون كلامهم فقال: " ووصفوا كلامهم في أشعارهم فجعلوها كبرود العصب ، وكالحلل والمعاطف والديباج و الوشيئ و أشباه ذلك"[3] ، وقد سموا قصائدهم بالمنقحات والمحكمات وغيرها إشارة إلى مكانة قائله و نبوغه في الشعر نوه على ذلك الجاحظ فقال : " ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا وزمنا طويلا يردد فيها نظره ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه إنها ما لعقله وتتبعا على نفسه ... وكانوا يسمون كل القصائد :

---

[1] أحمد مطلوب : البحث البلاغي عند العرب، ص 41.

[2] ابن رشيق القيرواني (ت463هـ): العمدة في محاسن الشعر و آدابه، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل، ط5 / 1401هـ/1981م ، ج1، ص117 .

[3] الجاحظ ت (255هـ):البيان و التبيين، ج1، ص190.

الحوليات ، والمقلدات ، والمنقحات ، والمحكمات ليصير قائلها فحلا حنذيذا وشاعرا مخلقا "[1]، كما أن مراتب الشعراء و طبقاتهم أربع : " فأولهم الحنذيذ هو التام ... ودون الفحل الخنذيذ الشاعر المفلق ودون ذلك الشاعر فقط، والرابع الشعرور ولذلك قال الأول في هجاء بعض الشعراء :

يا رابع الشعراء كيف هجوتني ... و زعمت أني مفحم لأنطق

فجعله سكيتا مخلفا ومسبوقا مؤخرا "[2] وعلى الرغم من هذا كله، لم يقف الدارسون في الحقل البلاغي أن هاته المجالس التي يحتكمون فيها لم تكن على أساس بلاغي محض، و لم تكن المعالم البلاغية ومصطلحاتها وفق علومها الثلاث هي مناط الحكم عندهم، وإنما حكم أساسه الذوق والسليقة والفطرة، إلا أن شوقي أشار إلى أنه في مطلع القرن الثالث هجري مذهبان في الشعر: " مذهب أبي تمام الذي كان يعني بتأثير الفلسفة و غيرها من ضروب الثقافة بالتعمق في معانيه، كما كان يعني محسنات البديع حتى ليسرف فيها إسرافا شديدة، ومذهب البحتري الذي لم يكن يأخذ نفسه بفلسفة ولا بثقافة، حتى يكاد يلحق بالأوائل وهو مع ذلك كان يستخدم محسنات البديع ولكن دون إسراف أو إفراط"[3]

أما الكتاب فقد كان أثرهم واضح غي بلورة مصطلحات البلاغة وتطورها وهم كما قال صاحب العمدة " طلبة الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا يتقن إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب محمد بن عبد الملك الزيات "[4].

---

[1] الجاحظ ت (255هـ):البيان و التبيين: ج2، ص08 .

[2] المصدر نفسه: ج 2 ، ص 09.

[3] شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط09، ص120.

[4] ابن رشيق (ت463هـ) ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر دار الجيل ط5 ، 1401هـ/1981م ج2 ص105 .

لقد كان الجاحظ من أوائل الكتاب الذين اعتمدوا على القواعد البلاغية ومصطلحاتها أكثر حسن اعتماده على الذوق و الجمال، كما كان الأثر الكبير لابن الأثير، حيث كان من أكثر الكتاب تأثيرا في البلاغة العربية في كتابيه : المثل السائر، والجامع الكبير يقول مطلوب: " و كان ضياء الدين ابن الأثير من أكثر الكتاب أثرا في البلاغة فقد ألف عدة كتب فيها، ولكن كتابيه " المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر " و" الجامع الكبير " من أروع ما ألف في هذا الفن وتتجلى أهمية ابن الأثير البلاغية في أنه مارس الكتابة زمنا طويلا وكان من أبرز الكتاب في عهد الدولة الأيوبية "[1]،

ولقد تعرض في كتابه المثل السائر لعلوم البيان فقال في مقدمة الكتاب " فإن علم البيان لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للأحكام و أدلة الأحكام وقد ألف الناس فيه كتابا وجلبوا ذهبا وحطبا، وما من تأليف إلا وقد تصفحت شينه وسينه" فكان بحق خير من أفاد في الجوانب البلاغية جمعا ودراسة خاصة ما تعلق بقضايا المصطلح يقول عبد العزيز عتيق " ولعل خير من أفاد من ملاحظات الجاحظ البلاغية وبني عليها وطورها هو ضياء الدين بن الأثير المتوفي سنة 637 للهجرة ، في كتابه " المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر""[2].

لقد وجهت هذه المدارس البحث البلاغي توجيها علميا تحدد معه مفهوم المصطلح البلاغي، وأخذ كل مصطلح صورته النهائية عند البدايات الأولى للتأليف البلاغي ، مرور بمرحلة الازدهار و التطور على يد الجرجاني و انتهاء في التقسيم الثلاثي مع السكاكي و الخطيب القزويني بعده.

[1] أحمد مطلوب: البحث البلاغي عند العرب، منشورات دار الجاحظ، بغداد، 1982، ص 48 .

[2] عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، سنة 1405هـ_1985م، ص 11.

1.1/ علم المعاني النشأة و التطور:

هو علم من علوم البلاغة الثلاث، أطلق على بعض الوجوه البلاغية التي احتوت على مصطلحات تعلقت بالجمل وما يعتريها من تغيير، ولقد كان قبلا يتعلق بالدراسات القرآنية أو الشعرية فنجد بعض مؤلفات القدامى في هذا الجانب ومن ذلك نذكر مثلا: معاني القرآن للفراء (ت207هـ) ومعاني الشعر للمفضل الظبي (ت170مـ)، ولعل الناظر في التاريخ الأدبي يلمس أول إشارة لمصطلح المعاني، القريب من المفهوم البلاغي عند النحويين كالسيرافي (ت368هـ) ، ولكن المعول عليه في الدراسات البلاغية أن عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) هو أول من قسم البلاغة إلى علمي المعاني و البيان، حيث سمى علم المعاني باسم النظم يقول شوقي ضيف: "وواضح من ذلك أن عبد القهار الجرجاني كان يرى علوم البلاغة علما واحدا تتشعب مباحثه، وسمى في الدلائل علم المعاني باسم النظم و هو اصطلاح يشيع في بيئة الاشاعرة، إذ كانوا يعللون إعجاز القرآن بنظمه "[1]

وإذ رجعنا إلى القرن الرابع نجد ابن فارس (ت 395هـ) عقد في مؤلفه الصاحبي بابا خصه بمعاني الكلام إذ يقول عنه شوقي ضيف :" و بذلك يكون ابن فارس أول من أطلق معاني الكلام على مباحث الخبر و الإنشاء التي أصبحت أهم أبواب علم المعاني"[2]، وهذه التسمية عند ابن فارس(ت 395هـ) لم يقصد بها الجوانب البلاغية وإنما هي تسمية نحوية محضة حيث إن تطور هذه الرؤية إلى الجانب البلاغي كانت على يد الجرجاني في نظرية النظم، إذ أن موضوعات علم المعاني أو معاني النحو أو النظم "إذ كان لا يكون النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما

[1] شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص161.

[2] شوقي ضيف، معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، مطبوعات المجمع العلمي العراقي بغداد، 1983_1987 ، ج3 ص277.

بين الكلم، كان من أعجب العجب أن يزعم زاعم أنه يطلب المزية في النظم ثم لا يطلبها في معاني النحو وأحكامه التي النظم عبارة عن توخيها بين الكلم "[1].

إن هذه الرؤية الناضجة للجرجاني في توخي معاني النحو لتحقيق الجوانب البلاغية في الكلام، نلمسها كذلك في سعة الفكر لديه إذ انه يرى توخي معاني النحو أو النظم هو قانون حتمي لتشكيل المصطلح البلاغي، وتحقيق بلاغة النص أو الخطاب، يقول في هذا الشأن " الاستعارة، والكناية، والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها مقتضيات النظم وعنه يحدث وبه يكون لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو، فلا يتصور أن يكون هنا فعل واسع قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره"[2]، فترتيب الألفاظ والكلمات في نسق نحوي سليم هو الذي يؤلف معاني راقية، فلا يمكن أن تكون هناك مصطلحات بلاغية إن لم تثبت نحويا وتسند إلى بعضها وفق قواعد النحو العربي وهذا هو النظم.

لقد تعرض الزمخشري بالذكر لعلمي المعاني و البيان في مقدمة تفسيره كونه يركز على الجوانب البلاغية فيه، غير أنه لم يحدد أو يضع قواعده، إلا أنه اشترط في تفسير القرآن وإدراك حقائقه البراعة في هذين العلمين فقال في مقدمة تفسيره " ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهي علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة "[3] وعمل الزمخشري على تحقيق معاني القرآن والاستدلال على حقائقه وفق ما يقتضيه علم المعاني، فنجده من حين إلى آخر يعمل على تفسير بعض الآيات و يستدل على ذلك بلاغيا و ما يقتضيه هذا العلم فيقول في تفسير الآية الثانية و السبعون بعد المائة

[1] الجرجاني (ت471هـ) : دلائل الإعجاز .ص 393.392.

[2] المصدر نفسه: ص 393.

[3] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ):الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت. الطبعة: الثالثة - 1407 هـ. المقدمة ص02.

من سورة النساء "على أن المعنى ، ولا من فوقه ؟ قلت : من حيث إن علم المعاني لا يقتضي غير ذلك"[1].

على ضوء ما تقدم يمكن القول أن علم المعاني اتضح وظهرت معالمه على يد الجرجاني ، وهو واضع أصول هذا العلم، وهو من جمع ملاحظات الذين سبقوه، فكان جهده أعظم جهد في نشأة علم المعاني بل حتى أن الذين جاءوا من بعده لم يغيروا فيه يقول عبد العزيز عتيق: "و العجيب أنه لم يحدث بعده تغيير يذكر في هذين العلمين لأنه استطاع أن يستنبط من ملاحظات البلاغيين قبله، كل القواعد البلاغية فيهما "[2] كما أن الزمخشري بتطبيقاته لهذا العلم وضح الرؤية للسكاكي في حصر مصطلحات علم المعاني وفق قواعد جامدة الهدف منها الجانب التعليمي أكثر منه الذوق البلاغي وذلك راجع للغموض الذي اكتسى البحث البلاغي بعد الجرجاني حينما راح البلاغيون يقرؤون منجز الجرجاني ولا يتجاوزونه إلى الإبداع سوى التلخيص و جمع القواعد والشروحات التي اكتنفها الغموض نتيجة إلى أن هذا العلم لا يمكن حصر قواعده عند بعض البلاغيين بعد الجرجاني يقول عبد العزيز عتيق: "جهد البلاغيين من بعده – الجرجاني- انحصرت في جمع قواعد علم البلاغة التي وضعها، و في ترتيب أبوابها و اختصارها، وكان هذا الاختصار يصل أحيانا من الغموض و الصعوبة إلى حيث يحتاج إلى شرح يوضح غامضه "[3] فالذين جاءوا بعد الجرجاني كلهم تأثروا به وعكفوا على مؤلفيه الدلائل والأسرار شرحا وتلخيصا، ووقوفا عند المعاني الراقية و المصطلحات البلاغية وكيفية تأليفها وفق نظرية النظم، فكان من أوائل تعرض بالتلخيص لكتاب دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة، فخر الدين الرازي (ت606هـ) وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز.

[1] الزمخشري جار الله (ت: 538هـ):الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: جَ1 ص 596 .

[2] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة، بيروت لبنان، ط1، 1430هـ/2009م ص26.

[3] علم المعاني ـ عبد العزيز عتيق ، ص26 .

و بهذا يمكن القول أن عبد القاهر الجرجاني(ت471 هـ)هو مؤسس علم المعاني ببعده البلاغي الشامل في كتابه دلائل الإعجاز ليأتي السكاكي في القرن السابع إلى وضع القواعد و التقسيمات كنتيجة للغموض الذي اكتنف علوم البلاغة بعد فترة الجرجاني فكان أول من استخدم مصطلح علوم المعاني للدلالة على حقل بلاغي يحوي مجموعة من المصطلحات البلاغية التي تنطوي تحت هذا العلم و قد عرفه فقال: "اعلم أن المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطافي تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره "[1]، ثم عرج بعد ذكر هذا التعريف مفسرا بفهم واع لوجوه ومصطلحات علم المعاني التي تناولها الجرجاني في نظرية النظم.

هذه الرؤية لدى السكاكي في تعريف علم المعاني ، وشرحه ، لم يوردها الخطيب القزويني (ت739 هـ) بل رأى أن تعريف السكاكي فيه نظر. وعرفه تعريفا يلمس نوعا ما بتعريف البلاغة نفسه حيث يقول: "هو علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال "[2] إذ أن مقتضى الحال هي من خاصية البلاغة كما مر بنا في تعريفها من قبل وهي تشمل ما ينطوي تحت العلوم الثلاثة المعاني والبيان والبديع لا علم المعاني وحده كما يرى القزويني، وهكذا يتجلى انفصال معاني النحو إلى علم المعاني، ففصلوا بين النحو ومعانيه "وعلى هذا النحو من الحصر والتحديد استحالت "معاني النحو" التي ضمنها عبد القاهر نظريته في النظم إلى علم المعاني، فانفصل بذلك النحو عن معانيه، حتى استحالا بآخرة إلى ملخصات وتقريرات مما أضر بالنحو والبلاغة معا "[3].

و لقد قام القزويني بحصر مصطلحات علم المعاني في ثمانية أبواب فقال " المقصود من علم المعاني منحصر في ثمانية أبواب أولها : أحوال الإنشاء الخبري و ثانيها أحوال المسند إليه وثالثها

[1] السكاكي ت 626هـ، مفتاح العلوم، ط2، 1407ه/ 1987م ص 163 .

[2] القزويني(ت739هـ) الإيضاح في علوم البلاغة، ص 52.

[3] احمد سعيد محمد، مدخل إلى البلاغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2013، ص 74 .

أحوال المسند، ورابعها أحوال متعلقات الفعل وخامسها القصر وسادها الإنشاء وسابعها الفصل والوصل وثامنها الإيجاز والإطناب والمساواة "[1]

2/ علم البيان النشأة و التطور :

لقد مر علم البيان بذلك المفهوم العام عند نشأته وقد كانت مؤلفات القدامى من علماء اللغة العربية يطلق عليها اسم البيان إذ يمكن القول أن مصطلح البيان اتخذ ذلك المفهوم الفني العام في المرحلة الأولى من النشأة و الظهور، و لعل بدايات التشكل بالمعنى البلاغي كانت في العصر العباسي مع الجاحظ في كتابه "البيان و التبيين" و قيل أن واضعه الأول هو أبو عبيدة في كتابه " مجاز القرآن " حيث يقول المراغي " أول من دون مسائل هذا العلم – علم البيان– أبو عبيد ابن المثنى في كتابه " مجاز القرآن" وتبعه الجاحظ وابن المعتز وقدامة ابن جعفر وأبو هلال العسكري وما زال يشدو شيئا فشيئا حتى جاء الإمام عبد القاهر فاحكم أساسه وشيد بناءه "[2]، غير أن الملفت للنظر أن مجاز القرآن لأبي عبيدة بن المثنى (ت 210 هـ) الذي عاصر القراء (ت207 هـ) كلاهما تعرض لبعض الصور البيانية ولكن على غير الطريقة البلاغية وإنما هي تأويل لبعض آيات الكتاب الحكيم وإن وردت بعض المصطلحات البلاغية فهي عبارة عن إشارات نحوية يقول عتيق: " ومع ما اهتدى إليه كل من القراء وأبي عبيدة من السمات والخصائص البيانية فان مدلولاتها البلاغية لم تتبلور وتحدد في ذهن أي منهما، أو أي من اللغويين والنحاة المعاصرين لهما ".[3]

فالجاحظ (ت255هـ) هو من استعمل مصطلح البيان في مؤلفه الشهير غير أنه لم يقصد به المصطلح وإنما المفهوم البلاغي العام حيث جمع فيها أقوال من سبقوه ومن عاصروه مركزا في

[1] القزويني ت 739هـ، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 55.

[2] علوم البلاغة "البيان ،المعاني ،البديع "، أحمد ابن مصطفى المراغي، دون دار النشر، د_ س، ص 209.

[3] عبد العزيز عتيق: علم البيان، الناشر دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، عام 1405هـ/ 1982م ص9

ذلك على الأبعاد البلاغية، ولقد زاد اتساع الرقعة الإسلامية في عهد العباسيين وتأثير القرآن الكريم على ضوء الدراسات والتفاسير التي خدمته، والدراسات الكلامية التي ظهرت، خاصة المعتزلة منهم هذا الذي جعل الحياة العقلية والفكرية تنتقل إلى نوعية جديدة، تعنى بشؤون اللغة والبيان والبلاغة وكان من هؤلاء الذين حازوا قضب السبق الجاحظ في كتابه البيان والتبيين حيث ظهرت بوادر دخول مصطلح البيان ضمن دائرة البحث البلاغي العام وهو من كشف عن معناه فقال "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويحصل على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان و من أي جنس كان الدليل لأن مدار الأمر و الغاية التي يجرى القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام، و أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع "[1]

وبهذا يكون الجاحظ أول من استعمل مصطلح البيان استعمالا بلاغيا بمفهومه العام حيث ركز فيه على أصناف الدلالات على المعاني وجعلها في خمسة أنواع على النحو التالي جمعها في قوله " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبة"[2]، ثم تعرض لها شرحا وبيانا مركزا على أهمية اللفظ جاعلا منه أهم وسائل البيان، كما بين الجاحظ العلل التي تعترى البيان و تعوق وظيفة الإفهام مركزا على أهمها كالفأفأة والتمتمة واللجلجة والحبسة والنحنحة والسعلة...الخ وخصها بباب مستقل سماه باب عيوب البيان [3]، وتعرض بالذكر لجملة من المصطلحات البيانية في التفريق بينها : "قد خطا الجاحظ خطوة غير مسبوقة في ملاحظاته البلاغية،

[1] الجاحظ ت255هـ، البيان والتبين، ج1، ص.82.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص.82.

[3] ينظر المصدر نفسه، ج1، ص.38.

وذلك بالكلام عن التشبيه والاستعارة عن طريق النماذج، مع التفريق بينهما،كما استعمل «المثل» مرادفا للمجاز، وجعله مقابلا للحقيقة"[1].

ولو تحولنا قليلا عند ابن وهب الكاتب ،لم نجد اختلافا كثيرا مع الجاحظ في نظرته لأقسام البيان، حيث جعلها في أربعة أنواع كل نوع تعرض له في باب مستقل .

فالباب الأول لبيان الاعتبار والثاني لبيان الاعتقاد، والثالث لبيان العبارة، والرابع البيان بالكتاب.

فبيان الاعتبار عند ابن وهب قصد منه التأمل والاعتبار فقال: "إن الأشياء تبين بذواتها لمن تبين، وتعبر بمعانيها لمن اعتبر، وإن بعض بيانها ظاهر،وبعضه باطن"[2].

أما بيان الاعتقاد فقصد منه القطعي الذي لا نقاش فيه، حيث"إن الأشياء إذا تبينت بذواتها للعقول، وترجمت عن معانيها للقلوب، صار ما ينكشف المتبين من حقيقتها معرفة وعلماً مركوزين في نفسه. وهذا البيان على ثلاثة أضرب: فمنه حق لا شبهة فيه،ومنه علم مشتبه يحتاج إلى تقويته بالاحتجاج [فيه]،ومنه باطل لا شك فيه"[3].

وأما البيان بالعبارة فهو النطق باللسان يقول ابن وهب:"فأما البيان بالقول، فهو العبارة، وقد قلنا: إنه يختلف باختلاف اللغات وإن كانت الأشياء المبين عنها غير مختلفة في ذواتها، وإن منه ظاهراً وإن، منه باطناً، وأن الظاهر منه غير محتاج إلى تفسيره، وإن الباطن هو المحتاج إلى التفسير، وهو الذي يتوصل إليه بالقياس والنظر والاستدلال والخبر"[4] وفي تعريفه للبيان بالكتاب ويقصد من ذلك التأليف والكتابة فيقول: "فإنه لولا الكتاب الذي قيد علينا أخبار من مضى من الرسل، ونقل

1 عبد العزيز عتيق: علم البيان. الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. الطبعة: د.ط.عام النشر: 1405 هـ - 1982 م.ص10.

2 أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان. تح حفني محمد شرف. الناشر: مكتبة الشباب (القاهرة) – مطبعة الرسالة. عام النشر: 1389 هـ - 1969 م. ص65.

3ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان. تح حفني محمد. ص86.

4المصدر نفسه. ص92.

إلينا ما أتوا به من الكتب لما قامت – لله سبحانه – حجة علينا إذ كنا لمن شاهدهم، ولمن سمع حججهم، ولمن عاين آياتهم. وانقرضت العلوم والروايات بانقراض أهلها، وموت من تحملها، و لم يبق في أيدي الناس من ذلك، ومن أخبار الماضيين، وآثار المتقدمين إلا اليسير مما يلقاه الخلف عن السلف"[1] وتبع ابن وهب الرماني (ت386 هـ) في هذه الرؤية والتقسيم لأنواع البيان فقال: "البيان هو الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك. والبيان على أربعة أقسام: كلام , وحال , وإشارة , وعلامة"[2].

استطاع ابن وهب أن يضيق المفهوم العام لمصطلح البيان ويجعله مراتب أعلاها ما اجتمعت فيه آليات الحسن مع القبول لدى المتلقي"وحسن البيان في الكلام على مراتب: فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان وتتقبله النفس تقبل البرد، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة. والبيان في الكلام لا يخلو من أن يكون باسم أو صفة أو تأليف من غير اسم للمعنى أو صفة."[3].

وهذا الذي مهد الطريق أمام الجرجاني، للوقوف على المراد والمقصود من هاته المصطلحات الفصاحة والبلاغة، والبيان والبراعة إذ يراها مصطلحات بيانية الهدف منها الوضوح والكشف عن الحقيقة، يقول الجرجاني "و لم أزل منذ خدمت العلم، أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة، والبيان والبراعة، وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها، فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج، وكما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه، وتوضع لك القاعدة لتبني

1 ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان. تح حفني محمد. ص254.

2 علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت: 384هـ): النكت في إعجاز القرآن. مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (16)]تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام. الناشر: دار المعارف بمصر. الطبعة: الثالثة، 1976م.ص106.

3 ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان. تح حفني محمد شرف. ص107.

عليها؛ ووجدت المعول على أنها هنا نظما وترتيبا، وتأليفا وتركيبا، وصياغة وتصويرا، ونسج أو تحبيرا، وأنسب لهذه المعاني في الكلام الذي هو مجاز فيه، سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها."[1]

رغم عدم وضوح الرؤية نوعا ما عند الجرجاجي في تحديده لمصطلحات علم البيان إلا أنه أغنى الساحة العربية بكتابه أسرار البلاغة، الذي وضع من خلاله نظرية علم البيان، يقول عبد العزيز عتيق: "والحقيقة إنّه فريد في بابه – أسرار البلاغة –فهو بحث في البيان العربي غير مسبوق ولا ملحوق، وإنّه ليدل فيما يدل على ألمعية صاحبه، وغزارة علمه، وسلامة ذوقه، وعقليته الجبارة المبتكرة. و«أسرارالبلاغة»باستثناء ما ورد فيه عن الجناس، والسجع، والاتفاق في الأخذ والسرقة عند الشعراء، هو بحث أصيل عميق في أصول علم البيان من حقيقة ومجاز، واستعارة، وتشبيه. وإن كان لم يتكلم فيه عن الكناية"[2].

رغم محاولات الرماني في تضييق مصطلح البيان والجرجاني في تدقيقه وجعله شاملا للفظ والمعنى، إلا أن بوادر ظهور المصطلح على أساس علمي كانت مع الزمخشري حين راح يبين أهمية علمي المعاني والبيان لتفسير القرآن الكريم إذ يقول في هذا الجانب في مقدمة تفسيره: "ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ"[3].

---

1 عبد القاهر الجرجاني الدار (ت: 471هـ):: دلائل الإعجاز في علم المعاني. تح: ياسين الأيوبي.الناشر: المكتبة العصرية- الدار النموذجية. الطبعة: الأولى. ص83.

2عبد العزيز عتيق (ت: 1396 هـ): علم البيان. الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. الطبعة: د.ط.عام النشر: 1405 هـ - 1982 م. ص23.

3 أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت. الطبعة: الثالثة - 1407 هـ. المقدمة.

فالزمخشري لا ننتظر منه تعريفا لهذا العلم وإنما رددهما كثيرا بين ثنايا تفسيره، بحيث أضافهما لكلمة "علم"، هذا المفهوم والتعبير لم يكن من قبل،حيث استطاع الفصل بين علمي المعاني والبيان أثناء تفسيره معتمدا على نظرية النظم للجرجاني، وبذلك يعتبر كتاب الكشاف للزمخشري محطة في تاريخ البلاغة وظف من خلالها مصطلحات البيان على أساس علمي، حيث كان هذا الأمر وسيلة يستند عليها السكاكي (ت626هـ) بعده في تقسيمه الثلاثي لمصطلحات علوم البلاغة، جاعلا القسم الثالث من المفتاح لعلمي المعاني والبيان، فاصلا بينهما ومعتمدا في ذلك على الزمخشري إذ يعرف السكاكي البيان بقوله "وأما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[1].

وإلى هذا التعريف ذهب الشريف الجرجاني (ت: 816هـ) فقال:"علم البيان: علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه."[2]

3 - علم البديع:

1- مرحلة المفهوم الفني:

تعدد مصطلح البديع بين معنى الخلق والإبداع، ذلك أن العرب تسابقوا وتفننوا في تزويق الألفاظ والعبارات بما لم يسبق غيرهم إليه ،وعلى هذا عرفت البلاغة باسم البديع في بداية أمرها"انقسمت حياة مصطلح البديع إلى قسمين ظاهرين، أحدهما حياته الطبيعية النابضة، والأخرى حياته السطحية العقيمة، واستمرت حياته النابضة سبعة قرون، ثم سيطرت الفكرة

1 يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ): مفتاح العلوم. ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة: الثانية، 1407 هـ - 1987 م.ص162.

2علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ): كتاب التعريفات.لمحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان. الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م.ص156.

العقيمة عليه فجعلته جثة هامدة. ومن واقع معنى البديع في القرآن الكريم،كما وردت في الآية الكريمة ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [1] بمعنى المنشئ على غير مثال سابق والمبدئ بلاحذو يحتذيه، والخالق قبل المخلوقات"[2].

ويؤكد هذا المعنى منير سلطان بقوله"حيث كان البديع، بمعنى الابتداع المتميز، والاختراع المتفرد، وكان مرادفا لمعنى البلاغة بمفهومها الواسع[3] وحيث إن البلاغة قصرت على العرب دون غيرهم من الأمم ،فاتخذوا لها اسم البديع الذي يدل على التميز وحسن الأداء في التحسين والتزيين، وعلو شأن لغتهم على سائر اللغات، يقول الجاحظ:" والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان. والراعي كثير البديع في شعره، وبشّار حسن البديع، والعتّابي يذهب في شعره في البديع مذهب بشار"[4].

ويورد الجاحظ تنافس الشعراء في القول البليغ البديع فيقول: "وكان العتابي يحتذي حذو بشار في البديع. و لم يكن في المولدين أصوب بديعا من بشار، وابن هرمة."[5]

أ- البديع عند ابن المعتز (ت 296هـ)

يرى المراغي أن من حاز قصب السبق في هذا فن البديع هو ابن المعتز بمفهومه الفني العام فقال:"واضعه أول من دون قواعده ووضع أصوله عبد الله بن المعتز العباسي المتوفى سنة 296هـ، فقد استقصى ما في الشعر من المحسنات وألف كتابا ترجمه باسم "البديع" ذكر فيه سبعة عشر نوعا

[1] سورة البقرة الآية117 والأنعام الآية 101.

[2] منير سلطان: البديع تأصيل وتجديد.الناشر :منشأة المعارف الأسكندرية.ص11.

[3] منير سلطان: البديع تأصيل وتجديد.ص 12

[4] الجاحظ (ت: 255هـ): البيان والتبيين.ج3.ص281.

[5] المصدر نفسه. ج1. ص64.

وقال: "ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا إلى البديع، و لم يأت غير رأينا، فله اختياره. "[1].

يؤكد هذا القول عبد العزيز عتيق ،إذيرى أن أولى المحاولات الجادة في جمع شتات هذا الفن كانت لابن المعتز:" ولعل أول محاولة علمية جادة في ميدان علم البديع هي تلك المحاولة التي قام بها خليفة عباسي ولي الخلافة يوما وليلة ثم مات مقتولا وقيل مخنوقا سنة 296 هجرية. هذا الخليفة هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، والمولود سنة 247 هجرية. لقد كان شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر، سهل اللفظ، جيد القريحة، حسن الإبداع للمعاني، مغرما بالبديع في شعره"[2].

ولقد ألف ابن المعتز كتابه البديع كرد فعل على من زعموا أن بشارا ومسلما وأبا نواس قد سبقوا إلى هذا الفن في أشعارهم :" قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع؛ ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن؛ ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه، ... ويقول: لو أن صالحا نثر أمثاله في شعره وجعل بينها فصولا من كلامه لسبق أهل زمانه، وغلب على مد ميدانه، وهذا أعدل كلام سمعته في هذا المعنى".[3] فحظي ابن المعتز حظا كبيرا بؤلفه هذا في البلاغة العربية، وكان بحق قد جمع فيه ما تسابقت الشعراء والأدباء على التفنن فيه سواء كان من البديع أو المعاني أو البيان :" لابن المعتز مترلة كبيرة في البيان العربي؛ فقد ألف فيه كتابه "البديع" الذي عدد فيه شتى أساليب ومحاسن الشعر ... وهذا الكتاب ليس

---

[1] أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (ت: 296هـ): البديع في البديع، الناشر: دار الجيل. الطبعة: الطبعة الأولى 1410هـ - 1990م. ص152.

[2] عبد العزيز عتيق (ت: 1396 هـ) : علم البديع. الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. الطبعة: بدون. عام النشر: بدون.ص12

[3] أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (ت: 296هـ) : البديع في البديع..ص74.73.

قاصرا على البديع بالمعنى الضيق المحدود؛ لأن ابن المعتز يذكر فيه التشبيه والاستعارة وهما من صميم البيان العربي، ويذكر فيه الكناية؛ ولكنه يريد بها معناها اللغوي "[1] .

يؤكد هذه المزية وهذا الشرف الذي ناله بمؤلفه الأول في وجوه البديع فيقول" ولعل بعض من قصر عن السبق إلى تأليف هذا الكتاب ستحدثه نفسه وتمنيه مشاركتنا في فضيلته، فيسمى فنا من فنون البديع بغير ما سميناه به، أو يزيد في الباب من أبوابه كلاما منثورا، أو يفسر شعرا لم نفسره، أو يذكر شعرا قد تركناه و لم نذكره؛ إما لأن بعض ذلك لم يبلغ في الباب مبلغ غيره فألقيناه، أو لأن فيما ذكرنا كافيا ومغنيا، وليس من كتاب إلا وهذا ممكن فيه لمن أراده، وإنما غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع[2] فهو إذا أول مؤلف في البيان العربي وليس علم البديع فحسب، كما استقر عليه المفهوم عند السكاكي وتلاميذه، فإذا قلنا هو كتاب في علم البديع: "فقد ضيقنا دائرة البحث بغير مبرر، وإن كان البديع في الاصطلاح المتأخر جزءا من البيان، وإن كان البديع بالمعنى القديم المعروف عن بعض علماء البلاغة يرادف كلمة البيان أو البلاغة.

فابن المعتز -إذن- ذو أثر كبير في البديع، وعلى وجه الدقة له أثره في البيان العربي. [3] والناظر في كتاب البديع يجد أن ابن المعتز وضع فيه الأصول الكبرى للبديع من وجهة نظره فيقول:"وألوان البديع عند ابن المعتز خمسة: الاستعارة - التجنيس - المطابقة - رد للعجز على الصدر - المذهب الكلامي. ويجعل ما عدا ذلك من محاسن الكلام والشعر ويقول أنها كثيرة، ولا يرى حرجا في إضافة هذه المحاسن أو غيرها إلى البديع، وذكر من هذه المحاسن: الالتفات، الاعتراض، الرجوع، حسن الخروج، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تجاهل العارف، الهزل الذي يراد

[1] أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (ت: 296هـ) : البديع في البديع. الناشر: دار الجيل. الطبعة: الطبعة الأولى 1410هـ - 1990م. ص7.

[2] ابن المعتز (ت: 296هـ):البديع في البديع.. ص75.

[3] : المصدر نفسه ص7.

به الجد، حسن التضمين، التعريض والكناية، الإفراط في الصفة، حسن التشبيه، لزوم ما لا يلزم، حسن الابتداء.[1]

ولقد توالت التأليفات في عصر ابن المعتز وبعده، وتعرضت لذكر لوجوه البديع في البيان العربي، دون اعتباره علما من علوم البلاغة الثلاث:" ثم ألف معاصره جعفر بن قدامة كتابا سماه "نقد قدامة" ذكر فيه ثلاثة عشر نوعا زيادة على ما أملاه ابن المعتز. ثم جاءت التآليف تترى، فألف فيه أبو هلال العسكري وجمع سبعة وثلاثين نوعا، ثم ابن رشيق القيرواني فجمع مثلها في كتاب "العمدة" ثم جاء شرف الدين النيفاشي فبلغ بها السبعين. ثم ألفت البديعيات فألف زكي الدين بن أبي الأصبع بديعيته، وأوصل الأنواع إلى التسعين، ثم جاء بعده صفي الدين الحلي فأوصلها إلى مائة وأربعين.. وبديعة عبد الغني النابلسي، وقد جاوز بها المائة والستين نوعا".[2]

ويرى القاضي الجرجاني ت: 392هـ ، أن البديع عند القدامى غير متكلف فيه ،أما عند المحدثين فمنه الحسن والسيئ : " قد كان يقع ذلك في خلال قصائدها، ويتّفق لها في البيت بعد البيت على غير تعمد وقصْد، فلما أفْضى الشعر الى المحْدَثين، ورأوْا مواقعَ تلك الأبيات من الغرابة والحسن، وتميّزَها عن أخواتها في الرشاقة واللطف، تكلّفوا الاحتذاء عليها فسمّوْه البَديع؛ فمن محسن ومسيء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومُفرط.[3]

بقي البديع بمفهومه الواسع حتى القرن الرابع هجري، دون تمييز بين مصطلحاته مع علمي المعاني والبيان يقول الحاتمي، (ت: 388هـ)معتبرا الاستعارة والتشبيه من البديع: "وقد تصفحت صحف البلاغة، واستقريت أساليب البيان والفصاحة، فوجدت العرب أرباب الكلام، وملاك رقة المعاني والألفاظ، إيجازاً في حال الحاجة إلى الإيجاز، وإطالة وتوسعاً عند الحاجة إلى الإطالة

[1] ابن المعتز (ت: 296هـ):البديع في البديع. ص22.

[2] أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ): علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع». د.ط . ص319.318

[3] أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (ت: 392هـ) : الوساطة بين المتنبي وخصومه. تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي. الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه. ص34.

والإسهاب واتساعاً لما انفردت به لغتهم دون اللغات من أصناف البديع، كالتجنيس، والتطبيق، والاستعارة، والإشارة، وكالوحي، والتشبيه، ...وغير ذلك من أفانين البديع[1]

إلى غاية نهاية القرن الرابع الهجري ولازال المفهوم العام للبديع مع الإمام العسكري (ت: نحو 395هـ)، حيث خص الباب التاسع من كتابه الصناعتين للبديع، جاعلا الفصل الأول منه لمصطلحي الإستعارة والمجاز وهما مصطلحين في علم البيان "الباب التّاسع فى شرح البديع، وهو خمسة وثلاثون فصلا الفصل الأول في الاستعارة والمجاز، الفصل الثاني في التطبيق،... فهذه أنواع البديع التي ادّعى من لا رواية له ولا دراية عنده أن المحدثين ابتكروها وأن القدماء لم يعرفوها؛ وذلك لما أراد أن يفخّم أمر المحدثين؛ لأن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف، وبريء من العيوب، كان فى غاية الحسن، ونهاية الجودة.[2]

ب- البديع عند الجرجاني:

يعتبر عبد القاهر الجرجاني شيخ البلاغيين صاحب الدلائل ، غير أنه لم يول أهمية قصوى للبديع كما هو الشأن مع علمي المعاني والبيان ، حيث لم يعن عبد القاهر الجرجاني بقضية مصطلحات البديع إلا عرضا، حيث يرى أنه لا علاقة له بالإعجاز القرآني، وحينما وضع نظرية علم البيان تعرض لبعض مصطلحات علم البديع من سجع وطباق ومقابلة،دون أية تفضيل أو تأصيل،كونه يرى هذه المحسنات البديعة هي تتمة لعلمي البيان والمعاني ليس إلا .يقول شوقي ضيف: "ونرى السيد الجرجاني ينقل عنه ... أنه لم يكن يعد البديع علما مستقلا من علوم البلاغة، إنما كان يعده ذيلا لها وتتمة تحمل عليها، وكانت هذه النظرة إلى البديع عنده سببا في أن لا يطيل النظرة في ألوانه القرآنية، وأن لايلم بها إلا في الحين البعيد بعد الحين ،وإذا ألم بها مسها في خفة "[3]

[1] محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، أبو علي (ت: 388هـ): حلية المحاضرة. تح: جعفر الكتاني. ج1. ص124.

[2] العسكري (ت: نحو 395هـ) : الصناعتين. المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت. عام النشر: 1419 هـ. ص267.266.

[3] شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ. ص266.265.

لقد رأى الجرجاني أن علمي المعاني والبيان هما أساس البحث البلاغي وبيان إعجاز القرآن الكريم، ولذا اعتبر البديع وجها من وجوه التحسين و لم يسمه علما، ولازال هذا الاعتبار قائما إلى يومنا هذا عند بعض الدارسين والنقاد" من الأمور المسلم بها أن لعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بتفسير كلام الله العزيز؛ لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني، وإظهار وجه الإعجاز، ولذلك كان هذان العلمان يُسميان في القديم علم دلائل الإعجاز، ذلك أن ربَّ العزة –سبحانه– قد منَّ على هذه الأمة بنزول هذا القرآن العظيم، وجعله لها المعجزة العظمى الخالدة"[1]، وهكذا بقي البديع حتى القرن الخامس بمفهومه العام عند البعض، أو أنه من المحسنات اللفظية والمعنوية، يأتي لتزيين القول في سياقاته المناسبة له دون قصد أو تكلف"قد ظل الحديث على بعض وجوه البديع السابقة يأتي في سياقه المناسب من كلام البلاغيين والنقاد من أمثال الآمدي ،والقاضي الجرجاني، وابن رشيق ، وعبد القاهر" [2]

وإذا انتقلنا للسكاكي المشهور بتقسيمه لعلوم البلاغة لم نجد البديع عنده علما وإنما وجه من وجوه البلاغة بنوعيه اللفظي والمعنوي يقول السكاكي(ت: نحو 626هـ) "وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها، وأن الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين، فهاهنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير على الأعرف منها، وهي قسمان: قسم يرجع على المعنى وقسم يرجع على اللفظ"[3] ،إلا أن السكاكي هيأ الأمر لكي يصبح البديع أحد علوم البلاغة الثلاث ،معتبرا أن علمي المعاني والبيان هما الأصل، يقول

[1] المؤلف مناهج جامعة المدينة العالمية: البلاغة 1 – البيان والبديع. الناشر: جامعة المدينة العالمية. كود المادة: LARB4093. المرحلة: بكالوريوس. الناشر: جامعة المدينة العالمية. ص9.

[2] شفيع السيد: أساليب البديع في البلاغة العربية، رؤية معاصرة، الناشر دار غريب. القاهرة. ط1 .سنة2006. ص14.

[3] يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ) : مفتاح العلوم. ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1407 هـ – 1987 م.ص423.

شوقي ضيف:" وظل على رأي السكاكي في أن علمي المعاني والبيان هما مرجع البلاغة ،وأن مرجع المحسنات البديعية الفصاحة إلا أنه مع اعترافه بأنها توابع للبلاغة أو بعبارة أخرى لعلمي المعاني والبيان جعلها علما مستقلا بنفسه سماه علم البديع، وبذلك هيأ لأن تصبح البلاغة متضمنة ثلاث علوم[1]

فالبديع أصبح علما من علوم البلاغة الثلاثة على يد تلاميذ السكاكي ،وعلى رأسهم بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم(ت: 686هـ):" القسم الثالث من الكتاب في علم البديع وهو معرفة توابع الفصاحة[2] فكانت إضافته لما جاء به السكاكي على نوعين:

الأول: اعتبار البديع علما والثاني إضافته لمصطلحات البديع على ما جاء به شيخه السكاكي:" كان أهم شيء أضافه إلى مختصره بالقياس إلى أصله من كتاب المفتاح هو أنه توسع في ذكر المحسنات البديعية ،إذ ذكر منها أربعة وخمسين لونا ، بينما ذكر السكاكي منها ستة وعشرين فقط"[3] وعلى هذا أخذ علم البديع تعريفه الاصطلاحي العلمي ،فعرفه الشريف الجرجاني (ت: 816هـ) في كتاب التعريفات فقال: "علم البديع: هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ورعاية وضوح الدلالة، أي الخلو عن التعقيد المعنوي.[4]

[1] شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ. ص315.

[2] بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم(ت: 686هـ): المصباح في المعاني والبيان والبديع. تح: حسني عبدالجليل يوسف .النشر مكتبة الآداب. ص159.

[3] شوقي ضيف :البلاغة تطور وتاريخ.ص316.

[4] علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ) : كتاب التعريفات. لمحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان. الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م. ص156.

المبحث الثالث: جهود المحدثين في بعث تجديد البحث البلاغي :

يرى الكثير من العلماء المعاصرين والباحثين في المجال البلاغي كحمادي صمود أن نقطة الارتكاز والتأريخ للبلاغة العربية تأريخا صحيحا تبدأ من الجاحظ لأنه يمثل مرحلة جد مهمة في تاريخ المنجز البلاغي، يقول صمود: "الجاحظ في اعتقادنا وضع الأسس الكبرى للتفكير البلاغي بحيث تبقى الفترات الموالية تستلهم مادته وتستحضر مقاييسه "[1] كما أن كتابه العظيم المخلد للبلاغة العربية "البيان والتبين" من أهم الكتب التي عليها أساس البلاغة يقول صمود: "ولقد عدت مؤلفات الجاحظ، خاصة البيان و التبين أهم وثيقة عن دور المتكلمين في إرساء أسس البلاغة وضبط مقاييسها"[2].

1- القراءة المعاصرة في المنجز البلاغي عند الجاحظ :

لقد ساهمت مؤلفات الجاحظ في بعث البحث البلاغي لعلماء البلاغة بعده، ولا يكاد أحد بعد الجاحظ أن يستغني عن هذه المؤلفات، فهو محور البحث البلاغي المعاصر وأساسه يقول صمود: « كما أن الجاحظ سيطبع البحث البلاغي في مستوى التصورات الكبرى، وحتى في بعض قضاياه الجزئية، بطابعه الخاص وستكون مؤلفاته أهم مرجع لعلماء البلاغة بعده تشير إليه وتنقل عنه وتشيد بفضله، فكانت هذه المؤلفات بمثابة الذاكرة التي حفظت لنا أطوار العلم الأولى وفتحت السبيل إليها كما حملت ملامح ما تلاها وما تولد عنها وبذلك تكون قد قامت بوظيفة مزدوجة : استقطاب ما سبق وتمثله ثم الزيادة عليه ونشره ليستعيد منه اللاحق ويبنى عليه»[3]

يشهد شوقي ضيف لفضل هذا الرجل في المجال البلاغي وبروز عظمته البلاغية خلال القرن الثالث هجري فيقول:" لا تكاد تتقدم بعد الربع الأول من القرن الثالث الهجري حتى يتجرد

---

[1] حمادى صمود التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، كلية الآداب تونس، ط2، 1994 ص 13/12

[2] المصدر نفسه ص 15

[3] المصدر نفسه ص.16/15

معتزلي كبير وهو الجاحظ لدرس شؤون البيان و البلاغة فيؤلف كتابه البيان والتبين في أربعة مجلدات كبار جامعا فيه ملاحظات العرب البيانية وبعض ملاحظات الأجانب وسجل كثيرا من ملاحظات معاصريه وبخاصة المعتزلة"[1]

وعلى هذا يمكن القول أن الجاحظ هو الأب الروحي والمؤسس الحقيقي للبلاغة العربية، ومن ثمة كان حقا أن يلقب بشيخ البيان العربي يقول سيد نوفل :"يعد الجاحظ في رأيي مؤسس علم البلاغة العربية ذلك بأنه قد جمع ما يتصل به من كلام سابقيه و معاصريه و شرحه و أضاف إليه"[2].

و يؤكد هذا القول طه حسين في تقديمه لكتاب نقد النثر لقدامة بن جعفر"أن العرب لم يخطئوا حين عدوا الجاحظ مؤسس البيان العربي "[3] ولقد اعتبر الباحث نوري جعفر في تفسيره النفسي أن الجاحظ هو "عالم نفس" في بيانه حيث يراعي السأم والملل الذي يصيب المتلقي فيروح تارة بعد تارة، فيروح عنه بتغير الموضوعات فينتقل فيها بين الجد والهزل "[4] فالجاحظ في نظر بعض الدارسين المعاصرين، "لم يكن معنيا بقضية "الفهم" فهم كلام وحسب، بل كان مهتما في الدرجة الأولى " بقضية الإفهام " إفهام السامع وإقناعه ، وقمع المجادل وإفحامه ...فهو... يدخل السامع كعنصر محدد وأساسي في العملية البيانية، بل بوصفه الهدف منها، الشيء الذي كان غائبا عن اهتمام الشافعي الذي كان يهمه بالدرجة الأولى قصد المتكلم "[5] حيث إن موقف الدارسين المعاصرين المتعلق بكتاب البيان والتبين، اعتبروه أنه قد أعطى الأسس العلمية التي تبني عليها نظرية الفن القولي المعاصرة، حسب رأي الباحث عبد الحكيم راضي إذ يقول: " كما أن شيئا مما قدمنا

[1] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط9، ص.46.

[2] سيد نوفل، البلاغة العربية في دور نشأتها، الهيئة العامة المصرية، ص.170.

[3] قدامة جعفر، نقد النثر تقديم طه حسين، عبد الحميد العبادي، دار الكتب المصرية، ص 07.

[4] نوري جعفر، الجوانب السيكولوجية في أدب الجاحظ، دار الرشيد، بغداد، 1981، ص52.

[5] محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي.دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية. مركز دراسات الوحدة العربية .بيروت لبنان .ط1سنة1989.ط2.سنة2009. ص 25

عن هذه الجوانب عن ثقافة الرجل لا يراد لذاته وإنما لما يمكن أن يكون له من انعكاسات على أرائه في الفن القولي"[1]

فلو اعتبرنا أن مؤلف الجاحظ في الأدب لبطل هذا الاعتبار على حد عبد الحكيم راضي، وهكذا جاء الكتاب جامعا بين أمرين: " كونه مؤلفا في نظرية الفن القولي و كونه مؤلفا في علم الأدب" [2] ولقد مثلت كتب الجاحظ ميدانا خصبا للدراسات المعاصرة، يسعى إليها القراء والباحثون في كل البقاع و يسعى إليها الكتاب في كل العصور حتى يوم الناس هذا فهي "منتزهات القلوب"[3]

1-1 القراءة المعاصرة لمحمد مشبال في منجز الجاحظ(ت255هـ)

يرى مشبال أن الجاحظ، أسهم كثيرا في تحديد الأفق البلاغي الجديد الذي رسمه في بعثه للتجديد البلاغي، وقديما أشار العسكري (ت: نحو 395هـ)بمقام هذا الرجل خاصة كتابه الأول في البلاغة العربية البيان والتبيين فقال:" وهو لعمري كثير الفوائد، جم المنافع؛ لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة، والفقر اللطيفة، والخطب الرائعة، والأخبار البارعة، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء، وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة؛ وغير ذلك من فنونه المختارة، ونعوته المستحسنة، إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة، وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه، ومنتشرة في أثنائه؛ فهي ضالة بين الأمثلة، لا توجد إلا بالتأمل الطويل، والتصفح الكثير"[4] .

---

[1] عبد الحكيم راضي: الأبعاد الكلامية و الفلسفية في الفكر البلاغي و النقدي عند الجاحظ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط3 2006م. ص.20.

[2] المصدر نفسه .ص.36 .

[3] حسن السندوبي: أدب الجاحظ، المكتبة التجارية، القاهرة، 1931، ص.76

[4] العسكري (ت: نحو 395هـ): : الصناعتين. تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت. عام النشر: 1419 هـ. ص5.

يرى مشبال أن الجاحظ ربط ربطا عجيبا بين التراث والمعاصرة، وأنه خالق بلاغة النثر بعدما كان الشعر هو أساس القول البليغ: "ويرجع النظر في المشكلات الإنسانية التي أثارها أدب الجاحظ، صدى تأمل راهن...في مجتمع يلتقي فيه الماضي بالحاضر، والتراث بالحداثة والتقليد بالتجديد،والأصالة بالمعاصرة ...لقد كان الجاحظ أحد مؤسسي البلاغة النظرية القديمة، كما كان أحد مؤسسي بلاغة النثر أو السرد بمفهومها الجمالي الإنساني ولعل جهده في تأصيل النثر في نسيج الثقافة العربية الرسمية المفتونة بالشعر، أن ينبهنا إلى التحول الذي أنجزه في مفهوم البلاغة في تراثنا الأدبي..."[1]

لقد أعطى الجاحظ تحولا في البلاغة العربية، فهو المؤسس لبلاغة السرد المعاصر اليوم على حسب رأي محمد مشبال" إن التحول من بلاغة الشعر وقيمها الثقافية إلى بلاغة النثر بقيمها الجديدة عند الجاحظ يعني التحول من فتنة الكلمة و قوتها الإقناعية إلى أسلوب السرد القائم على جملة من المكونات المناقضة لأسلوبي الخطابة و الشعر ، وبذلك يكون الجاحظ مؤسسا لبلاغة النثر في الأدب العربي ،بلاغة صارعت الشعر و ثقافته ، مستجيبة للتحولات الحضارية و الثقافية التي حدثت في عصره"[2]

كما أن بلاغة الجاحظ هي الموجهة للبلاغة في العصر الحديث يقول مشبال "ستتحكم في كثير من القراءات اللاحقة وتوجهها، وإن لم نعدم قراءات مخالفة لها"[3] ولقد قامت في عصرنا الحديث، دراسات وبحوث بدأت بلاغة الجاحظ تتشكل من خلالها، وإعادة بعثها من جديد، أشار إلى هذا محمد مشبال فقال :" في وقت مبكر من عصرنا الحديث بدأت بلاغة الجاحظ من جديد تشكل

[1] محمد مشبال ، البلاغة والسرد، جمل التصوير و الحجاج في أخبار الجاحظ، منشورات كلية الآداب، تطوان، المغرب، 2010 ص7.

[2] محمد مشبال البلاغة والسرد جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ .منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة عبد المالك السعدي .تطوان .المغرب.سنة 2010.ص.165

[3] محمد مشبال، البلاغة والسرد، جمل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، منشورات كلية الآداب، تطوان، المغرب، 2010 ص.102 .

موضوعا للمناقشة وإبداء الرأي، كان النهج في البداية يسير على منوال الأحاديث القديمة التي لا تكاد تخرج عن وضع هذه البلاغة في موضعي الدفاع أو الهجوم ولكن تقدم الزمن والتطورات التي حدثت في مناهج الدراسات الأدبية في الثقافة العربية (مناهج نفسية واجتماعية ولسانية أسلوبية وبنيوية وبلاغية ...) تحولت هذه البلاغة إلى موضوع نظر وتأمل في ضوء تعاقب سلسلة من الأسئلة التي أسهمت في الكشف عن أسرارها وتفسير سماتها والوقوف على معانيها المتجددة "[1]

1-2 الاتجاه الواقعي في بلاغة الجاحظ:

إن المقصود من الواقعية هو أن يكون الأديب والشاعر يروي ويعايش هموم واقعه المعاش في قالب فني وأدبي بليغ، حتى أصبحت الواقعية في العصر الحديث فنا من الفنون ذات الطابع النقدي له أنواعه وخصائصه" ظهرت الواقعية في القرن التاسع عشر، لتتبلور إلى تيار أدبي معبر عن توجه إبداعي وحساسية فنية ورؤية إيديولوجية، لكن جذور الواقعية ضاربة في القدم حيث إن كل الحضارات الإنسانية السابقة كانت تعرف بد رجات متفاوتة بعض ملامح التعبير الواقعي إن الواقعية تتعامل بطريقة واعية مع الواقع لتترجمه بواسطة أدوات تعبيرية وتشكله وفق متخيل متميز، لكن الأدباء والنقاد والمفكرين اختلفوا في تحديد هذا الواقع، كما اختلفوا في الطرائق المعتمدة لنحث الواقع التخيلي وصياغته أدبيا وجماليا ، مما أدى إلى تنوع مناهج الإبداع الأدبي الواقعي"[2]، حيث إن ما ينتجه الشاعر أو الأديب نابع من قضايا مجتمعه، "قد دأب الكثيرون على أن يتصوروا ظروف المجتمع ...فالمجتمع يلقي إلى الأدباء ما يفكرون فيه، ولكن نتاج هذا التفكير وطبيعته من صنع الأدباء أنفسهم، أو هو الإهداء الذي يقدمه الأديب لمجتمعه "[3].

---

[1] محمد مشبال ، البلاغة والسرد ، جمل التصوير و الحجاج في أخبار الجاحظ. ص.110.

[2] لطيب بودربالة ولسعيد جاباللّه: الواقعية في الأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد السابع. ص01.

[3] مصطفى ناصف : اللغة والبلاغة والميلاد الجديد، إشراف: حلمي التوني، دار سعادة الصباح. ط1. سنة1992. ص 195.

إن البيئة التي عاش فيها الجاحظ كانت بيئة ثقافتها متشبعة ببلاغة الشعر، رغم هذا لم يكن الجاحظ كذلك، وإنما اتسم بالواقعية في الحكي والسرد، لأنه كان يرى " أن قيمة الأسلوب تكمن في تناسبه مع السياق، من هنا تصبح الواقعية سمة جمالية مستساغة في سياق مخصوص"[1] وهذا الذي تنادي به الدراسات المعاصرة، وهذا الذي نادى به الجاحظ في التمييز بين الأساليب والأنماط البلاغية وتخير مصطلحاتها، وفق تعدد السياقات، حسب السياق والواقع والحال يقول الجاحظ " ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء : فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل ، والإفصاح في موضع الإفصاح والكناية في موضع الكناية والاسترسال في موضع الاسترسال، و إذا كان موضع الحديث على أنه مضحك وماله، وداخل في باب المزاج والطيب، فاستعملت فيه الإعراب، انقلب على جهته، وإن كان في لفظه سخف وأبدلت السخافة بالجزالة صار الحديث الذي وضع على أن يسر النفوس يكر بها ويأخذ بأكظامها "[2]

1-3 ملامح البعد التداولي عند القدامى:

تهتم التداولية بدراسة الوظائف التواصلية، ومراعاة حال المخاطب أثناء عملية الكلام، ومعالجة المعوقات التي تحول دون عملية الإفهام وبلوغ المراد من الكلام لغوية كانت أو غير لغوية، ولقد عرفها الباحث مسعود صحراوي فقال: " التداولية ...علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره "[3] فالتداولية عالجت النصوص وفق دلالاتها وسياقاتها، فهي وريث معاصر استنبطت

[1] محمد مشبال، بلاغة النادرة ، افريقيا الشرق الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص.27.

[2] الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2. ج39/3

[3] مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب، الناشر بيروت لبنان. ط1..2005 .ص16

مبادئه وأسسه التي يبنى عليها من تراثنا البلاغي القديم "من إيجابيات التداوليات أنها وجهت اهتمامها إلى أبعد من الجملة .وفي هذا الإطار، فهي تعد وريثة البلاغة" [1]

ركز القدامى في تعريفاتهم لعلوم البلاغة العربية على الوظيفة اللغوية التواصلية التي يحصل بها الفهم والإفهام أو إفادة المتلقي من الخطاب ولذا بين السكاكي المراد من علم المعاني فقال :" اعلم أن المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[2] فنجد السكاكي يركز على العملية والتواصلية والآليات التي تحقق الإفادة للمتلقي من عملية التواصل.

إن معيار الوقوف عند القدامى على الضبط والتحديد المصطلحي يقوم في معظمه على قضية البعد التواصلي والتداولي، وتحقيق عملية الفهم والإفهام "إن تصور أولئك العلماء للخبر هو أن الكلام التام المفيد أو الخطاب التواصلي الذي يقبل الصدق والكذب ، والإنشاء أيضا كلام تام مفيد أو خطاب تواصلي "[3] وعلى هذا المنظور التواصلي الذي يركز على المتكلم والسامع يرى العسكري في تعريفه لمصطلح البلاغة أنها " اسم لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة، منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع ...ومنها ما يكون خطبا وربما كانت رسائل. فعامة ما يكون من هذه الأبواب فالوحى فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ "[4]

عرفت البلاغة العربية كثير من التطور والتجديد المفاهيمي في مصطلحاتها عبر هذا التاريخ الطويل حيث يشير العسكري في تعريف آخر لمصطلح البلاغة للبعد التداولي لدي المعاصرين فعرفها بقوله "كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع

---

[1] فرنسوا رستيني: فنون النص وعلومه، تر:ادريس الخطاب، الناشر.: دار توبقال، المغرب، ط1. سنة2010 ص171.

[2] السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: 626هـ) : مفتاح العلوم.ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور.الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. ط: 2، 1407 هـ - 1987 م. ص161.

[3] مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب، الناشر بيروت لبنان .ط1. 2005.ص61.

[4] العسكري (ت: نحو 395هـ): الصناعتين. المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. ص14.

صورة مقبولة و معرض حسن "[1] وإن المتأمل لهذا التعريف يلمح إشارة واضحة في بعث تجديد الدرس البلاغي، حيث أشار إلى طرفي عملية التواصل: السامع والمتكلم، إلا أنه يركز على المتكلم مع ضرورة قدرته على التأثير والإقناع، وهذا يؤكد ما ذهب إليه تمام حسان من المعاصرين الذي يرى " أن المعنى اللغوي للفظ البلاغة فرع على معنى الإبلاغ أو التواصل الذي هو موضوع من موضوعات علم الاتصال "[2]

هذا البعد التداولي نفسه نراه كذلك عند السكاكي في تحديده لمصطلح البلاغة مركزا على طرفي الخطاب وهما المرسل والمتلقي وفق تركيب لغوي سليم مبني على أسس صحيحة حتى تتم عملية التواصل ،بشكل سليم يقول السكاكي: " هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفيه خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها "[3] .

ركز السكاكي على محتوى الرسالة، والنمط البلاغي الذي يجب أن تتميز به فلكل مقام مقال، وهذا الذي نادت به اللسانيات في بعدها التداولي لتحقيق عملية التواصل، إذ يقول السكاكي في هذا الشأن "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة التشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار جميع ذلك معلوم لكل لبيب وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر. ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ولكل حد ينتهي إليه الكلام"[4]،كما ركز السكاكي على شفرة التخاطب لنجاح العملية التواصلية وهي تلك المواضعات

[1] أبو هلال العسكري، الصناعتين تح مفيد قمحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1989، ص15

[2] عبد المجيد، جميل البلاغة والاتصال ، دار غريب للطباعة و النشر مصر ، ط 2000 ، ص26

[3] السكاكي (ت: 626هـ): مفتاح العلوم. علق عليه: نعيم زرزور ص415.

[4] المصدر نفسه: ص168.

التي تواضع العرب قديما في لغة التخاطب بينهم فقال " اللغة عبارة عما يتواضع القوم عليه من الكلام أو يكون توقيفا: يقال في لغة العرب: أن السيف القاطع حسام. أي تواضعوا على أن سموه هذا الاسم"[1]وهذا يثبت لنا أن البلاغة تهتم بالجانب التواصلي والاستعمالي للغة لإنجاح العملية التواصلية وهذا ملمح يحيلنا على تعريف القدماء لمصطلح البلاغة العربية إذ ليس علم البلاغة سوى عملية تواصلية اقناعية " يحتاج إليها صاحب المنهج البنيوي وقد جاء علم البلاغة بكثير من الوصف لهذه البنية، كما يحتاجها صاحب المنهج السينمائي لأن مهمته العبور من اللفظ إلى الدلالة ومن المعنى إلى معنى المعنى ، وكل هذا لأن من معطيات علم البلاغة معاني وبيانا وبديعا"[2].

ميز القدماء في محاولة منهم بين أنواع الخطابات من أجل الوقوف على نجاح العملية التواصلية فقال السكاكي: " ومن قال أن البلاغة هي إفهام المعنى فقط، فقد جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب و الإغلاق و الإبانة سواء ... فلما رأينا أحدهم مستحسنا والآخر مستهجنا، علمنا أن الذي يستحسن البليغ والذي يستهجن ليس بليغ "[3]

فالتداولية في بداية بحثها اهتمت بدراسة لغة التخاطب اليومي إشارة بالتواصل البلاغي الذي يرقى إلى المستوى الخطاب الاقناعي: « حدث الناس ما حدثوك بأبصارهم ، وأذنوا لك بأسماءهم ولاحظوك بأبصارهم، و إذا رأيت منهم فترة فأمسك»[4] .

إن الأبعاد التداولية ركزت على المتكلم والمتلقي وصيغة الكلام، وأسواق العرب قديما تفننت بأشعارهم وخطبهم من أجل بلوغ قلوب السامعين والتأثير فيهم،والباحثون اليوم في الدرس البلاغي يرون أن هذه الملاحظات هي أصل الملاحظات البلاغية والبيانية في بلاغتنا التواصلية «

[1] أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت: 466هـ): سر الفصاحة. الناشر: دار الكتب العلمية: الطبعة الأولى 1402هـ_1982م. ص48.

[2]عبد الملك بومنجل، بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية في الأدب ونقده جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، ص.18

[3] السكاكي مفتاح العلوم تح ، عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط1 ، 2000 ، ص251

[4] محمد حسن عبد الله، أصول النظرية البلاغية، مكتبة وهبة القاهرة، ط3، 1994م، ص. 14

ومن يتصفح أشعارهم يجدها تزخر بالتشبيهات والإشعارات، وتتناثر فيها من حين إلى حين ألوان من المقابلات والجناسات مما يدل دلالة واضحة على أنهم كانوا يعانون عناية واسعة بإحسان الكلام والتفنن في معارضة البليغة»[1] .

إن هذه البلاغة الراقية لدى القدماء هي التي خلص من خلالها الدرس البلاغي اليوم إلى أن البلاغة هي " عمل المتكلم على إيصال الشفرة إلى السامع بواسطة رسالة منطوقة خلال قناة اتصال مسموعة في مقام معين"[2] فهذا دليل يثبت أن البلاغة عند القدامى سعوا بها سعيا حثيثا للكشف عن أبعادها التداولية في جوانب الاستعمال من خلال فني الخطابة قال الجاحظ: « وما تكلمت فيه الخطباء و نطقت به البلغاء أكثر من يبلغ آخرها و يدرك أولها " [3] إذ يقول الجاحظ في معرض آخر مبينا البعد التداولي لإنجاح العملية التواصلية" أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل الحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة» [4].

فالمتكلم هو الأساس في نجاح العملية التواصلية، وهذا ما حرص عليه القدماء، ودعت إليه الدراسات المعاصرة، وبالتالي يمكن القول أن البلاغة علم يخدم المجتمع كله في جميع التخصصات إذا نظرنا إليه من زاوية اللسانيات التداولية على رأي هنريش بليث قائلا " ليست (البلاغة) محضورة في البعد الجمالي بشكل صارم، بل تترع إلى أن تصبح علما واسعا للمجتمع "[5] هذا ما جعل البلاغة مواكبة للعصر الحديث قابلة للتطور، من خلال إشارات القدماء للأبعاد اللسانية في الدراسات المعاصرة اليوم بما في ذلك التداولية يقول صلاح فضل: " البلاغة هي الأفق المنشود

[1] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ،ط12 ،1965 ،ص.13

[2] عبد المجيد جميل ، البلاغة و الاتصال. ص 27/26

[3] الجاحظ :البيان و التبين 202/12

[4] المصدر نفسه 17: ص.92

[5] هنريش بليث البلاغة والأسلوبية . تر: محمد العمري، المغرب، إفريقيا الشرق . 1999 ، ص.22

والملتقى الضروري للتداولية وعلم النص والسيميولوجيا، وهي النموذج المؤمل عليه للعلم الإنساني في إطاره الشامل الجديد " [1].

يؤكد صمود هذا الهدف المنشود والبعد التداولي للبلاغة المعاصرة باسم الخطابة الحديثة في مواكبتها للعلوم الإنسانية في ثوبها الجديد فيقول: "...حتى ليمكن أن نقول بدون أدنى مبالغة: إن أهم آلية خطابية وبلاغية اليوم هي الثورة الإتصالية والمعلوماتية وليست العولمة في أبعادها الثقافية والاقتصادية إلا وجها من الوجوه البارزة للخطابة الحديثة حيث يتم تمرير الأفكار والتصورات والأخيلة التي نريد تمريرها على حساب ما هو قائم في ذهن المتلقي والغاية هي إبعاده عما كان يعمر ذهنه وإحلال ما نريد نحن مكانه بتحريك الإعجاب بما نعرض عليه، أو نخلق الصدمة أو الفتنة أو الإقناع "[2]

فالصلة جد وثيقة بين البلاغة و الإتصال، أشار إلى هذا الأساس بالذات تمام حسان في قراءة مهمة وجد قيمة للمصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة معززا ومدعما الفكرة هاته من خلال مخطط جاكبسون "ويعني أن المعنى البلاغي للفظ البلاغة على معنى الإبلاغ أو التواصل الذي هو موضوع من موضوعات علم الإتصال"[3] فاعتبار البلاغة علما تواصليا، فهي أساس تغيير السلوك والمواقف فالرأي بأنها " فن القول بشكل عام، أو هي فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ مما يجعلها مجرد أداة نفعية ذرائعية "[4]

يأتي هذا التعريف ليغطي الصيغة الشرعية للقدماء في المقولة البلاغية المشهورة في وصف البلاغة لكل مقام مقال حيث يبحث هذا القول البلاغة بالمفهوم البلاغي الجديد فكلاهما يركزان

[1] صلاح فضل: بلاغة الخطابة وعلم النص سلسة عالم المعرفة، الكويت الهند. العدد 164. /1992 ص251 .

[2] حمادي صمود: من تجليات الخطاب البلاغي. دار قرطاج تونس ط 1. 1995 ص.134

[3] قضايا المصطلح الأدبي مجلة فصول ....العددان الثالث و الرابع أفريل سبتمبر 1997 ص.17

[4] صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص. عالم المعرفة، صدرت السلسلة في يناير 1978 بإشراف أحمد مشاري العدواني .المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .الكويت .ص.89

على التشكيل اللغوي الذي يجب أن يكون لكل موقف معين ومنه يخلص صلاح فضل أن "البلاغة تداولية في صميمها إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل متحددة التأثير على بعضهما ولذلك فإن البلاغة والتداولية البرجماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على ا لمتلقى "[1] .ولكي تتحقق عملية التواصل ويكون التأثير لابد من تحقيق ما ذهب إليه علماء البلاغة قديما لكل مقام مقال ... ولكل كلمة مع صاحبتها مقام ، فهاتان المقولتان توحيان بوجود علاقة لا يمكن تجاوزها بين المقال وسياقه الاجتماعي.

ولذا تحتم مراعاة الكلام ومطابقتة لمقتضيات الأحوال، حتى يحصل الإقناع وهو أساس البلاغة كلها وقد دعا رشيد بلحبيب إلى ربط خصائص الكلام بسياقاته فقال "ترابط المقال والمقام ترابطا جدليا تصبح خصائص الكلام غير منفصلة عن السياق الذي تحتويه "[2]

كما اهتدى رشيد بلحبيب إلى فكرة المصطلح البلاغي وتفعيل هذا وتأخير هذا ما هو إلا ضرورة بلاغية اقتضت ذلك لأجل تحقيق عملية التواصل"إن التقديم و التأخير مثلا ليسا سوى نمطين يعبران عن حالة بلاغية عامة تحكم شكل البنية الإسنادية و لا يقدم ولا يؤخر عنصر من عناصرها إلا حين يكون ذلك مترتبا عن شروط تداولية أعمق تكفل مطابقة المقال المقام المقدم أو المؤخر للمقام"[3] وهذا الذي عنيت به البلاغة العربية قديما في تقسيم علومها إلى ثلاث بمصطلحاتها باعتبار الغاية البلاغية التواصلية وتحقيقها فمثلا تأخير المسند إليه لاقتضاء تقديم المسند مراعاة لمقتضى الحال "فمن المصطلحات التي تستعمل استعمال المقام والحال الموضع والمقدار والأقدار والمشاكلة والمطابقة والاقتضاء والظرف والسياق، وجميعها فروع عن أصل ثابت في تفكير اللغويين

[1] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص.ص. 89

[2] رشيد بلحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى، اللسان العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية .جامعة محمد الأول .وجدة المغرب.ص.08

[3] المرجع نفسه . ص06 .

العرب وإن لم يتبلور على الصعيد الاصطلاحي هو الفكرة المناسبة والملائمة "[1]. وقد أشار الجاحظ قديما لمراعاة المقام عند من سبقوه من أجل نجاح العملية التواصلية فقال: " وقال عبد الله بن مسعود: «حدّث الناس ما حدجوك بأبصارهم، وأذنوا لك بأسماعهم، ولحظوك بأبصارهم، وإذا رأيت منهم فترة فأمسك».[2]

ولقد تحقق اليوم طموح الأوائل في بعث الدرس البلاغي وإعطاء الأرضية الجاهزة للبحوث المعاصرة والمستقبلية في استثمار وتطوير جهود القدامى في مجال البحث البلاغي، فقد أورد الجاحظ توجيها وبعثا لتجديد هذه الظاهرة اليوم .فقال "جماع البلاغة التماس حسن الموقع و المعرفة بساعات القول وقلة الخرق بما التبس من المعاني أو غمض، وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر... وزين ذلك كله، وبهاؤه وحلاوته وسناؤه، أن تكون الشمائل موزونة، والألفاظ معدلة، واللهجة نقية. فإن جامع ذلك السن والسمت والجمال وطول الصمت، فقد تم كل التمام، وكمل كل الكمال "[3] و يقول: " لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، والملوك بكلام السوقة ...و مدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار ظلمهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم"[4]

إن علماء العربية أعطوا أهمية كبيرة منذ وقت مبكر من تاريخ علوم اللغة والبلاغة العربية خاصة ، إلى ما يحيط بظاهرة التواصل والحدث الكلامي من ملابسات، وكل ما يساهم في إنجاح العملية التواصلية والشواهد كثيرة تؤكد أصالة هذا المبدأ الفني في التراث البلاغي العربي، فقد أشار الجرجاني(729 هـــ) في الإشارات والتنبيهات من أن بلاغة الكلام هي " كون اللفظ الفصيح معبرا عن المعنى بحسب اقتضاء الوقت الحاضر وبحسب حالة متعلق الكلام من الممدوح والمذموم وغيرهما واقتضاء الوقت الحاضر مختلف، فإن مقام التنكير أو الإطلاق من الممدوح أو التقديم أو

[1] حمادى صمود: التفكير البلاغي عند العرب. ص209 .
[2] الجاحظ (ت: 255هـــ): البيان والتبيين.ج1.ص105.
[3] الجاحظ (ت: 255هـــ):البيان والتبيين.ج1.ص92
[4] المصدر نفسه: ج1 93/92

الذكر أو قصر الحكم أو الإيجاز ... غير مقام التعريف أو التقييد أو التأخير أو الحذف أو عدم القصر أو الوصل أو الإطناب "[1].

ويمثل السكاكي لهذا بعد إيراد بعض الآيات ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [2] ، ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [3] إن جميع ما وعت أذناك من التفاصيل وهذه الأنواع من وصل التقدم والتأخير هو مقتضى الظاهر فيهما و قد عرفت فيما سبق أن إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر طريق البلغاء يملك كثير تنزيل نوع مكان نوع باعتبار من الاعتبارات فليكن على ذكر منك "[4].

يرى محمد مشبال أن الجاحظ أسهم كثيرا في بعث الدرس البلاغي المعاصر، وأن أبعاده تنطوي على مقاصد تؤسس للبعد التداولي، ونقل البلاغة من الشعر إلى النثر ليؤدي الوظيفة التواصلية الأدبية " إن انتماء نثر الجاحظ إلى الأدب الكلاسيكي يجعله أدبا وظيفيا ينطوي على مقاصد تعليمية وعقدية وخلقية، أي أنه أدب يصرح بوظيفته التداولية... غير أن حضور الوظيفة التداولية في نثر الجاحظ لا يفيد أنه نثر علمي نفعي خالص ، فقد أشار أكثر من دارس إلى أن الجاحظ نقل النثر من الوظيفة التواصلية العملية إلى الوظيفة التواصلية الأدبية "[5]، بل أشار مشبال في خاتمة بحثه إلى أن مصطلحي الحجاج والتصوير هما أساس بلاغة الجاحظ، وهذا الذي تنادي به البلاغة المعاصرة، في بعدها التواصلي الحجاجي فقال: " نستطيع أن نخلص في نهاية هذا التحليل إلى أن بلاغة الجاحظ قامت على مكونين أساسيين هما: الحجاج و التصوير، فالجاحظ بياني قوي

[1] الإشارات و التنبيهات في علم البلاغة ، محمد بن علي محمد الجرجاني 729 هـــ تح. عبد القادر حسين ، الناشر مكتبة الآداب 1418ه /1997م ص13.

[2] سورة طه الآية70

[3] سورة الأعراف الآية122.

[4] السكاكي (ت: 626هـــ) :مفتاح العلوم .ص239/238.

[5] محمد مشبال البلاغة والسرد جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ .منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة عبد المالك السعدي .تطوان .المغرب.سنة 2010.ص 167/166

الحجة قادر على الإقناع والإفحام والتأثير، وهو أيضا مصور قادر على الوصف الدقيق والقص الممتع تدل على ذلك نوادره وأخباره في "البخلاء" وكتاب "الحيوان" و"البيان و التبين" فلا عجب أن تجتمع في الرجل هاتان الصفتان اللتان شكلتا عمود البلاغة الإنسانية"[1]

فإذا كان الأمر كما يراه محمد مشبال كان لزاما علينا الرجوع إلى تراثنا العلمي وسبر أغواره واكتشافه من جديد، للوقوف على العناصر المعرفية والمنهجية واستحضار ما هو حي منها وملائم لتوظيفه في علومنا المعاصرة، واستخلاص ما هو صالح لننطلق منه، ونستمد بعض المعارف والمكتسبات التي تقوي فينا قدرة الإبداع و التجديد وبعث البحث البلاغي بوعي و عمق في شتى نواحيه و مختلف ميادينه .

فعموما يمكن القول أن النص النثري الجاحظي اتسم بسمات وقف عليها القدامى وطورها المعاصرون وهي قدرته على الجمع بين الجد والهزل، وسمة المزاوجة بين العقل والأدب، وسمة الواقعية في التصوير حتى قال المفكر الغربي شاربلا معلقا على النثر الفني الذي استعمله الجاحظ فقال : "أصعب من أن يستعمله جميع الكتاب، لأن ذلك سرعان ما رجعوا في القرن الرابع إلى نثر أشبه بالشعر "[2] .

عمل قراء الجاحظ إلى استثمار هاته الثنائيات في تقريبهم بين البلاغة الجديدة في بعدها التداولي بلاغة النثر وبلاغة الشعر يقول مشبال: "وهي ثنائيات سيستثمرها قراء الجاحظ في سياق تقريبهم للفروق بين بلاغة نثرية جديدة وبلاغة شعرية شكلت عمود الثقافة العربية قبل نشوء الحواضر وبروز تعدد الثقافات و الأعراق و اللغات"[3] لكون الجاحظ لم يفرط في استعمال وتوظيف المصطلحات البلاغية إلا ما أتى عفوا من غير تكلف فهو "لا يلجأ – كما يفعل الكثيرون – إلى تلمس التشبيهات والاستعارات يستعين بها في تصوير المشهد ...لم يلجأ إلى ذلك

[1] محمد مشبال: البلاغة والسرد جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ. ص.168

[2] شارل بلا : الجاحظ في البصرة و بغداد و سامراء ، تر: ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، دمشق 1958 ص.388

[3] محمد مشبال : بلاغة السرد جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ .ص.162

و لم يتورط فيه إلا بالقدر الطبيعي ...فأسلوب الجاحظ في الوصف ...وجه من وجوه الواقعية الغالبة عليه، وقد أعانه على أن يبلغ بأسلوبه هذا ذلك المبلغ من دقة التصوير وروعته قوة إدراكه لقيم الكلمات، وإحساسه الملهم بالظلال التي تنتشر عنها، وهدايته البالغة في كيفية تأليفها وتنسيقها ومزج ما بينها"[1]. وهذا الذي وجدناه عند الجاحظ إذ يقول: "والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال"[2].

إن النمط البلاغي الذي وصف به أدب الجاحظ هو الواقعية في التصوير التي حددت "المقامة الجاحظية خصائصه من قبل، فالواقعية لا تعد و أن تكون هنا سمة بلاغية"[3]

كما أشار إلى هذا البعد السيميائي في بيان الجاحظ، الباحث التونسي صمود فقال: "مفهوم البيان عنده (أي عند الجاحظ) يتدرج من "العلامية" مطلقا إلى العلامة اللغوية بمستوييها العادي و الأدبي"[4] ثم عقد صمود فصلا للوقوف على هذه الدلالات و المعاني، وما يقوم بينها من علاقات فجاء بتعريف البيان عند الجاحظ بأنه "اسم جامع لكل شيء كشف له قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير"[5] ثم يقول صمود شارحا هذا التعريف: "فجاءت الدلالات أنواع ومراتب، أما الأنواع فمن جهة أن الإنسان يبين عن مراده بوسائل شتى لا تنحصر بالضرورة في اللغة"[6] يرى صمود أن الجاحظ لا يقصد بمفهوم البيان ذلك المعنى الضيق عند البلاغيين المتأخرين، وهو التقسيم الثلاثي، وإنما معنى أوسع لمصطلح البيان يجمع كل الوسائل التي تمكن المتكلم من تأدية المعنى، وذلك تفسيره عندما ذكر العقد والإشارة والخط و النصبة، وهذا بعد بلاغي للدراسات المعاصرة، توحي بأن قضية اللفظ والمعنى في تراثنا البلاغي مسألة أساسية مشتركة في العلوم والدراسات

[1] محمد مشبال :بلاغة النادرة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب، 2006 ، ص27

[2] الجاحظ (ت: 255هـ): الحيوان. ج3.ص17.

[3] محمد مشبال ، جماليات النمط الواقعي في الأدب ، مجلة مواسم ، ع4 .1995 .ص.13-16

[4] حمادى صمود ، التفكير البلاغي عند العرب، ص.157

[5] الجاحظ ، البيان والتبين ج1 .ص.76

[6] حمادى صمود ، التفكير البلاغي عند العرب.ص.159

العربية التي تتصل بالإفهام وتوصيل المعاني ، غير أنه يتم تحقيق هذا الأمر ولو بغير لغة كإشارات الجوارح وهو بعد سيميولوجي للجاحظ لبعث البحث في هذا المجال عبر مختلف العصور :"ومتى دل الشيء على معنى فقد أخبر عنه ،و إن كان صامتا و أشار إليه وإن كان ساكنا "[1]

المصطلح البلاغي بين الأصالة والمعاصرة

من هذا المنطلق نستنتج أن الأصالة والمعاصرة لا تنفصلان، فالأخذ بالأصالة وحدها يعد تقليدا وبالتالي جمود وتكرار لتجارب الأولين، والأخذ بالمعاصرة وحدها يعتبر انسلاخا وفقدانا للذاتية، فالشرط الوحيد لتجاوز هذا هو التعامل مع النصوص التراثية بآليات حداثية، و هذا المعنى أشار إليه الجاحظ في نص نقدي يحتمل القراءة العصرية، فقال "قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني: المعاني القائمة في صدور العباد المتصورة في أذهانهم والمختلجة في نفوسهم مستورة خفية وبعيد وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدومة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه وحاجة أخيه وخليطه ولا معنى شريكه و المعاون له عي أموره وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره و إنما تحيا تلك المعاني في ذكرهم لها و إخبارهم عنها و استعمالهم إياها... وكلما كانت الدلالة أوضح و أفصح كانت الإشارة أبين و أنور كان أنفع و أنجع"[2]

1.2- الملمح الحجاجي في التراث البلاغي:

لقد نادى المعاصرون بضرورة البحث والتنقيب عن حجاجية النصوص التراثية، وما البلاغة الجديدة إلا صورة بديلة عن مصطلح الحجاج في البحث البلاغي عند العرب حيث "إن الحقل المعنوي لكلمة – Rhetorique - لا يطابق في الأعم الحقل الذي تبنيه كلمة "بلاغة في السنن العربية وإن كنا نضطر دائما، عن خطأ أو عن صواب، إلى المطابقة في الترجمة بين الكلمتين"[3].

[1] الجاحظ، البيان و التبين ج1 ص.58

[2] الجاحظ : البيان و التبين ج1 / ص.82/81 .

[3] فريق البحث في البلاغة والحجاج :أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمادي صمود ، الناشر : كلية الآداب منوبة ،تونس ص11

فوظيفة البلاغة الجديدة إظهار مكامن الحجج والبراهين، وهي استمرار للبلاغة الغربية القديمة وإحياء لها في صورة حجاجية، حيث "تعرف البلاغة الجديدة بأنها نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة النفوس، وكسب العقول عبر عرض الحجج، كما تهتم البلاغة الجديدة أيضا بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب، ثم يتطور، كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور، هذا التعريف يبين إلى أي مدى تمثل البلاغة الجديدة استمرارا للبلاغة الكلاسيكية، وإلى أي مدى تختلف عنها"[1]

البلاغة عند الغرب كما يرى راستيني ليست هي مجرد صور بيانية تشتمل على مجموعة من المصطلحات، بل هي الحجاج في بعده الإقناعي، والإبداع في بعده التخييلي: "فكلمة بلاغة في التقليد الغربي لا تنحصر في صور الأسلوب (استعارة ، كناية) بل تشمل مجال الإقناع (وهو المجال الذي وجدت من أجله منذ أرسطو) ومجال الإبداع الذي يهتم بالتخييل (المترجم)"[2].

إن تطور اللغة يتطور بتطور الإنسان، في جميع الميادين واللغة هي التي تصنع التاريخ فلكل زمن لغته الخاصة به ، وبها يصنع البشر حاضرهم ومستقبلهم، وعلى هذا وجدنا بعدا بلاغيا في تراث القدامى هو تاريخ بالنسبة لنا ومستقبل بالنسبة إليهم " لولا الكلمات التي جعلت الزمن تاريخيا، والفضاء جغرافيا، لما استطعنا أن نفكر ونختزن اختباراتنا، فضلا عن اختبار معاصرينا وأسلافنا. أي لما كان لنا ثقافة ... ولكننا نحن بفضل اللغة ننتفع باختبارات غيرنا في العصور الماضية والعصر الحاضر"[3]

وفي تعريفات القدامى للبلاغة ما يوحي مباشرة بأنهم على وعي تام بوظيفتها الحجاجية، إذ أشار ابن المقفع أن من البلاغة ما يكون للاحتجاج فقال: " وسئل ابن المقفع: ما البلاغة؟ فقال: اسم لمعان تجري في وجوه عدة كثيرة: فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع،

[1] صابر الحباشة : التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر. سنة2008. ص15

[2] فرنسوا رستيني : فنون النص وعلومه، تر:ادريس الخطاب. ص173.

[3] سلامة موسى: البلاغة العصرية واللغة العربية، الناشر.ميراث من الكفاح الهادف. ط1 .سنة1945. ص17.

ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون خطباً، ومنها ما يكون رسائل؛ فعامة هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة[1].

ولو فتشنا عن بعض أنواع الحجة المقنعة في تراثنا البلاغي لوجدنا ما يغني الساحة النقدية اليوم، فهاهو أبو تمام يمدح ابن المعتصم في حضرة الكندي" وهو فيلسوف العرب:

إقدام عمرو، في سماحة حاتم ... في حلم أحنف في ذكاء إياس

فقال له الكندي: ما صنعت شيئاً، شبهت ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين بصعاليك العرب! ومن هؤلاء الذين ذكرت؟ وما قدرهم؟ فأطرق أبو تمام يسيراً، وقال:

لا تنكروا ضربي له من دونه ... مثلاً شروداً في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلاً من المشكاة والنبراس[2]

وهنا نجد أن أبا تمام نجح في الرد حجاجيا علي الكندي بحجة تمثيلة نصية استحضر فيها قوله تعالى في سورة النور.

هذه الحجج والبراهين ما توصل إليها إلا بإعمال الفكر والعقل وتأييد ما ذهب إليه بأمثلة حجاجية من نصوص دينية لا يمكن القدح في حجاجيتها، هذا ما يجعل الكندي يستسلم للحجة ويقول " هذا الفتى قليل العمر؛ لأنه ينحت من قلبه"[3].

---

[1] أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 463 هـــ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تح: محمد محيي الدين عبد الحميدج1.ص192.

[2] أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 463 هـــ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تح: محمد محيي الدين عبد الحميدج1.ص192.

[3] المصدر نفسه ج1.ص192.

لقد أشار صاحب العمدة (ت: 463 هـــ)، إلى مصطلح الحجاج في عصره وأن بلاغة العتاب أنواع فقال"العتاب وإن كان حياة المودة، وشاهد الوفاء فإنه باب من أبواب الخديعة، يسرع إلى الهجاء، وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء، فإذا قل كل داعية الألفة، وقيد الصحبة، وإذا كثر خشن جانبه، وثقل صاحبه.

وللعتاب طرائق كثيرة، وللناس فيه ضروب مختلفة؛ فمنه ما يمازجه الاستعطاف والاستئلاف، ومنه ما يدخله الاحتجاج والانتصاف، وقد يعرض فيه المن والإجحاف، مثل ما يشركه الاعتذار والاعتراف"[1].

وليس البلاغة كلها حجاج وبرهان إذ أن هناك من الحجاج ما يكون وروده خطأ، وهذا الذي تنبه له صاحب العمدة في زمانه ونادت به الدراسات المعاصرة: " ينبغي للشاعر أن لا يقول شيئاً يحتاج أن يعتذر منه، فإن اضطره المقدار إلى ذلك، وأوقعه فيه القضاء؛ فليذهب مذهباً لطيفاً، وليقصد مقصداً عجيباً، وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه، وكيف يمسح أعطافه، ويستجلب رضاه، فإن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ، لا سيما مع الملوك وذوي السلطان، وحقه أن يلطف برهانه مدمجاً في التضرع والدخول تحت عفو الملك، وإعادة النظر في الكشف عن كذب الناقل، ولا يعترف بما لم يجنه خوف تكذيب سلطانه أو رئيسه، ويحيل الكذب على الناقل والحاسد، فأما مع الإخوان فتلك طريقة أخرى".[2]

عبد القاهر الجرجاني (ت: 471 هـــ): وهو شيخ البلاغيين وإمامهم يشير أن من المجاز ما هو حجاجي كأنها الحقيقة تنطق بنفسها ،في قولهم **قد زرّ أزراره على القمر** ويمثل لذلك بالحقيقة بشعر العباس بن الأحنف: "

[1] القيرواني الأزدي (ت: 463 هـــ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه:ج2.ص160.

[2] القيرواني الأزدي (ت: 463 هـــ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه:ج1.ص176.

هِيَ الشَمسُ مَسكَنُها في السَماءِ .... فَعَزِّ الفُؤادَ عَزاءً جَميلا

فَلَن تَستَطيعَ إِلَيها الصُعودَ .... وَلَن تَستَطيعَ إِلَيكَ النُزولا[1]

صورة هذا الكلام ونصبته والقالب الذي فيه أفرغ، يقتضي أن التشبيه لم يجر في خلده، وأنه معه كما يقال: «لست منه وليس منّي»، وأن الأمر في ذلك قد بلغ مبلغا لا حاجة معه إلى إقامة دليل وتصحيح دعوى، بل هو في الصّحّة والصدق بحيث تصحّح به دعوى ثابتة[2].

فالملمح الحجاجي ثابت في الخطاب القرآني وفي تراثنا البلاغي ،بل هناك دعوة لأعمال هاته الحجج وتخير مكانها المناسب في الخطاب وقد نص على هذا التنزيل الحكيم فقال سبحانه﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾ [3] ولقد وصفت الحجة في الخطاب القرآني بوصفين اثنين :أنها بليغة وداحضة أي مردودة باطلة قال تعالى: قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ[4] وقال تعالى﴿ وَالَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴾ [5]

2.2- الملمح الحجاجي في شعر القدامى – رؤية مغاربية معاصرة–

الحجاج باعتباره وسيلة من وسائل الإقناع أو البرهنة فهو عربي النشأة وباعتباره مصطلحا بلاغيا يقوم على نظرية علمية فهو غربي النشأة يقول الباحث عمر بوقمرة" الحجاج في اللغة نظرية غربية حديثة، ظهرت على يد الألسني الفرنسي"**- ديكرو**"، بعد ظهور كتابه" الحجاج في اللغة "

---

[1] أبو هلال العسكري (ت: نحو 395هـ): ديوان المعاني ،الناشر: دار الجيل – بيروت، (د.ت.ط). ج1. ص269.

[2] الجرجاني (ت: 471 هـ): : أسرار البلاغة فى علم البيان، تح: عبد الحميد هنداوي. ص220.

[3] سورة النساء :الآية63.

[4] سورة الأنعام: الآية149.

[5] سورة الشورى :الآية16.

عام1983 م ، مفادها أن اللغة تحمل في جوهرها بعدا حجاجيا، وبعبارة أوضح أن من أهم وظائفها الحجاج، وتلقفها عنه الباحثون العرب ومنهم **أبو بكر العزوي المغربي، وسامية الدريدي** وغيرهما"[1]

هناك من رفض أن يكون الحجاج في الشعر كون ذلك يفقد الشعر شعريته ويصيره خطبا، وهذه إشكالية قائمة بين الباحثين والدارسين غير أن منهم من أثبت الحجاج في الشعر فالباحثة المغاربية سامية الدريدي تقول: "نثبت أن الحجاج قد يحضر في الشعر حضوره في النثر وأن الشاعر قد يضطلع بوظيفة المدافع عن فكرة المحتج لها تماما كالخطيب أو السياسي أو رجل الإشهار... وهي حجج متنوعة منها ما يتعلق بمفهوم الحجاج ذاته ومنها ما يتعلق بالأجناس الأدبية."[2]

مما يزيد الأمر تأكيدا وتوضيحا هو أن الشاعر العربي كان يقود الأمة ويقنعها بشعره حيث إنه يرى ويشعر بما لم يشعروا به، فالشاعر له أن يذهب مذهب الخطيب في الاحتجاج والتأثير أو الإقناع، وله أن يصنع كلامه مرصوفا على قالب المحاكاة والتخييل " وإن وجد – الشاعر – المعني اللطيف في المنثور من الكلام، وفي الخطب والرسائل والأمثال، فتناوله وجعله شعرا كان أخفى وأحسن، ويكون ذلك كالصائغ الذي يذيب الذهب والفضة المصوغين فيعد صياغتهما بأحسن مما كانا عليه، وكالصباغ الذي يصبغ الثوب على ما رأى من الأصباغ الحسنة... فالشعر رسائل معقودة، والرسائل شعر محلول، وإذا فتشت أشعار الشعراء كلها وجدتها متناسبة إما تناسبا قريبا أو بعيدا، وتجدها مناسبة لكلام الخطباء، وخطب البلغاء وفقر الحكماء"[3] .

---

[1] عمر بوقمرة: الحجاج في الشعر العربي القديم كتاب "الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني، بنيته وأساليبه "ـــ: سامية الدريدي- أنموذجا - مجلة التواصلية ، ع 7. ص53.

[2] سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني، بنيته وأساليبه .اربد.عالم الكتب الحديث . الأردن .ط1. 2007.1428 .ص 52.

[3] محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن (ت: 322هـــ): عيار الشعر. تح: عبد العزيز بن ناصر المانع. الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.ص127.

تشير الباحثة سامية الدريدي إلى قضية مهمة في حال استعمال الشاعر الحجاج في قصيدته فعليه أن لا يكثر منه ويهمل المحاكاة أوالتخييل :"للشاعر أن يعتمد الحجاج دون مبالغة فلا يهمل التخييل ولا يغلب الإقناع كغاية للخطاب على الإطراب والإلذاذ، فلا ضير أن يضطلع الشاعر بوظيفة حجاجية ولكن بمقدار. "[1]

إن هذه الرؤية والملاحظة الدقيقة للباحثة سامية الدريدي لحجاجية الشعر هي ما ذهب إليه صاحب منهاج البلغاء حازم القرطاجني (ت: 684هـ):" وقد تعضد هذه الأشياء باستدلالات خطبية محضة أو موجود فيها شروط الشعر والخطابة معا يكون المحاكاة توجد فيها مع الإقناع؛ وما كن بهذه الصفة فهو أفضل موقعا في الشعر، والصنف الآخر أيضاً قد يقع في الشعر ولا يقدح ذلك فيه لأن صناعة الشعر لها أن تستعمل شيئا من الإقناع كما أن صناعة الخطابة لها أن تستعمل شيئا يسيرا من المتخيلات"[2].

فإعمال النظر العميق للتفرقة بين الشعر والنثر يبين لنا أن الشعر أسبق عند العرب من النثر وهو أساس قيام حضاراتهم وسياستهم اعتمده السلاطين في إقناع شعوبهم قبل أن يوجد الخطيب الحاذق في خطبته النثرية ، فالفرق دقيق يسير بين حجاجية النثر والشعر ، حيث الشعرية المرهفة تلزم الإثنين والا كان نثرهم وشعرهم خاليا من الحجاج، يقول العسكري (ت: نحو 395هـ) :" فإن من أكمل الصفات صفات الخطيب والكاتب أن يكونا شاعرين كما أن من أتم صفات الشاعر أن يكون خطيبا كاتبا. والذي قصر بالشعر كثرته وتعاطى كل أحد له حتى العامة والسفلة؛ فلحقه من النقص ما لحق العود والشطرنج حين تعاطاهما كل أحد"[3].

[1] سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني، بنيته وأساليبه.ص62

[2] حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن (ت: 684هـ): منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تح : محمد الحبيب بلخوجة . ط3، دار الغرب الاسلامي ، بيروت .1986. ص347.

[3] العسكري (ت: نحو 395هـ): الصناعتين. تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. ص139.

إن من أساسيات نجاح العملية الحجاجية الغموض، فهو يقيم الحجة والبرهان بطرق متعددة بديلة عن الحقيقة المباشرة والشاعر بدوره يميل في أبياته إلى الغموض، فيعدل عن اللفظ المباشر إلى لفظ بعيد أعمق في الدلالة بحيث يلجأ المتلقي لبعض الوسائط لتذليل وتيسير الفهم والمقصود من البيت أو القصيدة وهو ما نجده عند القدماء في مفهوم معنى المعنى عند الجرجاني: " فههنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: "المعنى"، و"معنى المعنى"، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة و"بمعنى المعنى"، أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر."[1] فتلك المصطلحات البلاغية لا يقصد منها التزيين فحسب، وإنما لإعطاء حجاجية المعنى في بعده البلاغي ووضعه المقام الذي يناسبه،كما يعطي تحولا دلاليا من معنى مباشر إلى معنى أبلغ وأقطع بالحجة منه "اعلم أنهم يضعون كلاما قد أعطاك المتكلم أغراضه فيه من طريق معنى المعنى، فكنى وعرض، ومثل واستعار، ثم أحسن في ذلك كله وأصاب، ووضع كل شيء منه في موضعه، وأصاب به شاكلته، وعمد فيما كنى به وشبه ومثل، لما حسن مأخذه، ودق مسلكه، ولطفت إشارته، وأن المعرض وما في معناه، ليس في اللفظ المنطوق به، ولكن معنى اللفظ الذي دللت به على المعنى الثاني".[2]

يمثل الجرجاني (ت: 471هـ): لتأثير الشعر في القلوب وأنه يسحر العقول ويذهب بها بعيدا حيث لا تدري معنى البيت، وههنا استطاع الشاعر ابن المعتز تقبيح وذم صورة القمر المتفق على جماله وبهائه. وبهذا يخرق الإجماع فيقول:

يا سارقَ الأنوار من شَمْس الضُّحَى ... يا مُشْكِلي طيبَ الكَرَى ومُنَغِّصِي

أمّا ضياء الشمسِ فيك فناقصٌ ... وأرَى حَرَارةَ نارِها لم تَنْقُصِ

[1] الجرجاني الدار (ت: 471هـ): دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر. ص263.
[2] المصدر نفسه. ص263.

لم يَظْفَرِ التشبيهُ منك بطائِل ... مُتسَلِّخٌ بَهَقاً كلَوْنِ الأَبْرصِ[1]

قد يصل بالشاعر في شعره إلى أن يقول قولا عندما يعود إليه يجد نفسه مخدوعا كيف تأتى له هذا، وهذا ما عناه القدامى بمصطلح التخييل "وجملة الحديث أن الذي أريده بالتخييل هنا، ما يُثبت فيه الشاعر أمراً هو غير ثابتٍ أصلاً، ويدَّعي دعوَى لا طريقَ إلى تحصيلها، ويقولُ قولاً يخدع فيه نفسه ويُريها ما لا ترى.. وستمر بك ضروب من التخييل هي أظهر أمرا في البعد عن الحقيقة، وأكشف وجها في أنه خداع للعقل"[2].

فالتخييل عند الشعراء يكتسيه طابع الغموض، هذا الغموض بدوره كما سبق آنفا هو الأرض الخصبة للحجاج ولذا اتحدت الصناعتين، صناعة الشعر والنثر في المقاصد والمآلات، غير أنه من الواجب على الشاعر والخطيب أن يلتزما بخصوصية الفنين فلا الشاعر يكثر من الحجاج ولا الخطيب يكثر من التخييل، يطالعنا حازم القرطاجني بهذه الرؤية الدقيقة للفصل في القضية فيقول: "التخييل هو قوام المعاني الشعرية والإقناع هو قوام المعاني الخطابية. واستعمال الإقناعات في الأقاويل الشعرية سائغ، إذا كان ذلك على جهة الإلماع في الموضع بعد الموضع. كما أن التخاييل سائغ استعمالها في الأقاويل الخطابية في الموضع بعد الموضع. وإنما ساغ لكليهما أن يستعمل يسيرا فيما تتقوم به الأخرى، لأن الغرض في الصناعتين واحد، وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه. فكانت الصناعتان متؤاخيتين لأجل اتفاق المقصد والغرض فيهما. فلذلك ساغ للشاعر أن يخطب لكن في الأقل من كلامه، وللخطيب أن يشعر لكن في الأقل من كلامه"[3].

---

[1] الجرجاني (ت: 471هـ): أسرار البلاغة. ص346.

[2] الجرجاني الدار (ت: 471هـ): أسرار البلاغة في علم البيان، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ص275.

[3] القرطاجني(ت: 684هـ): منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تح : محمد الحبيب بلخوجة. ص361

يضيف حازم القرطاجني(ت: 684هـ) تنويرا رائعا يرفع به هذا اللبس والغموض في قضية الاحتجاج في الشعر والتخييل في النثر :" ينبغي أن تكون الأقاويل المقنعة، الواقعة في الشعر، تابعة لأقاويل مخيلة، مؤكدة لمعانيها، مناسبة لها في ما قصد بها من الأغراض، وأن تكون المخيلة هي العمدة. وكذلك الخطابة ينبغي أن تكون الأقاويل المخيلة الواقعة فيها تابعة لأقاويل مقنعة مناسبة لها مؤكدة لمعانيها، وأن تكون الأقاويل المقنعة هي العمدة."[1]

ترى الباحثة سامية الدريدي أن التخييل وحده عاجز عن تحقيق المراد من قول الشعر، إذ الحجاج رافد أساسي في بلوغ المقصد الأساس والمعنى المقصود من شعر الشاعر، حيث استنجت الباحثة أن غموض الشعر هو مطية من مطايا الحجاج وإجراء له في الكلام فغموض المعنى من إيراد المجاز في الشعر مثلا هو حامل حجاجي يلزم المتلقي بقبول الحقيقة إن هو قبل المجاز واقتنع به. [2]

يزيد هذه الرؤية تأكيدا ما وجدناه عند بعض القدامى حيث ربط ابن طباطبا (ت: 322هـ): معاني الشعر عند العرب بالحجاج العقلي في أشعارهم حينما يتفاخرون أو يشيدون ذكرا ومدحا لأخلاقهم فقال:" ربما خفي عليك مذهبهم في سنن يستعملونها بينهم في حالات يصفونها في أشعارهم فلا يمكنك استنباط ما تحت حكاياتهم... وأما ما وجدته في أخلاقها، وتمدحت به ومدحت به سواها، وذمت من كان على ضد حالها فيه .فخلال مشهورة كثيرة:... والبيان... والقيام بالحجة[3].

ولقد قامت بحوث معاصرة تعرضت بالتحليل والدراسة للبعد الحجاجي في الشعر منها بحث الأبعاد الحجاجية في الشعر "نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر" للباحثة صفية مكناسي

[1] القرطاجني(ت: 684هـ): منهاج البلغاء وسراج الأدباء.تح : محمد الحبيب بلخوجة. ص361.

[2] ينظر : سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني، بنيته وأساليبه.ص66.65. 67 بتصرف

[3] ابن طباطبا (ت: 322هـ): عيار الشعر. تح: عبد العزيز بن ناصر: ص18.

والحجاج في الشعر العربي للباحث عصام خلف كامل في دراسة نقدية وأدبية وبلاغة الحجاج في النص الشعري وهو مقال بمجلة جامعة دمشق العدد الثاني، حيث تعتبر هذه البحوث من الدراسات المعاصرة التي تتبعت مصطلح الحجاج وتطبيقاته على النصوص الشعرية مع مراعاة الخلاف القائم بين الدراسين والباحثين حول إمكانية حدوث حجاجية النص الشعري .

خلاصة:

مرت البلاغة العربية بعدة مراحل ، ساهمت في نشأة المصطلح البلاغي ، انطلاقا من ذوق اللغويين وتأثرهم ببلاغة الخطاب القرآني ، وظهور الفرق الكلامية والحقول المعرفية المتعددة إلى غاية بروز التأليفات وتعدد مشارب الكتابة لكل مؤلف .فهذه العوامل وغيرها ساهمت في توجيه المفهوم الفني للبلاغة العربية كمصطلح ، والمفهوم اللغوي العام لها على اعتبار أنها علم ينبغي أن تكون لها مصطلحات بلاغية خاصة يتميز بها ، فألف في ذلك ابن المعتز ، وجمع الجاحظ ماتفرق من كلام العرب يبين فيه فصاحتهم وبلاغتهم ، حتى غاية ظهور التفاسير وتوظيف بعض المصطلحات البلاغية كما الشأن مع الزمخشري ونزعته الفلسفية في تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه لخدمة توجهه ومذهبه الاعتزالي ، إلى أن جاء السكاكي في القرن السابع هجري وقعد لمصطلحات علم البلاغة وقسمه تقسيما ثلاثيابغية المقصد التعليمي.

الفصـــل الثـــانـــي:

المصطلح البلاغي في الدراسات العربية والمغاربية المعاصرة

المبحث الأول: واقع الدراسات العربية المعاصرة في مجال البحث البلاغي

المبحث الثاني : مظاهر التجديد في المصطلح البلاغي في الدراسات المغاربية المعاصرة

المبحث الثالث :المصطلح البلاغي ومظاهر التلقي في الدراسات المغاربية المعاصرة

المبحث الأول: واقع الدراسات العربية المعاصرة في مجال البحث البلاغي

إن البحث البلاغي المعاصر لا يمكن له أن ينطلق من فراغ دون النظر والرجوع إلى المرحل التي عاشتها البلاغة العربية عبر هذا الزمن الطويل منذ نشأتها في البيئة اليونانية ومرورها بمراحل عدة أثرت فيها بعدما كان الهدف الأول منها هو تحبير الخطب وتزيينها بحلة من العبارات والمصطلحات ، إلى جنوح المعاصرين بها إلى استخراج مكامن الحجاج في أبعادها التواصلية والإقناعية، وهذا ما أشار إليه القدامى أنفسهم إذ يعرفها بعضهم من خلال هذه النظرة فيقول: « البلاغة اسم لمعان تجرى في وجوه كثيرة؛ منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون فى الاستماع، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا، ومنها ما يكون خطبا، وربما كانت رسائل. فعامة ما يكون من هذه الأبواب فالوحى فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ، والإيجاز هو البلاغة. فقوله: "منها ما يكون فى السكوت" ، فالسكوت يسمى بلاغة مجازا، وهو في حالة لا ينجع فيها القول ولا ينفع فيها إقامة الحجج »[1]

ولقد أشار القدامى إلى إمكانية التجديد ، وقابلية علم البلاغة للتطور والاستمرارية كسائر العلوم ،حيث يقول ابن قتيبة (ت: 276هـ) « لم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كلّ دهر، وجعل كلّ قديم حديثا في عصره، وكلّ شرف خارجيّة في أوّله، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدّون محدثين. وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: «لقد كثر هذا المحدث وحسن حتّى لقد هممت بروايته. ثمّ صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا.... كما أنّ الرّدىء إذا ورد علينا للمتقدّم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدّمه»[2]

---

1 أبو هلال العسكري (ت: نحو 395هـ) ،الصناعتيين. تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ص.19

[2]أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ): الشعر والشعراء. الناشر: دار الحديث، القاهرة. سنة: 1423 هـ.ج1.ص64

يتجلى من خلال هذا الطرح أن ابن قتيبة عاش لحظة التجديد في الدرس البلاغي في عصره على اعتبار أنها ستنتج من خلال المنجزات المطروحة فاستخلص إلى لكل زمان رجاله يقومون بإعادة قراءة الزخم البلاغي وتكييفه وفق مستجدات العصر ومتطلباته العلمية والتعليمية .

1- الجهود العلمية في وضع المصطلح البلاغي

استمرت هذه الجهود المصطلحية في سيرورتها الزمنية ،تصاحب الدرس البلاغي ،حتى ذهب الدارس للقول بأن هذه المصطلحات « كان لها أكبر الأثر في تقدم الحركة الأدبية الحديثة ،ويبدو أن الإتجاه في السنوات الأخيرة بدأ يميل إلى الغرب، وصار المؤلفون و المترجمون و النقاد يغرفون من المصطلحات الأجنبية ادعاء أو استسهالا وهوما أدى إلى طغيان المصطلحات الأجنبية فيما ينشر ويترجم» [1] ولذا عاد السؤال من جديد في العصر الحاضر عن ماهية مصطلح البلاغة، و أين نجد هذه البلاغة؟ وهل هي نفسها البلاغة القديمة؟ يقول العمري متسائلا: « وها نحن نعود بعد عمر من البحث في المجال البلاغي ببعديه الشعري و الخطابي ، إلى نقطة البداية لنتسائل : ما هي البلاغة؟ أو على الأقل: أين توجد البلاغة؟ هل هناك بلاغة واحدة أم بلاغات متعددة؟ و إذا كانت هناك بلاغات متعددة، هل هناك مشروعية لقيام بلاغة عامة تنسق هذه البلاغات الخاصة و تتحدث باسمها في نادي العلوم المحيطة بها؟» [2]، كما أن عدم وضوح الرؤية البلاغية المعاصرة كما ذكرنا آنفا جعل القارئ يصادف«مجموعة من المصطلحات الجديدة التي لا مندوحة عنها للخروج من الخلط و الإضطراب في بناء النسق البلاغي الذي نتوخاه ... فالمرجو أن لا يلتقط القارئ هذه المصطلحات المركزية بمنقارطائر جوال لا يغادر قبة سمائه، فالمسألة تتعلق بمحنة نسق لا بجولة ألفاظ»[3]

وبهذا نرى أن الذي تحكم في تطور المصطلح البلاغي وسيروته عبر هذا الزمن الطويل هوالسياق ، فهوعامل أساسي تخضع له اللغة العربية في إنشاء ألفاظها ومصطلحاتها لتحقيق توصيل

---

1 أحمد مطلوب :معجم النقد العربي القديم. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. .ط1. 1989م. المقدمة ،ج1.ص.26 .

[2] محمد العمري:البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، الناشر:افريقيا الشرق ، ط2. 2012م .ص05.

[3] المصدر نفسه : ص .08

الرسالة على وفق ما توفره المعطيات والملكات اللغوية والبلاغية التي يمتلكها كل من المرسل والمرسل إليه والظروف المحيطة أثناء عملية الإنشاء وعلى هذا «قد اقتضى السياق أحيانا مقايضة بعض المصطلحات ،المنتمية لحقل واحد ، إما لتأكيد خصوصية ، مثل حلول الحجاج محل التداول في سياق بلاغة الإقناع الجديدة ، وحلول كلمة بيان في نفس المحل في سياق الحديث مع الجاحظ»[1] .

ولذا وجدنا بعض الشعراء يزاوجون في أشعارهم بين مصطلحات القدامي والمعاصرين تأثرا أحيانا بنزعة القدامى واستجابة مرة أخرى لما يقتضيه العقل المعاصر والمدارس الشعرية الحديثة، إذ يلح الدكتور ضيف على مبدإ الصوغ المتقن ويدعم آراء المدارس الإتباعية بقوله :إن الشاعر لا يبرع إلا إذا وقف وقوفا دقيقا على صياغة سابقيه من الشعراء[2]

1.1- دعوات التجديد لتلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه

رأى بعض المعاصرين من الشعراء أن القديم لا زالت سيطرته وتأثيره ،فوظفوا مصطلحات القدامى لإحداث التأثير والتميز فا«الحديث عن علاقة الشاعر المعاصر بالتراث الشعري نرى تفاوتا واضحا كذلك حقا أن اللجوء إلى الشكل الشعري الجديد كان يمثل محاولة للتحرر من الشكل القديم، وقد استطاع هذا الشكل أن يمنح الشاعر حرية في الحركة والاختيار والتخفيف من رتابة الوزن والقافية وخلق صور ورموز والتغلغل إلى ضروب الصراع في الحضارة الحديثة ولكن ما يزال بعض الشعراء الذين اختاروا هذا الشكل. يميلون إلى استعمال الشكل القديم وما تزال للقافية سيطرة هامة» [3] بالإضافة إلى هذا كله يمكن القول أن هذه التعليلات والرؤى تصح في جانب منها ، وفي جوانب أخرى لا تستند إلى نظر علمي أو دراسة موضوعية بدليل أننا وصلنا في القرن الواحد والعشرين ولا نزال نعاني من « فجوة مصطلحية مزدوجة ،فجوة في أداء توليد

[1] محمد العمري:البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول ، ص 08.

[2] ينظر شوقي ضيف : في النقد الأدبي .الناشر دار العارف .مصر.ط2.سنة 1966.ص115.114.

[3] عباس إحسان: اتجاهات الشعر العربي المعاصر .الناشر :المجلس الوطني للثقافة والفنون .الكويت .سلسلة كتب ثقافيةسنة1998.ص117..

المصطلح تتمثل في عجز وسائلنا عن ملاحقة الطلب المصطلحي المتصاعد ، حيث يضاف إليه كل يوم عدة آلاف ، وفجوة في توحيد المصطلح بين الأقطار العربية »[1] وهذا بطبيعة الحال يزيد من مهمة دارسي المصطلح البلاغي ،إذ أن البحث المصطلحي في حد ذاته يعاني من مشكلة جهازه المصطلحي في الحقل المعرفي المنتمي إليه والذي يبحث فيه عنه، فلابد من توحيد مفهوم المصطلح القديم لكي يكون في حد ذاته آلية أساسية في توليد وتحديد اللفظ والمفهوم للمصطلح البلاغي الجديد ، ناهيك عن القواسم المشتركة بين العلوم التي لا يمكن إغفالها « إذ رغم ما بين كل حقول المعرفة من قواسم مشتركة يحكم موضوع توليد الألفاظ الدالة على المفاهيم الدقيقة (المصطلحات) داخل اللسان البشري الواحد، فإن لكل فن من أفنان المعارف خصوصيات لا غرابة أن تأتي على الأعراف اللغوية بكثير من المؤلفات الواسعة تختلف من عقل علمي لآخر»[2]

وهذه دعوة صريحة للتجديد البلاغي نادت بها الدراسات المغاربية القديمة، يقول الشنتريني (ت: 542هـ): « وليت شعري من قصر العلم على بعض الزمان، وخص أهل المشرق بالإحسان... والإحسان غير محصور، وليس الفضل على زمن بمقصور؛ وعزيز على الفضل أن ينكر، تقدم به الزمان أو تأخر... فكم دفن من إحسان، وأخمل من فلان. ولو اقتصر المتأخرون على كتب المتقدمين، لضاع علم كثير، وذهب أدب غزير.» [3]كما حذرت في نفس الوقت من الاقتصار على القديم

2.1- المصطلح البلاغي في النقد المغاربي الحديث و عوامل التجديد :

شهد العصر الحديث تطورا كبيرا مس معظم جوانب حياة الإنسان ، وكان هذا التطور محتما على أن يمس الآلة البلاغية اللغوية لتحقق للإنسان لغة بلاغية مواكبة لعصره، ومن أهم مظاهر هذا التطور كما يعبر عنه الناقد والباحث المعاصر في الحقل البلاغي واللغوي حمادي صمود

[1] علي نبيل ونادية حجازي ، الفجوة الرقمية (رؤية عربية لمجتمع المعرفة) الناشر:عالم المعرفة ، الكويت سنة2005 ص.351

[2] عبد السلام مسدى ، المصطلح النقدي ، مؤسسة عبد الكريم عبد الله تونس 1994 ص10

[3] أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت: 542هـ):الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تح: إحسان عباس. الناشر: الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس. ط: 1 -1981. ج1.ص14.12..

قائلا: « غرس الحاجة حيث لا حاجة، وإغواء الناس بالإقبال على السلعة بما يستحدث فيها من تطورات إما في مظهرها أو في فاعليتها، وهي تطورات مفتعلة ولكنها تقدم في صورة مقنعة ، فدخل العصر في بلاغة الإشهار مما فتح الأبواب أمام عودة الخطابة ورجوع وظيفة الإقناع والتأثير في صيغة لم تعرفها من قبل»[1].

قد نجح تلقي هذه البلاغة بمصطلحات متحكمة في أذواق معظم الناس، وأصبح لها مؤسسات ضخمة في تقنيات هذا النوع من الخطاب الإشهاري المعاصر، "يمكن أن نقول بدون أدنى مبالغة : أن أهم آلية خطابية وبلاغية اليوم هي الثورة الإتصالية والمعلوماتية وليست العولمة في أبعادها الإقتصادية والثقافية، إلا وجها من الوجوه البارزة للخطابة الحديثة، حيث يقع « تمرير الأفكار والتصورات والأخيلة التي نريد تمريرها على حساب ما هو قائم في ذهن المتلقي والغاية هي إبعاده كما كان يعمر ذهنه، وإحلال ما نريد نحن مكانه، بتحريك الإعجاب بما يفرض عليه، أو بخلق الصدمة أو الفتنة أو الإقناع»[2].

تبدو الحركة العلمية المتطورة اليوم أن لها بالغ الأثر في بلورة تجسيد الرؤى المعاصرة في إعادة بعث المصطلح البلاغي من زاوية تأثيرية في الجانب الوظيفي بنوعيه المرئي والمسموع

أ- المصطلح البلاغي وأثره في انفتاح الخطاب

إن انفتاح الخطاب البلاغي بمصطلحاته و استيعابه لكل العلوم المجاورة والاستفادة منها فكرا ومنهجا و إجراءا. هو ما مكن للبلاغة العربية المعاصرة أن تظهر بهذه القوة ، هذه المكانة التي تحققت لها بفضل بنيتها اللغوية المرنة القابلة للتوسع وبفضل خاصية احتمال الخلاف التي هي أهم مميزاتها ، حيث انفتحت على التأويل و إعادة إنتاج نفسها من جديد ،إذ أن « استقراء اللغويين لجملة المظاهر التي حملوها على التوسع، وأكثر ما في باب الحذف أدى بهم إلى استنتاج أنه ليس حرية مطلقة يتصرف بمقتضاها المتكلم في اللغة، إذ لا بد من إبقاء في حدود ما تسمح به مما لا

[1] حمادي صمود: من تجليات الخطاب البلاغي. دار قرطاج تونس ط 1. 1995 ص133

[2] المصدر نفسه: ص .86

ينقض علة وجودها ويعطل وظيفتها الأصلية»[1]، ولذلك وجدنا من الباحثين المعاصرين كمجدي وهبة وكامل المهندس من يخصص لها بحثا يستعرض فيه تحول دلالة الكلمة وتغير مفهومها لأنها مرت بأزمان متعددة ، حتى وصل بها الأمر إلى أن صارت هناك بلاغات وليست بلاغة واحدة حيث « صار للبلاغة أنواع ، يهتم كل نوع بدراسة جانب من جوانب العملية التعبيرية»[2]

3.1- المصطلح البلاغي بين القديم ومتطلبات التجديد

يرى محمد مشبال في دراسته النقدية لكتابات العمري أن البحث عن مصطلحات جديدة لبلاغة معاصرة يتطلب أمرين اثنين :

1- مصطلحات جديدة، ومصطلحات قديمة بتعريف يتناسب ومقتضيات العصر. فالذي أوقع البلاغة العربية في هذا الفراغ بين الجديد والقديم هو توقف البحث البلاغي قرونا خاصة بعد تقعيد السكاكي حيث إن : « توقف النظر في هذه البلاغة قرونا جعل وصلها بمستجدات البحث في الميدان يتطلب إعادة مد الجسور بين جزرها ، و تدليل ما فقد دلالته عبر عصور الاختزال والتقزيم ،ولو جمع بين رصد أبي حيان و تنظير حازم مبكرا لحصلنا على بلاغة عامة منذ زمان »[3]وهذا الذي جعل العمري يقول: « كنت أتمنى أن أجد مصطلحات معروفة رائجة غير أن إقتحامي مجال البحث انطلاقا من أنساق حديثة و محاورة التراث العربي من خلالها دون وسيط فرض علي أن أقترح عددا من المصطلحات، منها ما هو جديد ،ومنها ما هو قديم اقتضى تشغيله إعادة تعريفه ليستجيب لمتطلبات نسق تتجاوب أطرافه دون لبس أو تداخل» [4].

---

[1] حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)الناشر :كلية الآداب منوبة .ط2.سنة1994.ص 104

2 مجدي وهبة وكامل المهندس :معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مكتبة لبنان بيروت ط2 1984 ص. 79

3 محمد مشبال: البلاغة و الخطاب ،معالم نقدية مقال لمحمد العمري ،الناشر : دار الأمان الرباط ، ط1 سنة1435هـ، 2014 م، ص41 .

4 المرجع نفسه : ص41. .

يرى عزيز عدمان ضعف الجهد العربي في مجال البحث البلاغي وخاصة في ضبط مصطلحاته، وأن الدراسات المعاصرة كانت متأخرة نوعا ما و لذا ما زال مجال البلاغة العربية يحتاج إلى إعادة قراءة مصطلحاته على المستوى الدلالي ،تلك الدلالة القديمة التي كانت مع الجرجاني والعسكري والقرطاجني ومن سار على نهجهم و اتبع الدلالة المصطلحية التي رسموها ، لأن القراءات تتعدد بتعدد الأزمان والعصور، وتنفتح الدلالات لأجل إضفاء الإنفتاحية المصطلحية التي تجمع بين مختلف القراءات وتعددها عبر العصور ، إذ أنه « لامرية في أن تكدير مشارب النص الأدبي، وزلزلة رتبه الشامخة مصدره ذوبان المعنى في سلسلة تناسلية من القراءات المتعددة التي لا تنتهي إلى قرار مكين، والواقع أنه من يحمل الفكر في أسئلة هذه المقدمة الطويلة لا يلبث أن يتبين أن هناك أصلا جامعا بين كل هذه الهواجس المعرفية و النقدية ،وهو ضبابية مفهوم الانفتاح ،و غموض مصطلحه»[1].

فالدراسات المعاصرة في مجال البحث البلاغي أصبحت على وعي كبير. أن هناك أصلا جامعا بين التراث والمعاصرة ،وأن ثورة المعلومات هي نوع من تغييب للنص ومؤلفه، بحجية الإنفتاح، فلا بد من تقديس التراث ،باعتباره الأصل ،والتقيد المشروع بضوابط التأويل بغية القراءة المعاصرة، ولعل التحديد الحقيقي الإصطلاحي ينبثق من ربط المعاصرة بالأصالة مع « مراعاة المادة النصية وقابليتها لهذا التوسع الدلالي »[2]،كما أن المتلقي له الدور الكبير في مجال جمالية النص وخلق الإبداع، لأنه هو الأساس في توليد المعنى حيث : «لا مندوحة عن الخوض في دور المتلقي في العملية الإبداعية ،لأنه عنصر فعال في تشكيل فعل القراءة » [3].

لقد انتبهت الدراسات المعاصرة إلى الدور الذي يلعبه الشاعر فيما يحدثه من أثر في المتلقي في توزيع بعض المصطلحات البلاغية عفويا من غير شعور وفق ما يقتضيه الإنتاج الدلالي المعاصر إذ «

---

1 عزيز عدمان : دراسات في البلاغة العربية و النقد الأدبي المعاصر ،الناشر :عالم الكتب الحديث ،الأردن ،ط1،سنة 1432هـ -2011م .ص166 .

[2] عزيز عدمان : دراسات في البلاغة العربية و النقد الأدبي المعاصر .ص .168

[3] المصدر نفسه: ص.63

أن إحساس المتلقي بالنشوة وشعوره بالأريحية مصدره تصرف الشاعر في الأبيات الشعرية من وحي إعادة توزيع مكونات النص الشعري توزيعا يستند إلى ظواهر تركيبية كالذكر والحذف والتنكير والتعريف والتكرار والتقديم والتأخير...لإنتاج الدلالة »[1]

مما يزيد الأمر وضوحا وبيانا ماجا ء به الشاعر أبو ذؤيب الهذلي في هذين البيتين ،حيث وظف فيه الصورة التشبيهية[2] فقال:

عَرَفتُ الدِيارَ كَرَقمِ الدَواةِ يَزبِرُها الكاتِبُ الحِميَرِيُّ

بِرَقمٍ وَوَشيٍ كَما زُخرِفَت بِميشَمِها المُزدَهاةُ الهَدِيُّ[3]

أحدث الشاعر في هذين البيتين أثرا بليغا في نفس المتلقي حينما شبه الديار (كرقم الدواة) وانتقل به من رتبة المشبه إلى رتبة المشبه به (كَما زُخرِفَت بِميشَمِها المُزدَهاةُ الهَدِيّ)وحذف وجه الشبه وتركه لباب الاجتهاد ليجعل النص ذا أبعاد خيالية وتصويرية فاستطاع بذلك الدارس المعاصر أن يقف على البنية العميقة التي تحمل قيما علمية وحضارية ودينية...وولد لديه انفتاحا دلاليا اكتسح الساحة النقدية فظهرت له معان جديدة على حسب تعدد القرءات الغير المنضبطة على ألفاظ النص وعباراته لأجل الوقوف على اللطائف والمحاسن الخفية للخطاب

[1] عزيز عدمان : دراسات في البلاغة العربية و النقد الأدبي المعاصر: ص.65.

[2] تحفظ القدامى في توظيفهم للصورة التشبيهية لما يكتنفها من غموض وغرابة حيث إنهم في الغالب يقفون عند حوافها ... وهو هو الحلقة المفقودة من دراسة التشبيه في التراث البلاغي.ينظر : نورالدين دحماني : بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني مقاربة تحليلية في جماليات الأداء والإيحاء.رسالة دكتوراه بإشراف :احمد مسعود جامعة وهران سنة 2012/2011.ص158

[3] الشعراء الهذليون: ديوان الهذليين، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي.الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة – جمهورية مصر العربية، عام النشر: 1385 هـ - 1965 م. ج1.ص64.

4.1 – المصطلح البلاغي وإشكالية التوظيف

كان التفكير البلاغي القديم، يرى أن توظيف المصطلحات البلاغية أساسه مقتضيات الحال والمقام ، حيث لاشك أن لنا في هذا المجال تراثا ثريا لا يجب أن يمحى بدعوى التجديد و إعادة القراءة المعاصرة ، غير أن الذي ينبغي أن يلفت إليه النظر ، هو ذلكم التقعيد الذي أخضعها للجمود نوعا ما في عصر السكاكي ومن سار على نهجه، حيث صارت البلاغة تعليمية في معظمها عاجزة عن تحديد مكامن الحسن و الجمال ، بسبب التبويب الذي أخضعت له لغرض مقصود وعذر مبرر ، ولذا نادت الدراسات المعاصرة بإعادة قراءة التراث و البحث عن الأسس و الروابط و العلائق التي تشترك فيها المصطلحات البلاغية جميعها لتحقيق حجاجية النص أو شعريته « فالبلاغة القديمة كانت تتصور أن القول الشعري لا يكتمل إلا بإضافة ما تسميه بالمحسنات الجمالية ، وهذه المحسنات لا تتوفر ، طبقا لقواعد البلاغة إلا في النصوص الإبداعية، وقد ظل هذا التصور سائدا لمدة طويلة خاصة في العصور التي ازدهرت فيها البلاغة التقليدية ... ومن هنا فإن الأشكال السابقة أو ما تسميه البلاغة التقليدية بالمحسنات الجمالية ، لم تعد مجرد زينة و حلية للخطاب الشعري» [1] .

ليست البلاغة التزاما بمصطلحات معينة، في جميع الخطابات أو الكتابات، وإنما هي مراعاة للأحوال و المقامات، وما تقتضيه من مستوى بلاغي مطلوب ، فإذا التزم المرسل نمطا معينا من الكلام ووظف بعض المصطلحات على أساس أن هذا تقتضيه البلاغة ،يكون بذلك قد أفسد الإحساس الجمالي الخاص بالموقف، وزيف صورة الممدوح، وهذا مبدأ دعت إليه « اللسانيات المعاصرة ... رغم قصر المسار الزمني الذي قطعته والذي يجمع روادها على أن الانطلاق به من دروس فردينان دي سوسير، وأول مظهر من مظاهر اكتمال العلم إفرازه لثبته الاصطلاحي الخاص به، والبحوث اللسانية ما انفكت تولد المصطلحات الفنية، بعضها بالوضع، وبعضها بالاقتباس

1 محمد القاسمي : قضايا النقد الأدبي المعاصر ، الناشر : دار يافا ، عمان الأردن ، ط1. سنة 2010م ، ص.80 -81 .

والمجاز حتى تسنى تأسيس القواميس اللسانية المختصة، وذلك أول استقلال مظاهر العلم بنفسه وتكامل رصيده الفني»[1]

إن النظرة التفسيرية المعاصرة للمصطلح البلاغي ،أصبحت تقف على الجوانب الوظيفية والاقناعية للخطاب « فالإستعارة لا تؤسس علاقة تشابه بين مرجع شيء ومرجع شيء آخر ،و لكنها تؤسس علاقة مقارنة بين محتويات التعابير المختلفة ،ومن ثم فهي لا تعوض بتعابير لسانية أخرى ،لكنها تضع في المقابل تعبيرين حاضرين في التمظهرات الخطية للخطاب موضع تفاعل»[2] وهكذا يقف الباحث على الثمرة المحققة من النص في بعده الحجاجي،فالبلاغة هي « التي يكون لها هدف ووظيفة، ويكون لدراستها ثمرة ملموسة... ، ووظيفة البلاغة تتحدد في كونها أداة توصيل لرسالة وفكرة معينة على نحو مقنع ومؤثر »[3]

يأخذنا الناقد أحمد درويش إلى لفتة طالما أهملت في الفكر البلاغي العربي المعاصر ، حيث إن توظيف المصطلح لابد أن يراعى فيه الأصل الذي تشكل فيه ومستوى العمل الذي يوظف فيه ،فلكل زمان عقوله ،ونصوصه وهذا ما سعت إليه البلاغة الغربية في إنتاج بلاغة جديدة بمصطلحات الهدف منها إقامة الحجة والإقناع وما يتناسب ومقتضى العصر « فمصطلح البلاغة يستخدم من قبل ناقد عربي حديث استخداما يؤكد من قيمته ويوسع من مجاله ، وهو صالح من خلال ذلك الاستخدام ومن خلال الصدى الذي يمكن أن يستقبل به، أن يطرح بين المصطلحات الأدبية الحديثة وأن يعتمد على جذوره ورصيده الوجداني والفكري ، غير أن المصطلحات لا تزرع ، ولا يتم الإقناع بها من خلال المحاجة العقلية المجردة ، وإنما يتم الإقناع بها من خلال أعمال قيمة

[1] عبد السلام مسدي :التفكير اللساني في الحضارة العربية ،الناشر : الدار العربية للكتاب .تونس .ليبيا، .ط2.سنة1986.ص13.

[2] عبد السلام عثير، عندما نتواصل نغير ، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج ، إفريقيا الشرق، المغرب 2006 ص.115، 116

[3] محمد شادي: البلاغة الوظيفية، الناشر:دار اليقين –المنصورة – مصر – الطبعة الأولى :1432هـ./2011م، ص6 .

تقدم تحت شعارها ، فتعيد للمصطلح انتعاشه وقوته ،وقد حدث شيء مثل هذا بالنسبة لمصطلح البلاغة (Rhetorique)في الفكر الفرنسي المعاصر[1]»

فالمصطلحات البلاغية منذ نشأتها ارتكزت على الجانب الوظيفي أكثر منه الجمالي ،ولذا اشترط القدامى شروطا للفصاحة حتى تؤدي البلاغة وظيفتها الأساسية وهي« الإقناع" و هو حوار بين طرفين بهدف تسليم أحدهما برأي الآخر»[2]

ومن ثمة أن المصطلحات البلاغية ركزت على الجانب الوظيفي الإقناعي في بعده التواصلي .

2- المصطلح البلاغي بين جمود الدلالة وتطور الإبداع:

يرى بعض الدارسين المعاصرين من بينهم الشفيع السيد أن تبويب البلاغة والفصل بين مصطلحاتها على يد السكاكي أساء لها كثيرا و لم يؤد ثمرته يقول الشفيع السيد« والواقع أن نزعة التصنيف المشار إليها قد أساءت إلى الدرس البلاغي إساءة بالغة وأهم ما تمخض عنها فيما يتعلق بعلم البديع الذي نحن بصدده تهميش دوره بعامة في البنية الدلالية للنص وترسيخ فكرة الانفصال بين معايير الدرس البلاغي وأدواته الفنية المتنوعة وكأن كلا منها يعمل في جزيرة معزولة عن الأخرى وهذا ما ترفضه النظرة الفاحصة والتأمل الدقيق»[3]

بعد هذه الرؤية النقدية لمصطلحات البلاغة وما آلت إليه في القرن السابع الهجري أصبح من الضروري الرجوع إلى تراثنا البلاغي القديم وتفسيره من منظور العلوم المعاصرة إذ أن اختلاف المعطيات والآليات التفسيرية المعاصرة تلزمنا بإعادة قراءة القديم بمنظور الحداثة « إننا ننسى أن هذه الصور البلاغية تساوي شيئا ما فعلا،فمنذ أن اتخذت أبحاث اللغة شكل العلم وجب علينا أن نجد لهذه الصور تفسيرا جديدا ، فقد أصبح التفسير القديم بلا جدوى»[4]

---

[1] أحمد درويش: النص البلاغي في التراث العربي و الأوربي، الناشر: ، دار غريب لنشر والتوزيع. د .ط،1998 م ، ص 7

[2] المصدر نفسه .ص.09 .

[3] شفيع السيد: أساليب البديع في البلاغة العربية ، رؤية معاصرة .الناشر:دار غريب القاهرة 2006 المقدمة ص.3

[4] تزفيتان تودوروف : الأدب والدلالة،تر:محمد نديم خشفة.مكتبة الأسد ، حلب. ص91.90

إن إعادة قراءة البلاغة قراءة معاصرة ليس الغرض منه تجاهل القديم أو نسيانه وقطع الصلة به إنما هو « تفكيك لرسالة قائمة بنفسها وما التراث إلا موجود لغوي قائم الذات باعتباره كتلة من الدوال المتراصفة، و إعادة قرائته هي تحديد لتفكيك رسالته عبر الزمن وهي بذلك إثبات لديمومة وجوده» [1]، ولذا يلح كثير من المعاصرين إلى وصل حلقة الجديد بالقديم والوقوف على مضامينه ودقائقه برؤية معاصرة، حيث إن « من الدارسين اللامعين الآن لا يميلون إلى تاريخ الأدب بمعناه الدقيق ،وهم أقرب إلى تناول مسائل مفردة، وأوفر حظا من العناية باللغة، ولكن عليهم أن يصلوا عقولهم بما صنعه الآباء وإلا وقعنا فريسة للاغتراب والتناحر الذي يشتت الجهد، ويورث الضغينة.خليق بنا أن نحيي علاقتنا بالرواد جميعا، وأن نراهم في ضوء اهتمامنا العصري باللغة» [2]

مهما اختلفت تسميات المصطلح بين البلاغيين القدامى منهم والمعاصرين فهي تتراوح بين منظورين اثنين أو الجمع بين الحالتين معا:

1- منظور جمالي محض
2- منظور حجاجي تداولي

أشار إلى هذين المنظورين الهامين عبد السلام مسدي فقال: « يقتضي مقاربتها تارة من منظور جمالي ، وتارة أخرى من منظور حجاجي أو مقاربتها من هذين المنظورين مجتمعين ، وبناء على هذا يقيد التحليل البلاغي للصور ، حيث يقصد بهذا اللفظ ما يصطلح عليه في البلاغة الغربية بالوجوه البلاغية أو الأسلوبية ، ويصطلح عليه في بعض الأحيان عند البلاغيين العرب بمصطلح "المحسنات" ، وعلى الرغم من اختلاف التسميات فقد تكون هذه الصور البلاغية ذات طبيعة صوتية إيقاعية أو تركيبية أو دلالية أو تداولية» [3]

[1] عبد السلام مسدي : التفكير اللساني في الحضارة العربية ،الدار العربية للكتب ،تونس، ط2 ،1986 ، ص.12
[2] مصطفى ناصف: اللغة والبلاغة والميلاد الجديد .الناشر:دارسعاد الصباح. الكويت ط1/1992م.ص158.
[3] محمد مشبال، البلاغة والخطاب ، منشورات دار الأمان الرباط ، ط1. 1435ه /2014م ، ص105 ، بتصرف

تجدر الإشارة إلى أن الدراسات البلاغية العربية الحديثة والمعاصرة استقت بعدها الاصطلاحي من التراث حيث «بنت مفاهيمها في غالب الأحوال مع البلاغة العربية ، التي قطعت أشواطها بعيدة في مجال مد الشبكات المصطلحية بما يقتضيه ذلك من تعريفات وتفريعات دقيقة »[1] ،ويمثل ذلك العمري مؤكدا إعادة قراءة البلاغة العربية بمصطلحات نقلها الغرب عن التراث فيقول: « إن كلمة صورة التي لا نلتقي معها كمصطلح بلاغي بل هي عنوان لمبحث أو كتاب في التراث البلاغي العربي قبل العصر الحديث وإن مفهوما حاضرا في الجوهر... تعني الصورة في هذا الأفق كل ما يترتب عن التشبيه و التمثيل و الاستعارة والكناية مقروءة في ضوء اللسانيات الحديثة وقد تعرو ذلك كل أساليب الوصف والتشخيص»[2] ،حيث إن التفسير المصطلحي يتحدد وما تقتضيه اللغة الآنية ،إذ « اللغة كما هو معلوم في الخطاب اللساني المعاصر – بمفهومها الشامل والكلي – يستوعب مدلولها كل ماله صلة بفعل الكلام »[3] .

من خلال هذا المفهوم تبين لنا أن الصورة عند القدامى هي عبارة لعنوان كتاب وليست كمصطلح بالمفهوم المعاصر ،وتضم في طياتها التشبيه والتمثيل والاستعارة إلى أنها حظيت بالاستقلالية في الدراسات البلاغية الحديثة والمعاصرة.

1.2- المصطلح البلاغي وإشكالية المفهوم

إن القدامى حينما ميزوا البليغ من غيره، إنما فاضلوا بينهم على قدر توظيفهم لمصطلح التشبيه بمفهومه الواسع ، وورود تفضيل الاستعارة على التشبيه عند المعاصرين إنما هو ناتج عن عمق الدلالة: «ويأتي عمق الاستعارة و سطحية التشبيه ، من أن الحدود بين طرفي التشبيه تبقى

[1] محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ص.201

[2] ينظر المصدر نفسه: ص.201...204.

[3] الطاهر بومزبر :التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون ، منشورات الاختلاف .ط1.سنة1428 هـ.2007م.ص13.

منفصلة في التشبيه ، يعمل كل منهما بذاتية وتفرد ،بينما تلغي الاستعارة الحدود و تدمج الأشياء حتى المتنافرة في وحدة»[1] .

إن هذه الرؤية العميقة في التحليل ، ينبغي بالدرجة الأولى أن يستوعبها المتلقي للخطاب البلاغي ،لأنه في نظرنا أن المرسل إليه هو محور تفسير الرسالة، حيث إن« المشكلة في اعتقادنا لا تكمن في الشعر الحديث وحده ، بل هي كامنة في المتلقي نفسه بهذه الدرجة أو تلك .نعني أن أطره لا تتوافق مع الخطاب الذي يواجهه لأنه يبتعد عن التقاليد الأدبية المتعارف عليها بغية تأسيس تقاليد جديدة إنتاجا وتلقيا ، وهذه هي العقلية الثانية»[2] فالمرسل والمرسل إليه ،هما أساس نجاح العملية التواصلية في بعدها البلاغي المعاصر ، فإعداد الرسالة لابد له من أن يلامس تلك اللغة بمصطلحاتها البلاغية المعاصرة التي تتناسب والمقام الذي صيغت لأجله ، فلابد أن يكون هذا الوعي حاضرا عند البلاغيين والنقاد والدارسين والشعراء،وأن يعاش بتلك البلاغة الجرجانية والزمخشرية في سياقها الآني المعاصر الذي يزاوج بين روح الأصل ومتطلبات لغة العصر ، فلا اللغة الجديدة وحدها قادرة على تصوير القديم ولا اللغة القديمة وحدها قادرة على تصوير الجديد ومن هذا المنطلق « صار الشعراء المعاصرون على وعي كاف بتلك الوظيفة ، حيث أدركوا أن الكشف عن الجوانب الجديدة في الحياة يتبع بالضرورة الكشف عن لغة جديدة ، فليس من المعقول في شيء ،بل ربما كان من غير المنطقي ، أن تعبر اللغة القديمة عن تجربة جديدة . لقد أيقنوا أن كل تجربة لها لغتها ، وأن التجربة الجديدة ليست إلا لغة جديدة، أو منهجا جديدا في التعامل مع اللغة . ومن هنا تميزت لغة الشعر المعاصر بعامة عن اللغة التقليدية»[3] .

---

[1] عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في النقد الشعري ،دراسة في النظرية و التطبيق ،دار العلوم للطباعة و النشر ، الرياض 1984 ص.96

[2] محمد خطابي :لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص ،الناشر : المركز الثقافي العربي ، بيروت .ط1.سنة 1991.ص327.

[3] عزالدين إسماعيل :الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية،الناشر دار الفكر العربي.ط3.ص174.

إن الذين وقعوا في إنكار للجديد هم أنفسهم أنكروا تطور الحياة بمختلف أنواعها من حيث لم يشعروا ، أو أنه تعصب منهم للتراث أن يكون هو المسيطر على الحياة العقلية اللغوية المعاصرة إذ « ليس غريبا أن تتميز لغة الشعر المعاصر عن لغة الشعر القديم ، بل الغريب ألا تتميز عنها. ولو أننا نظرنا نظرة واقعية محددة إلى تطور اللغة مع تطور الحياة واختلاف التجربة أيقنا من سلامة منطق الشاعر المعاصر في بحثه الدائب عن اللغة الجديدة»[1]

2.2- المصطلح البلاغي القديم وإشكالية التوظيف المعاصر

لم تعد المصطلحات البلاغية بمفهومها القديم قادرة على الإقناع والحجاج كما كانت عند القدامى في بيئتهم ، مع أننا نقر تمسكنا بلغتنا العربية وبأصولها ومبادئها الصالحة لكل زمان ومكان، إذ مدار الأمر هو في كيفية توظيف هذا الكم الهائل من بلاغتنا القديمة وإعادة صياغتها وفق متطلبات قضايا العصر إذ أن « لغة عصرنا تختلف بكل تأكيد عن لغتنا في أي وقت مضى،وهي لا تختلف عنها من حيث هي لغة مجردة ، فما زالت عربيتنا الأدبية أو الكتابية بعامة هي العربية الفصحى ،و إنما تختلف من حيث علاقتها بظروفنا المعاشية الراهنة ،بأفكارنا وتصوراتنا وآرائنا، بمشكلاتنا وقضايانا ، وبكل ما يمثل الجوانب الروحية والمادية في حياتنا ،وكل هذا من شأنه أن يشكل اللغة تشكيلا جديدا يتناسب وواقع هذه الحياة ، حتى يكون للشعر دور فعال في نفوس متلقيه لم تعد عبارة مثل ياحادي العيس..مثلا تغني شيئا بالنسبة للإنسان المعاصر »[2]

هذا ما جعل بعض الشعراء يقعون في مفترق الطرق ، بين التمسك بالجديد ورفض القديم ، أو الأخذ به لأنه ذلك المستوى العالي من البلاغة ولا زالت سيطرته حتى على روح العصر ، وهناك من تميزوا بالاتباعية في تأليف قصائدهم على نمط القدامى ،غير أنهم حملوا أشعارهم أغراضا جديدة فبعض الشعراء منهم المشارقة وبعض المغاربيين « حملوا الشعر أغراضا جديدة ،تتعلق بهموم الوطن وتأخره عن ركب الحضارة ، وهنا يطالعنا شاعر النيل حافظ إبراهيم ت1932م وشاعر

[1] المرجع نفسه ص 174

[2] عزالدين إسماعيل :الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية. ص 175.

الشام خير الدين الزركلي ت1977م ...ومثل هذا الاتجاه في ليبيا شاعران كبيران هما أحمد رفيق المهدوي ت1961م شاعر الوطن الكبير وأحمد علي الشارف ت1959م»[1] والأمر نفسه عند من يجنحون ويتعصبون للتراث وهذا ما يسمى بالمدرسة الاتباعية حيث نجد « في المغرب كان محمد غريط 1298هـ ...ومحمد الجزولي 1307هـ ...ومحمد كنون 1316هـ وعبد الله كنون 1326هـ...أقطاب الحركة الاتباعية المهتمة بالأمور الوطنية والقومية من هنا يمكن القول :أن بدايات القرن العشرين ، أخرجت معظم شعراء الكلاسيكية في الأدب العربي المعاصر ،وإنه لم ينج من صفة الإتباع هذه غدا فئة من الأدباء ولا سيما أولئك الذين يمموا وجوههم شطر المهاجر الأمريكية»[2].

يؤكد الناقد إحسان عباس في كتابه اتجاهات الشعر العربي المعاصر النزعة الشعرية المتأثرة لتوظيف بلاغة القدامى كونها هي البلاغة المسيطرة التي يمكن توظيفها على وصف أحداث وقضايا العصر الحاضر« وبينما يحاول بعض الشعراء إيجاد لغة شعرية جديدة - كل بمفرده - نجد أن بعضا آخر منهم ما يزال يستعين بالصور المعروفة المألوفة والموضوعات المألوفة .فالهجائية القديمة- مثلا- ما تزال كذلك في حدتها وعنفها وتعميمها وإن أصبحت تدور حول السياسي المنحرف والشاعر المتملق كل هذا يحدث اختيارا» [3] وفي مقابل هذا وذاك نجد من المعاصرين من يرى جمود مصطلحات البلاغة العربية المعاصرة كون الجديد من العلوم والمعاجم يقف عاجزا أمام تلك البلاغة القديمة الراقية في مصطلحاتها وصياغتها في خطبها وأشعارها وما قدمته للعقل العربي شعرا ونثرا فالجمود في نظر البعض هو من عجز المعاصرين وهو وصف للبلاغة المعاصرة و قصر عليها يقول أحمد سعدي في بحثه المعنون بالتداخل والتضارب في المصطلح البلاغي « المصطلحات في البلاغة العربية الحديثة صارت معيارية،وأصبحت كالمواد القانونية التي تحمل مفاهيم محددة ذات اتجاه أفقي

1 نسيب نيشاوي : مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر – الاتباعية – الرومانسية – الواقعية – الرمزية .الناشر :ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر .سنة1984م.ص44.

2 المرجع نفسه.ص.45

3 إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت- سنة 1998م ص117.

محدد،ولا تقبل التأويل والاختلاف.وكأن التفكير اللساني العربي الحديث قد أذهلته البلاغة القديمة،حتى صار يقف أمامها عاجزا عن توليد معجمي ودلالي جديدين يتعلقان بالبلاغة»[1].

بينما يرى البعض الآخر كتمام حسان أن الدراسات البلاغية المعاصرة لم ترق لمستوى التطبيق العملي كما هي عند القدامى ، بل اعتبروها دراسات تهدف لسن نظريات بقيت في مستوى العلم النظري فمثلا « يعد جهدالبلاغيين في علم المعاني في طابعه العام دراسة تنظيرية لا تطبيقية.وهي تبدو أقرب إلى الدراسة اللغوية منها إلى النقد الأدبي،وأقرب إلى النحو منها إلى أي فرع آخر من فروع الدراسات اللغوية أو العربية عموما.وإذا نسبنا هذا الجهد إلى النحو فإن خير ما نصفه به أنه من نوع النحو الإجرائي،وذلك في مقابل النحو التقعيدي الذي جاء به النحاة.فالبلاغيون يحددون إجراءات،والنحاة يحددون قواعد.ونشاط كليهما نشاط نظري»[2].

ويرى فريق آخر أن البحث البلاغي القديم منه ما هو صالح يثري البلاغة العربية ومنه ما يحسب على البلاغة ولكن لم يقدم لها شيئا ولذا « ينبغي الاعتراف بوجود كثير من القش القديم البالي في التراث البلاغي العربي في المصطلحات والمفاهيم والشواهد والبراهين والأمثلة.وهذا يثقل البلاغة ويتعارض مع حقيقتها العلمية.وينجرّ عن ذلك تعدد المصطلحات لمفهوم واحد،أو اشتباك عدة مفاهيم في مصطلح بلاغي واحد، أو اضطراب المفاهيم وتناقضها وعدم كفايتها المعرفية.فهل يعقل أن نبقى الدهر كله نردد المفهوم القديم للتشبيه البليغ القائل أنه ما يذكر فيه المشبه والمشبه به وكأنهما شيء واحد ؟هل تكون البلاغة بهذه الطريقة الميكانيكية المعيارية ؟» [3]

يضرب السعدي لذلك أمثلة لبعض المصطلحات التي تحسب على البلاغة قبل تحديد السياق والمقام والأحوال في تفسر الخطاب البلاغي وتوجيهه فيقول: « فقد يكون هذا التشبيه البليغ غير بليغ، وقد تكون الكناية غير بليغة،أوالاستعارة،أو التشبيه،أو المحسنات،أو غيرها من

1 أحمد سعدي :التداخل والتضارب في المصطلح البلاغي ، مجلة :الصوتيات .ع19،ص86.

2 تمام حسان :،مقالات في اللغة والأدب،عالم الكتب،القاهرة،مصر،الطبعة الأولى1427هـ.2006م.ج2.ص162.

3 أحمد سعدي :التداخل والتضارب في المصطلح البلاغي ، مجلة :الصوتيات .ع19،ص83.

المصطلحات البلاغية التي نحكم مسبقا ببلاغتها قبل تذوّقها و النظر إلى كيفية استعمالها في الخطاب ومدى موافقتها لمقتضى الحال وملاءمتها للسياق. والأمثلة على اضطراب المصطلحات وفوضى المفاهيم كثيرة جدا في التراث البلاغي العربي» [1]

يرى فريق من المعاصرين كأحمد السعدي أن البحث البلاغي المعاصر، اقتصر على اللغة العربية و لم ينفتح على العلوم الإنسانية المعاصرة ،فهو حبيس النظرة الضيقة فا « لبلاغة العربية اليوم،هي بلاغة العربية، لم تتفتح على البلاغات الأخرى بالمفهوم اللساني الواسع،واعتبارها ليست من علوم العربية فحسب،بل هي من العلوم الإنسانية التي يعرفها العالم كله.تملك البلاغة العربية من المصطلحات والمفاهيم ما يملأ المعاجم والقواميس،ولكننا نلمس قلة وضعف التأليف المعجمي المتخصص في البلاغة بالمقارنة مع القواميس المتخصصة في مصطلحات النحو أو مصطلحات اللسانيات أو تحليل الخطا» [2].

3- مظاهر تلقي المصطلح البلاغي في الدراسات المغاربية المعاصرة – قراءة محمد العمري –

تمهيد:

حاولت في هذا العنصر تتبع ما توصلت إليه الدراسات المغاربية في مجال البحث المصطلحي البلاغي ،مركزا على دراسات وأعمال الباحث والناقد محمد العمري كونه رائد البحث اللغوي عامة والبلاغي خاصة في قرائته المعاصرة لمختلف القضايا البلاغية ، و لقد اتخذت رؤيته المعاصرة في تشكيل مصطلح المجاز عند أبي عبيدة (ت210هـ) ، حيث تطرقت إليه في الفصل الأول عند القدامى، وتتمة للفائدة استعرضته عند المعاصرين كنموذج لسيرورة المصطلحات

[1] المرجع نفسه. ع19،ص83.

2 أحمد سعدي :التداخل والتضارب في المصطلح البلاغي ، مجلة :الصوتيات ،ص84.

البلاغية عبر هذا التاريخ الطويل ،وإن اختلفت الدراسات باختلاف فكر وقراءة الدارس نفسه على حسب انتمائه الفكري والديني[1] وما تقتضيه طبيعة كل مصطلح .

لقد عمل اللغويون القدامى على تجميع قواعد اللغة العربية ومصطلحاتها نحوا وصرفا وبلاغة ، ومن أوائل من حاز قصب السبق في هذا العمل خاصة ما تعلق بالبحث البلاغي المصطلحي تخصصا أبو عبيدة (ت210هـ) في كتابه "مجاز القرآن" ،وإن رأى العمري أنه كتاب «ملتبس النسبة»[2] هذا الالتباس النسبي هو سبب مباشر لظهور مصطلح المجاز،أو كما يسميه العمري «ظهور اللغة الواصفة المنتجة للمصطلح » [3] .

إن البدايات الأولى لظهور المصطلح البلاغي كانت بداية موفقة إلى حد كبير ، فمصطلح المجاز له من القدرة الدلالية والسعة المفاهيمية ما يجعله قادرا على استيعاب دلالات المصطلحات البلاغية ،التي نشأت وتبلورت على يد من جاؤوا بعد أبي عبيدة ،فتبين بهذا أن معنى مصطلح المجاز عند أبي عبيدة وتوظيفه في تفسير آي الكتاب الحكيم، أنها معان «تنتمي لحقل دلالي واحد؛ لأنّ الكتاب غلب عليه طابع الشرح اللغوي تارة، ومنهج المقارنة بين الأسلوبين، أسلوب القرآن الكريم، والأسلوب العربي (شعرا ونثرا)، تارة أخرى»[4] .

نرى تفسير ابن قتيبة (ت: 276هـ) لمصطلح المجاز تفسيرا ينم عن الرؤية التي نحاها أبو عبيدة (ت210هـ) في توظيفه للمصطلح وإنتاجه إنتاجا ذو صبغة دلالية عامة ،تستوعب عددا هاما من المصطلحات البلاغة التي استقلت بمعناها الخاص فيما بعد على بعد دلالي خاص بها، خاصة تلك المصطلحات التي تنتمي لحقل التخييل فقال:«وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها: طرق القول ومآخذه. ففيها الاستعارة: والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار،

---

[1] أقصد بذلك أن الانتماء الديني له أثره البين على المصطلح البلاغي تلقيا وتوظيفا وخيرشاهد على هذا مصطلح المجاز بين الأشاعرة والمعتزلة في الجانب العقدي .ينظر الصحة 19 وما بعدها من الفصل الأول

[2] محمد العمري : البلاغة بين التخييل والتداول ،ص166.

[3] المصدر نفسه:ص164.

[4] نور الدين دريم: المصطلحات البلاغية في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيـــدة (ت 902 هـــــ)وصـــف وتحليل،مجلة:اللغـــة والاتصال،مج13، ع22،ص50.

والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص»[1]

مثل ابن قتيبة (ت 276هـ) للكناية على أنها ضرب من المجاز وأدرجها في باب القول في المجاز و لم يفردها بباب خاص كما هو عليه الشأن عند متأخريه فقال «ومن الكناية قول الله عز وجل: ﴿يَـٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[2] ذهب هؤلاء وفريق من المتسمّين بالمسلمين إلى أنه رجل بعينه. »[3]

هذه الرؤية ولدت عدة اشكالات في تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه وفي نفس الوقت أفاضت البحث البلاغي المصطلحي بجملة من التوجيهات السياقية والنسقية في التوظيف المعاصر

1.3 عوامل تلقي مصطلح المجاز ومظاهره عند العمري

كان لنزول القرآن الكريم الأثر البالغ والمباشر في إنتاج المصطلح البلاغي وظهوره، إذ المعجزة القرآنية أساسا قائمة على القول البليغ ،فالموازنة بين الخطاب القرآني والكلام البشري ، أفضت إلى بروز ظاهرة المجاز وسعتها البيانية في التعبير عن المعاني ،إذ« دفعت العلماء – في وقت مبكر – إلى بذل كل غال ورخيص لجمع كلام العرب ،حفظه وتدوينه، وتفسيره، ودراسة أساليب القرآن الكريم البيانية، ومقابلتها بأساليب البلغاء، ثمّ استخلاص عناصر الجودة في الأولى، ومواضع التقصير في الثانية؛ ليظهر امتياز القرآن الكريم على كلام الفصحاء الذين استوت لديهم ملكة البيان،ومن أجل خدمتها خاضوا في مسائل البلاغة كالقول في المجاز، وبيان مكانته في التعبير

[1] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ): تأويل مشكل القرآن،تح: إبراهيم شمس الدين،ص22.

[2] سورة الفرقان ، الآية28.

[3] ابن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ): تأويل مشكل القرآن،اتح: إبراهيم شمس الدين،ص161.

الفني الجميل، والتشبيه والتعمق فيه، والإيجاز والإطناب والالتفات، وبيان الميزة البلاغية وأين تكمن»[1]

يعتبر مصطلح المجاز عنصر جمال ومكمن قوة في اللغة العربية،بل يعد عند أهل الفصاحة والبيان مقياسا للتميز وعنصرا للتحدي والإعجاز،خاصة ما أدهش القارئ المتمكن من حسن التصوير وروعة المجازات ،حيث ترك أثرا كبيرا عند القدامى والمحدثين، فلقد وردت «لفظة المجاز بمدلول يتسع كثيراعن مدلولها الاصطلاحي(المقابل للحقيقة)الذي اقترن بها فيما بعد، فالمجازات عنده تنصرف إلى معاني الألفاظ أو العبارات تارة وإلى وجوه الصياغة أو ورائق التعبير تارة أخرى، أمّا الغاية التي تتبع من أجلها أبو عبيدة مواون المجاز بهذا المفهوم الواسع في لغة القرآن الكريم فهي التدليل على أنّ البيان القرآني المعجز لم يحد في معجمه أو في أساليبه عن سنن العربية في التعبير البياني» [2] .

يرى العمرى أن ظهور مصطلح المجاز كان نتيجة حتمية لعدم استيعاب النحو العربي لمفاهيم ومعاني القرآن الكريم ودلالاتها على الأفعال لتحديد الفاعل الحقيقي لها بين الله تعالى والانسان .[3] يقول العمري:«حين نحلل مجموع المجازات عند أبي عبيدة نجدها تنضوي في خانتين:

1- مجازات أو جوازات ظرفية تاريخية تتعلق باختلاف الروايات ، ومخالفة المشهور من الإعراب

2- مجازات نصية ، تسافر مع النص وتقبل التأويل من خلال قرائن داخلية نصية أوسياقية ، مما يجعلها قابلة للتعميم وإعادة التشغيل والتكييف ... وعنها ترتبت مصطلحات مثل الاستعارة والكناية والتمثيل والحذف والالتفات[4].

---

[1] عبد العزيز عرفة :قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية ، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى،1986.ص5- 6.

[2] حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية،الناشر : دار الفكر العربي، القاهرة،ط1.سنة1998م،ص6.

[3] ينظر محمد العمري : البلاغة بين التخييل والتداول.ص164.

[4] ينظر:المصدر نفسه ،ص 167.166

2.3 نشأة المصطلح البلاغي في الدراسات المغاربية عند اللغويين – قراءة لمحمد العمري–

1.3.3- نشأة مصطلح المجاز

أ- **المجاز لغة:** جاءت مادة (جوز) في معجم مقاييس اللغة بمعان القطع والتوسط والجواز من مكان إلى مكان « الجيم والواو والزاي أصلان: أحدهما قطع الشيء، والآخر وسط الشيء. فأما الوسط فجوز كل شيء وسطه... والأصل الآخر جزت الموضع سرت فيه، وأجزته: خلفته وقطعته. وأجزته نفذته. قال امرؤ القيس:

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى ... بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ [1]»[2]

نجد هذا المعنى نفسه في مادة (جوز) عند ابن منظور في لسان العرب: «جزت الطريق وجاز الموضع جوزا وجؤوزا وجوازا ومجازا وجاز به وجاوزه جوازا وأجازه وأجاز غيره وجازه: سار فيه وسلكه، وأجازه: خلفه وقطعه، وأجازه: أنفذه؛ قال الراجز:

خَلُّواالطريقَ عَنْ أَبي سَيَّارَه ... حَتَّى يُجيزَ سَالِمًا حِمارَه... [3]

والمجاز والمجازة: الموضع. الأصمعي: جزت الموضع سرت فيه، وأجزته خلفته وقطعته، وأجزته أنفذته»[4] فمعان المجاز في اللغة تراوحت بين الجواز والقطع من ناحية إلى ناحية أي التجوز والانتقال ،فهذا الأصل في اللغة له « علاقة متينة بالمعاني التي سيخرج إليها الاصطلاح في مختلف

---

[1] امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (ت: 545 م): ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي الناشر: دار المعرفة – بيروت. الطبعة: الثانية، 1425 هـ - 2004 م.ص39.

[2] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ): معجم مقاييس اللغة،تح: عبد السلام محمد هارون،الناشر: دار الفكر،عام النشر: 1399هـ - 1979م،ج1،مادة(جوز)ص494

[3] البيت ذكر في المعاجم اللغوية و لم أعثر على قائله ولا ديوانه

[4] محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ): لسان العرب،الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.ج5، مادة (جوز)ص326

التوجهات التي سيسلكها مصطلح المجاز في اللغة العربية على مستوى اللغة ،البلاغة والعقيدة، وحتى مجالات أخرى كالتفسير وأصول الفقه في جانب بحثه عن العبارة اللغوية ودلالاتها. »[1]

ب- **اصطلاحا:**

إذا تتبعنا المسار التاريخي لمصطلح المجاز وجدنا تعريفه المبكر مع أبي عبيدة (ت: 209هـــ) كما يقول محقق الكتاب محمد فؤاد سزكين « ومعنى هذا أن كلمة "المجاز" عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن فى تعبيراته، وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة "المجاز" فيما بعد»[2]

يرى العمري أن تلقي مصطلح المجاز عند اللغويين ،راجع أساسا لظاهرة التوسع في اللغة ،وعامل الالتباس الذي رافق المصطلح عند نشأته وولادته مع أبي عبيدة حين تخيله للمصطلح بين عدة مفاهيم ، حصرها العمري بين مفهوم الاباحة أو الطريقة أو المسلك ، « فهل قصد أبو عبيدة بلفظ المجاز ما يقابل الحقيقة، أم أردا به دلالة أخرى؟.» [3]

إن كل هذه المفاهيم تولد لنا إشكالية في تلقي مصطلح المجاز، وهي تندرج عند العمري تحت ظاهرة التوسع في اللغة حيث فسرها قائلا:« تتسع هذه الدائرة لما يجوز في الشعر بناء على مفهومي الحمل والإلحاق ، وهنا يطرح سؤال الجواز والمجاز ، كما يطرح مفهوم الضرورة الشعرية وتعيدنا هذه الإشكالية إلى التباس الأصل المعجمي حيث يمكن إرجاع المجاز إلى الجواز ، فيتحدث عما يجوز في الشعر للضرورة ، ويكتفى بالحديث عن المجاز في القرآن ، دون إشارة إلى الإضطرار

---

[1] بوعافية محمد عبد الرزاق : كيمياء المجاز بين الخطاب القرآني والإنساني – قراءة في المفهوم وآليات الفهم ومقاصد الخطاب–الناشر:مؤسسة حسين رأس الجبل قسنطينة ، ط1، سنة2019م_1440هـــ،ص36.

[2] أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: 209هـــ) : مجاز القرآن،لمحقق: محمد فواد سزگين.الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة

الطبعة: 1381 هـــ،ص19

[3] نور الدين دريم: المصطلحات البلاغية في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت 902 هـــ)وصف وتحليل، مجلة: اللغة والاتصال، مج 11 ،ع،بتاريخ: 11 جوان 2018،ص50.

. فالمجاز لفظ ملتبس (لحد الآن) »[1] فهذه المفاهيم اللغوية التي واكبت نشأة مصطلح المجاز ، عملت على صنع البون الشاسع بين مفهوم المصطلح واختلافه بين القدامى والمعاصرين حيث « أن هذا اختلاط أثر أيما تأثير في العربية التي صارت في أفواه الأجيال الحضرية الجديدة على غير ما كانت عليه قبل هذا العصر»[2]

إن النحو العربي ،كونه العلم الأول في نشأة قواعد اللغة العربية ،وقف حائرا بين تملية القاعدة وبين خروج الشاعر البليغ بفطرته عن تلك القواعد ، هذا الخروج أدرجوه في هامشية القاعدة النحوية ، وعلى أساس ذلك كونوا مصطلح المجاز ليستوعب هذه الظواهر اللغوية الخارجة عن قواعد النحو العربي في الغالب ،و« قد لاحظ العمري وجود صراع بين ما اعتبره النحويون مركزا وبين ما اعتبروه هامشا ، أي بين النص الشائع الذي يقاس عليه، وبين الحالات الخارجة عنه،والتي تعامل معها اللغويون والنحاة باعتبار جزء منها تحت مفهوم المجاز...وتحت مفهوم الضرورة الشعرية أو التوسع»[3]

استغرب العمري هذه الظاهرة ، ظاهرة نشأة البلاغة العربية في أحضان النحو العربي، غير أن الذي أنقذها من تلك الصرامة النحوية التقعيدية نزول القرآن الكريم والاحتكام للقصيدة الشعرية العربية المتفتحة حيث « يبدو غريبا أن تتولد البلاغة أو مكون من مكوناتها ،في مهد النحو وهو نقيضها ، أي المعيار الذي تتزاح عنه. ولكن الذي وقع تاريخيا هو أن الظواهر البلاغية وقفت في وقت مبكر ، في وجه الصرامة العلمية التي نعت بها القياس النحوي واطراد القواعد،فأوقفت ذلك القياس الصارم عند حدوده ، تحمل في يدها اليمنى نص القرآن الكريم وفي يدها اليسرى

[1] محمد العمري : البلاغة بين التخييل والتداول ،ص168.167

[2] عبد الرحمان حاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2007م.ص25.

[3] بوعافية محمد عبد الرزاق : البلاغة العربية والبلاغات الجديدة قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة ، الناشر:مؤسسة حسين رأس الجبل قسنطينة الجزائر .2018م.ص168.167.

ديوان الشعر العربي ، تعطل بهما وصول القياس إلى نهايته»[1]، نجد مثال ذلك عند ابن جني حينما ساقى شواهد شعرية وأخرى قرآنية مثل بها لمصطلح المجاز والاحتكام إلى فقال:

عَلَوْتَ مَطَا جَوادِكَ يَوْم يومٍ وَقد ثُمِدَ الجِيَادُ فَكَانَ بَحْرَا [2]

وكأن يقول الساجع: فرسك هذا إذا سما بغرته كان فجرًا، وإذا جرى إلى غايته كان بحرًا،ونحو ذلك. ولو عَرِى الكلام من دليل يوضّح الحال لم يقع عليه بحر؛ لما فيه من التعجرف في المقال من غير إيضاح ولا بيان. ألا ترى أن لو قال رأيت بحرًا، وهو يريد الفرس لم يعلم بذلك غرضه, فلم قول الله سبحانه: «يجز قوله؛ لأنه إلباس وإلغاز على الناس. »[3] ومثاله في الخطاب الإلهي ﴿ وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآ ﴾ [4] هذا هو مجاز، وفيه الأوصاف الثلاثة.

أما السعة فلأنه كأنه زاد في أسماء الجهات والمحال اسمًا هو الرحمة.

وأما التشبيه فلأنه شبه الرحمة –وإن لم يصح دخولها– بما يجوز دخوله, فلذلك وضعها موضعه.

وأما التوكيد فلأنه أخبر عن العرض بما يخبر به عن الجوهر، وهذا تعال بالغرض، وتفخيم منه؛ إذ صير إلى حيز ما يشاهد ويلمس ويعاين، ألا ترى إلى قول بعضهم في الترغيب في الجميل: ولو رأيتم المعروف رجلًا لرأيتموه حسنًا»[5]

هذا الذي عانى منه البحث البلاغي خاصة في الجانب المصطلحي منه ،كون ذلك سبب أزمة وتذبذبا في تلقي مفاهيم المصطلحات البلاغية وأزمة في الجانب التوظيفي لها عبر مختلف النصوص

[1] محمد العمري : أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة ، الناشر : أفريقيا الشرق ،المغرب ،2013..ص113.

[2] البيت من نظم ابن جني، ينظر الخصائص ج2.ص444 في الهامش.

[3] أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ): الخصائص، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،الطبعة: الرابعة، ج2،ص444.

[4] سورة الأنبياء.الآية 75.

[5] أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ): الخصائص، ج2،ص445.

خلال هذا التاريخ البلاغي الطويل إذ « البلاغة علم موغل في القدم ، وللتاريخ العريق أعباؤه ،إذ يبدو أن الاضطراب الاصطلاحي هو الوجه الآخر لعراقة العلوم الإنسانية .وقدر علم البلاغة أن يعاني من أزمة اصطلاحية تزاداد مع تراكم القرون إثر القرون في عمره الطويل »[1]

بعد التقصي والمقارنة عمل العمري على بيان أقسام المجاز عند أبي عبيدة من خلال استعمال مفهوم المصطلح من منطلق المنهج القرآني الذي وصل إلى حد تفسير القرآن الكريم، كونه أورد مصطلح المجاز بمرادف التفسير،وهذا الذي أشار إليه المحقق "سزكين " في مقدمة تحقيق كتاب مجاز القرآن قائلا:« ومهما كان الأمر فإن أبا عبيدة يستعمل فى تفسيره للآيات هذه الكلمات: مجازه كذا ، و تفسيره كذا[2]

3.3 أقسام مصطلح المجازعند العمري

أشار إليها الباحث بوعافية محمد قائلا إن :«العمري قام بعملية حصر لأشكال المجاز عند أبي عبيدة فوجدها تتركز في أشكال خمس»[3]:

1- تداخل الضمائر وتبادلها المواقع .

2-اختلاف أوجه الإعراب والقراءات.

3-استعمال اللفظ في غير موقعه المتوقع ومخالفة ظاهر القول .

4- الزيادة والنقصان في تركيب الكلام .

5- النقل والإلحاق الدلالي.[4]

---

[1] عماد عبد اللطيف : أزمة المصطلح البلاغي العربي مظاهر وأسباب ومقترحات، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب ،الناشر:مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ع 9.سنة 2016.ص117.

[2] أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: 209هـــ): مجاز القرآن.تح: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة. الطبعة: 1381 هـــ.ص18

[3] بوعافية محمد عبد الرزاق : البلاغة العربية والبلاغات الجديدة قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة: ص 169.

[4] ينظر محمد العمري : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها .ص97.للمقارنة

يبدو أن السبب الذي جعل العمري يحصر أنواع المجاز في هذه الأشكال الخمس هو استناده للتصور النسقي للعلاقات اللغوية نتيجة تعدد الأفهام والتأويلات ، والتصور السياقي في بعده التداولي المعاصر ، وبالتالي لا يمكن تفسير المصطلح البلاغي عامة من منظور لفظي مركب محض

4.3- مصطلح المجاز عند أبي عبيدة وإشكالية الدلالة عند التوظيف – قراءة محمد العمري–

يستعمل أبو عبيدة مصطلح المجاز بالمعنى اللغوي العام في تفسيره ، وهذه العمومية في الدلالة أعطت المصطلح بعدا مفاهيما واسعا ، جعل العمري يقف على ذلك قارئا ناقدا وموازنا بين الدلالات والمفاهيم التي استقر عليها المصطلح فيما بعد «المجاز« عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن فى تعبيراته، وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة «المجاز» فيما بعد ، ولعل ابن قتيبة قد تأثر في كتابه "مشكل القرآن" بأبي عبيدة في استخدام كلمة المجاز بهذا المعنى العام»[1] ومن التمثيل لذلك تفسيره للحذف في البلاغة بالمجاز قائلا: «مجاز تفسير قوله «بسم الله» مضمر، مجازه كأنك قلت: بسم الله قبل كل شيء وأول شيء ونحو ذلك»[2]

يرى العمري أن مصطلح المجاز تتسع دلالته أكبر من المفهوم الذي استقر عليه فيما بعد مع السكاكي على أنه مقابل للحقيقة ،هذا التوسع هو الذي ولد إشكالية في الدلالة والمفهوم بين مختلف التخصصات المجاورة لعلم البلاغة العربية ثم يعلل هذا التوسع قائلا «هذا أمر تخيله أبو عبيدة وعوقب عليه وسيرفضه بعض الأصوليين فيما بعد من خلال رفض مبدإ الاستعارة والتوسع عامة »[3] ذلك أن الرجل استعمله على أساس التفسير اللغوي أكثر منه البلاغي المتخصص ليستوعب به مجمل الدلالات والمفاهيم التفسيرية التي أراد أن يقف عليها أبو عبيدة من القرآن

[1] أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: 209هـ): : مجاز القرآن، تح : محمد فواد سزگين،المقدمة .ص19.

[2] المصدر نفسه ،ص20

[3] محمد العمري : البلاغة بين التخييل والتداول ،ص168.

الكريم وذلك أن« لغة القرآن بخصائصها جاءت موافقة للغة العرب، تركيبا وبيانا إلاّ أنّا امتازت بالإعجاز... يظهر ممّا تقدّم أنّ أبا عبيدة استخدم مصطلح المجاز بدلالة واسعة غير تلك التي تقابل مصطلح الحقيقة»[1].

أضف إلى هذا أن معالم المصطلحات البلاغية في هذه الفترة لم تكن واضحة ، وإنما يتم التعامل معها على وفق ما يقتضيه الأسلوب العربي الأصيل ، فهو الحكم والمرجع عند تفسير القرآن والاحتكام إليه عند الالتباس فحينما « صنف أبو عبيدة كتابه " مجاز القرآن "لم تكن مصطلحات البلاغة قد اتضحت تماما ، و لم يستقر عليها أمر العلماء، لذلك جاءت المباحث البلاغيّة فيه متفرقة غير ملتزمة بالمصطلحات التي عرفت فيما بعد، فهو لم يقصد في كتابه هذا الصورة البيانيّة بالمفهوم المتعارف عليه ، والذي هو ضد الحقيقة، بل أراد مدلول الكلمة سواءا أكان حقيقة أو غير حقيقة ، وأبان فيه عن طريقة الوصول إلى فهم معاني القرآن باحتذاء أساليب العرب في الكلام»[2]

إن إشكالية تحديد ضبط مفهوم المصطلحات البلاغية عامة لم يأخذ شكله الدلالي الخاص به في بداية الأمر ، حيث يتجلى طغيان الدراسات اللغوية بمفهومها العام إذ « أنّ فهم المجاز على هذا النحو، كان سائدا في الدراسات اللغوية الأولى التي انطلقت من القرآن إلى أواخر القرن الثاني ومطلع الثالث بدليل أننا نجده بنفس المعنى عند مؤلف آخر معاصر لأبي عبيدة واشتغل مثله بالنّص القرآني ووصلنا مؤلفه، ونقصد بذلك الفراء صاحب معاني القرآن»[3]

نجد الأمر نفسه عند ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ)،حيث اعتبر أن مجمل المصطلحات البلاغية وانطوائها داخل تحت مفهوم المجاز لأجل دلالة التوسع معتبرا ذلك من طرائق القرآن الكريم في تعبيراته قائلا:« وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها: طرق القول ومآخذه. ففيها

[1] نورالدين دريم : المصطلحات البلاغية في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت 902 ه)وصف وتحليل ، مجلة اللغة والاتصال، المجلد 11 العدد 11 .جوان 2018 .الرابط : البوابة الجزائرية للمجلات العلمية المحكمة .ص50.

[2] أحمد كامش:مجلة إشكالات . مجلد 07 :عدد 02 :السنة2018 . الرابط : البوابة الجزائرية للمجلات العلمية المحكمة .ص145

[3] حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة).ص41.40.

الاستعارة والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص مع أشياء كثيرة ستراها في أبواب المجاز إن شاء الله تعالى. وبكل هذه المذاهب نزل القرآن»[1]

إن عملية إعادة قراءة المصطلح البلاغي تلقيا وتوظيفا خضعت في مجملها لاعتبارات عدة ، أهمها مراعاة طرائق الكلام ومآخذه التي نشأ في ظلالها المصطلح البلاغي ، وأن البحث اللغوي العام ساهم بدرجة كبيرة في بلورة مفهوم المصطلح البلاغي منذ عصر النشأة حتى بدايات القرن الثالث وازدهار البحث البلاغي فيه ، حيث كان لمصطلح المجاز الحظ الأوفر من هذه الدراسات مما جعل الدراسات القرآنية بين مقر به وناف له لما يترتب على ذلك من مذاهب عقدية تحرجت بالقول بالمجاز خاصة وتوظيفه في تفسير صفات الله تعالى.

[1] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـــ): تأويل مشكل القرآن ، تح: إبراهيم شمس الدين،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ص22.

المبحث الثاني : مظاهر التجديد في المصطلح البلاغي في الدراسات المغاربية المعاصرة

تعددت مظاهر البحث البلاغي المعاصر ، حيث نادت الدراسات المعاصرة بإعادة تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه وفق آليات اللسانيات الحديثة ، ، خاصة بعد المشروع البلاغي الذي قدمه رولان بارث (1915م- 1980م) في كتابه المعنون ب" قراءة جديدة للبلاغة القديمة" ، وقد ترجمه إلى العربية عمر أوكان قائلا عن البلاغة الغربية بأنها أصبحت "تكتسح الساحة بقوة أكبر مما كانت عليه في عصرها الذهبي (اليوناني و الروماني) إلى درجة صارت تبدو معها مثل موضة (أو تعبير عن الحداثة)[1]

وإذا كان سعي البلاغة الجديدة إلى فصل المصطلحات البلاغية عن المجال الجمالي و إعادتها في ضوء اللسانيات الحديثة إلى المجال الحجاجي، فإن المصطلحات البلاغية اتخذت تلك الصورة عند المعاصرين التي يقصد بها ذلك "الشكل الفني الذي تتَّخذه الألفاظ و العبارات يَنظِمها الشاعر في سياق بياني خاص ليُعَبِّر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكامنـــة في القصيدة ، مستخدمـــا طاقات اللغـــة و إمكاناتها في الدلالة و التركيب و الإيقاع و الحقيقـــة و المجـــاز و الترادف و التضـــاد و المقابلة و التجانس و غيرها من وسائل التعبير الفني ... و الألفاظ و العبارات هي مادة الشاعر الأولى التي يَصُوغ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها صوره الشعرية"[2] وإن اتخذت الصورة البلاغية مصلح المجاز أو الاستعارة بالأخص من أهم أساليبها كما الشأن عند أرسطو "ولكن أعظم الأساليب حقا هو أسلوب الاستعارة...وهو آية الموهبة"[3]

[1] رولان بارث ، قراءة جديدة للبلاغة القديمة ، تر: عمر أوكان ، رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2011، ص.11

[2] عبد القادر القط : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر- دار النهضة العربية للطباعة والنشر- ط2- سنة1981م- ص391.

[3] أرسطو : فن الشعر – تر: محمد شكري عياد – دار الكتاب العربي – القاهرة – 1967 – ص128

1- حجاجية الصورة البلاغية:

تجدر الإشارة إلى أن من مظاهر التجديد في المصطلحات البلاغية عند المعاصرين هو سعيهم للوقوف على إيجاد نقاط التشارك والتقاطع للبلاغة الشعرية والخطابية ، والخروج بذلك ببلاغة عامة كونها علما جامعا ،يحيط بجميع العلوم الإنسانية، حيث يرى العمري بعد الوقوف على نقاط التقاطع بين الشعرية والخطابية أن حقل البلاغة العامة، ينتمي إليه " كل خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب،كل خطاب تحضر فيه الوظائف الثلاث: المتعة والتعليم والإثارة مجتمعة متعاضدة ، كل خطاب يقنع بالمتعة والإثارة مدعمتين بالحجاج"[1] .

1.1- مصطلح الصورة البلاغية

لقد جاء هذا الجهد المعاصر في الجمع بين بلاغة الشعر والخطاب ،نحو بلاغة عامة وذلك من خلال الوقوف على مصطلحات الصور البلاغية لكلا البلاغتين باعتبارها من آليات التحليل البلاغي ، ولهذا اقتضت " عملية التوسيع إجراءين متكاملين :أولهما النحت من الجوار المنطقي واللساني ،...والثاني ، التقريب بين قطبي الاحتمال (الصدق والكذب) من خلال فحص طبيعة الآليات الجوهرية الخصة بكل منهما ، أو المعتبرة كذلك وهي : الصور figures والحجج arguments حيث صار من الشائع الحديث عن بلاغة الصورة أو (الصور) وبلاغة الحجاج"[2]

على ضوء ما سبق فمصطلح الصورة عند المعاصرين مكون أساسي في البلاغة العربية المعاصرة وهي آلية من آليات التحليل البلاغي العام ويأتي تعريفها من منظور البلاغة العامة على النحو التالي عند العمري قائلا:" الصورة هي على العموم ، إجراء أسلوبي ،أي طريقة في التعبير حرة ومقننة"[3]

---

[1] محمد العمري : البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، الناشر:أفريقيا الشرق ، المغرب .ط02.سنة 2012م.ص22.

[2] المصدر نفسه ،ص. ص22.

[3] المصدر نفسه ص23.

فكل ما يترتب عن بعض مصطحات البيان في البلاغة العربية ، يمكن قراءته في ضوء اللسانيات الحديثة على أساس صورة بلاغية ، فهي عند القدامى اتخذت شكل العنوان لموضوع في كتاب أو مبحث من المباحث البلاغية ، فلا تكاد أن تكون كمصطلح بلاغي في التراث،ومادام للصورة أصولها مع هذا الرونق الفني الضارب في العمق البلاغي نجد أنفسنا متسائلين عن ما هيتها والمعايير التي تتشكل بها، وأول ما نلمح من التعريف الحرية للمبدع في اختيار ما يتناسب مع فكره والواقع الملموس ، وأن تكون مقننة وفق الأنساق البلاغية المتعارف عليها، وزيادة في بيان أنواع الصورة قسمها العمري إلى ثلاثة أنواع :"صور الكلمات ،وصور المعنى ، وصور التركيب"[1]

كما يمثل العمري مبينا أن عبد القاهر الجرجاني ، استعمل المفاهيم المتداولة حديثا للمصطلح البلاغي في التعبير بالمثال المشهور :"جبان الكلب مهزول الفصيل " ،ف:"جبان الكلب مهزول الفصيل دليل على أنه مضياف .

فالمعرض ليس هو اللفظ المنطوق ولكنه المعنى الأول المفهوم من أنفس الألفاظ "وفي هذا التحليل تصحيح للمفهوم المدرسي الذي يجعل المعنى الأول حقيقة والمعنى الثاني مجازا ، فالواقع أن الحقيقة هي المعنى الثاني الذي يجوز فيه فعبر عنه بالمعنى الأول العبارة أو المادة اللسانية

العبارة(أو المادة اللسانية) : جبان الكلب

المعنى الأول (المجازي): اتصاف الكلب بالجبن

ومنظر الكلب الجبان نفسه مجسدا

المعنى الثاني (الحقيقي) : كرم صاحب الكلب

القرنية المانعة مقام المدح"[2]

[1] محمد العمري : البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول.ص23.

[2] محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، أفريقيا الشرق المغرب ،سنة2012.ط2، ص.207

يبين العمري أن القراءة المعاصرة للمصطلحات البلاغية ساهمت إلى حد كبير في صناعة الصور البلاغية انطلاقا من إعادة قراءة مفهوم مصطلح المحاكاة حيث يؤكد هذا العمري فيقول: " قد انبثق الاهتمام بالصورة البيانية عن طريق تأويل مفهوم المحاكاة عند أرسطو ، فأعيدت قراءة التشبيه والاستعارة والتمثيل باعتبارها أدوات لتصور المعاني وتخييلها ، ومن ثم عرف الشعر بكونه كلاما مخيلا،بعد أن كان لفظا موزونا مقفى"[1]

فالصورة الاستعارية تكتسي أشكالا ووظائف مختلفة وفق اختلاف أنواع الخطابات التي تندرج فيها ،"فتحليل الاستعارة في الخطاب الأدبي (الرواية مثلا) ينبغي أن يراعي أهداف النص الروائي باعتباره إطارا أدبيا تقوم فيه الاستعارة بوظيفة جمالية تحددها قواعد النوع الروائي الذي تشكلت فيه ،وفي هذه الحال لا يمكننا أن ننظر إلى الاشعارات الروائية نظرة وظيفية مرتبطة بإقناع المتلقي و التأثير في سلوكه ، لأن جنس الرواية و الخطاب الأدبي بشكل عام لا تتحدد أهدافهما في الوظيفية الحجاجية"[2] وتأكيدا لرؤية مشبال للصورة الاستعارية ، أنها تكتسي أشكالا ووظائف تختلف بها قوة التأثير في درجة المعنى ، وهذا الذي لاحظناه ودأب به التمثيل والاستشهاد عند البلاغيين في قوله تعالى :" ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾[3] فلو قلنا اشتعل الرأس ، قل تأثير المعنى كما كان عليه في الآية القرآنية الكريمة ، على الرغم من ثبوت الصورة الاستعارية في كليهما فالتأثير و تفاوت درجاته ناجم عن الصورة العامة للخطاب أو الكلام غير الاستعارة نفسها ، و هذا يرجع إلى" ترتيب الألفاظ في الجملة أو هيئة بناء الكلام أو الأسلوب ... وهذا التغيير في ترتيب الكلام أو هيئة التراكيب هو الذي أضفى هذه الزيادة التي تستشعرها في المعنى دون زيادة تقابلها في ألفاظ الكلام ، وهذه الزيادة هي : شمول الشيب في الآية عنه في "اشتعل شيب الرأس " وهذا الفارق نلحظه في أمثال هذا الأسلوب من التعبير ، ألا ترى أن قولك : اشتعلت الدار نارا

[1] المرجع نفسه.ص208.

[2] محمد مشبال:البلاغة و االخطاب ، دار الأمان ، ط1.سنة 1435هـ/2014م ص.125

[3] سورة مريم الآية04

،أعم و أشمل من قولك : اشتعلت النار في الدار "[1] وهذا ما تغذت به اللسانيات الحديثة في السنوات الأخيرة لبيان الصورة البلاغية إلى إعتماد معيار الرجوع في وصف و تفسير خصائص اللسان وقدرته الوظيفية و التصويرية للكلام.

2.1- المصطلح البلاغي في ضوء الصورة البلاغية .

إن التحليل الجديد للمصطلح البلاغي ،يقتضي الاهتمام بالصورة البلاغية في المقام الأول ،إذ لا يهتم فقط بالجانب الجمالي ،وقد أولى أرسطو الصورة قديما عناية كبيرة على ضوءها يرى أن "التشبيه هو استعارة ما، إلا أنه يختلف عنها قليلا. وفي الحقيقة عندما يقول هوميروس عن أشيل: إنه ينطلق كالأسد، فهذا تشبيه، ولكنه عندما يقول: ينطلق الأسد، فهذه استعارة، ولما كان كلاهما يشتركان في معنى الشجاعة، فلقد أراد الشاعر عن طريق الاستعارة أن يسمي أشيل أسدا"[2]

و يرى محمد مشبال أن الاهتمام بالصورة البلاغية في الدراسات البلاغية المعاصرة ،هو محاولة الإجابة عن الأسئلة الآتية « لماذا كان التعبير بالصورة أبلغ من التعبير العادي ، لماذا أكسب المزية ؟ولماذا أثر في المتلقي؟ وكيف حصل الإقناع؟ يراعي التحليل البلاغي الحجاجي للصور مقام القول والتفاعل بين أطرافه و الغاية منه و كيفية أدائه، على هذا النحو اشتغل البلاغيون بالكشف عن العوامل التي تظهر حجاجية الصور»[3]، فهذا النوع من التحليل والتساؤل يفضي بنا إلى أن هناك سمة بارزة تحدد لنا نوعية الخطاب وعلى أساس ذلك توظف مصطلحات المجاز و الاستعارة و التشبيه ،كما أن نوعية الخطاب تفرض قوة ودرجة توظيف هذه المصطلحات من خطاب إلى خطاب ، هذا الذوق والإختلاف هو ما نلمسه بين القدماء و المعاصرين في استعمال الصور البيانية في خطاباتهم،إذ: « أن نقاد العرب القدماء ساهموا في تقليص حجم الاستعارة وكبحوا جماح إبداع الشاعر إثر إلحاههم على ضرورة مراعاة الحدود الفاصلة بين

[1] حلمي علي مرزوق : في فلسفة البلاغة العربية (علم المعاني) كلية الآداب ، د.منصور 1999م ص.125

[2] أرسطو: الخطابة، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة2008م، ص:191.

[3] محمد مشبال : البلاغة و الخطاب ، دار الأمان الرباط ، ط1 1435هـ/ 2014م ص.113

الأشياء المقارنة بواسطة الاستعارة مستغلين بذلك السلطة المتعاظمة لنقاد الأدب آنذاك في تدجين الشعر و جعله وفيا لتقاليد الشعر الجاهلي الأصيل»[1]

إن التحليل المعاصر لدلالات المصطلحات البلاغية أصبح يقف أمام رؤية مفاهيمية لمجموع الخطاب تحت مسمى مصطلح التعالق الاستعاري في تركيب النص ، حيث تنبثق فيه مجموعة من الاستعارات كل منها يحمل مفهوما ودلالة مشتقا من الإستعارة الأولى [2]

لقد انتقل البحث البلاغي المعاصر في مجال المصطلح إلى تلك النظرة الشمولية للنص أو الخطاب بأكمله ، فلم يعد استخراج المصطلحات و الوقوف عليها منفردة في النصوص يخدم البحث البلاغي لدى المعاصرين ، حيث صارت الصورة البلاغية أو الشعرية هي محور النظرة المعاصرة ،كونها انفتحت على الدراسات الأدبية لتخدم النص بمجموعة من المصطلحات التي تتشابك و تتعانق لتحدد الصورة الكاملة للشاعر أو الخطيب « فالصورة الشعرية هي الوسيلة الفنية الوحيدة التي تتجسد فيها أفكار الفنان و عواطفه»[3] ، فالصورة تقوم على مجموعة من المصطلحات ، يرى بعض المعاصرين أنها مقصورة على المجاز و توابعه ولكن ينقلنا عبد الفتاح صالح نافع إلى رؤية أخرى بين فيها أن الحقيقة بمصطلحاتها تصلح لتشكيل الصورة البلاغية فيقول : « و إذا كانت الصورة تقوم أساسا على العبارات المجازية ،فلا يعني هذا أن العبارات حقيقة الإستعمال لا تصلح للتصوير ، بل إننا نجد كثيرا من الصور الجميلة الخصبة جاءت من استخدام عبارات حقيقية لا مجاز فيها» [4]

علل بعض المعاصرين أن مصطلح الصورة هو مصطلح جامع لجملة من المصطلحات البلاغية التمثيلية ،القصد من ذلك تلك التي تجمع أنواعا تصويرية عدة من مصطلحات علم البيان التي تقوم على صور المجاورة ،يقول محمد الولي :"و إذا انتقلنا إلى المعاصرين الذين انتعشت على

---

[1] ينظرمحمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص ، المركز الثقافي العربي ، ط1 سنة 1991م ص.329/328

[2] ينظر المصدر نفسه :ص 331.

[3] محمد غنيمي هلال :النقد الأدبي الحديث ، الناشر دار النهضة ،مصر ،القاهرة ، سنة 1984م.ص443

[4] عبد الفتاح صالح نافع : الصورة الشعرية في شعر بشار بن برد ، الناشر : دار الفكر،عمان ،1983م.ص58.

يدهم المصطلحات البلاغية القديمة نجد مصطلح الصورة يشمل التشبيه والإستعارة والتمثيل والرمز بالإضافة إلى أنواع المجاز الأخرى القائمة على المجاورة بدل المشابهة "[1] ثم يضعف هذا الرأي برؤية نقدية معاصرة على اعتبار مصطلح التشبيه والدور البلاغي الذي يؤديه، إذ يرى أنه من أهم المصطلحات البلاغية في تصوير المعنى وتجسيده في الصورة البلاغية، فقد تجتمع هاته المصطلحات جميعها إذا قامت على المجاورة ولا تحقق عند «المتلقي أية قيمة جمالية، فأية قيمة جمالية يمكن أن تتوفر في عبارة "شربت كأسين" وأنت تقصد إلى محتواها هذا الشك في القيمة الجمالية للمجاز المرسل هو الذي دفع ببعض الدارسين إلى قصر مفهوم الصورة على صور المشابهة »[2] ،لأن التشبيه أو التمثيل بجميع أنواعه ومجازاته هو الطريق الأنسب لحدوث المعاني المتخيلة في ذهن المرسل والمتلقي على حد سواء، هذه المعاني ربما لا تدرك بالحس ، وهذا ما ذهب إليه النقاد المعاصرون وبه تميز المبدع في قدرته التصويرية التخييلية التي يستطيع بواسطتها الجمع بين مصطلحات بلاغية عدة لتشكيل الصورة البلاغية العامة للقصيدة أو النص، أو الخطاب وبهذا يمكن القول « بأن مفهوم الصورة الشعرية لا يمكن أن يقوم إلا على أساس مكين من مفهوم متماسك للخيال الشعري نفسه ، فالصورة هي أداة الخيال ووسيلته ومادته الهامة التي يمارس بها ، ومن خلالها فاعليته» [3]

إن التخييل المراد هو ذلك المصطلح المعاصر ، الذي يتم بواسطته إنتاج صور ذهنية لمحسوسات عاشها المبدع ، ليجعل منها عالما مترابطا ومنسجما ،لأن المفهوم القديم للمصطلح ليس له"القدرة على تلقي صور المحسوسات و إعادة تشكيلها بعد غيابها عن الحس ، إنها تشير إلى

[1] محمد الولي: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ،الناشر : المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ،ط1.سنة 1990،ص16.

[2] المصدر نفسه : ص17.16.

[3] جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، الناشر :المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط3.1992.ص14.

الشكل والهيئة والظل ، كما تشير إلى الطيف أو الصورة التي تتمثل لنا في النوم أو أحلام اليقظة ، أو في لحظات التأمل عندما تفكر في شيء أو شخص "[1]

إن الصورة بالمفهوم المعاصر ، أصبحت ذا أهمية كبيرة عند النقاد و الباحثين ، كونها تحدث التأثير في المتلقي دون تغيير في المعنى الأصلي المراد من الخطاب .

3.1- مفهوم الصورة البلاغية في الدراسات المغاربية المعاصرة

وقف البلاغيون و النقاد أمام تقرير مزية أحد المصطلحين على الأخر بين المجاز و الحقيقة و ذهبوا إلى تفضيل المجاز لما يوفره من رؤية أوسع يقوم عليها المبدع لإحداث التصوير الحجاجي، حيث يقوم «التحليل البلاغي الحجاجي للصور بشكل عام على تحليل وظيفتها الإقناعية وتأثيرها في المتلقي بتدعيم أو بتغيير معتقداته وقناعاته وتأثيرها في قدرته على اتخاذ القرارات الملائمة لدعوى الخطاب، تحلل الصور في هذا المنظور بوصفها جزءا منصهرا في سياق تواصلي ،أي ليست الصورة هنا حلية لتحسين المعنى ولا تعبيرا عن ذاتية المتكلم ورؤيته التخييلية للعالم ،ولا هي مكون في البناء الجمالي للنص» [2]

لقد وجدت أصول هذه الصورة البلاغية عند القدامى بشكل عام، كونهم ذكروا وفصلوا في مصطلحي التشبيه والإستعارة وما يحدثه من تناسب وتقارب بين طرفي المشبه و المشبه به والمستعار والمستعار له، غير أن النظرة الحديثة والمعاصرة « قد أقامت هذا التماثل طبقا الإدراك الداخلي لي حركة الأشياء وانفعال الشعر بها، وإذا كان أولئك النقاد قد استخدموا الصورة المجازية التي تقوم على النقل خاصة الإستعارة منها ... فإن المحدثين قد تعاملوا مع الإستعارة باعتبارها تتجاوز علاقة المشابهة إلى علاقات تفاعلية بين طرفي التشبيه»[3]

---

[1] جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ص15

[2] محمد مشبال :البلاغة والخطاب .ص106

[3] لخميسي شرفي :جمالية الصورة البلاغية في ديوان مقام البوح لعبد الله العشي ، مجلة قراءات ،ع3.سنة2011م.ص46.45.

يمكن القول أن النظرة المعاصرة للصورة البلاغية هي أوسع بكثير منها عند القدامى، وهي مظهر من مظاهر جهود المعاصرين في البحث البلاغي بتلك لنظرة الشمولية للخطاب حيث أصبح مفهوم الصورة« يشمل كل الأدوات التعبيرية الشعرية مما تعودنا على دراسته ضمن علم البيان والبديع والمعاني والعروض والقافية والسرد وغيرها من وسائل التعبير الفني»[1] .

ولمزيد من الوضوح والبيان للصور البلاغية ،نجد العمري يضع مخططا بيانيا تناول فيه الصور البلاغية من منظور البلاغة العامة، حيث تتفرع الصور البلاغية في هذا المخطط إلى فرعين :

1-علم المعاني الذي يتفرع إلى صور الانزياح، وصور تركيب المعاني مؤالفة ومخالفة .

2-المستوى الصوتي الذي ينقسم بدوره إلى صور التجنيس و صور الترصيع"[2]

لقد تناول العمري مخطط العسكرى قبل القرن الخامس هجري من منظور يجمع بين القديم والحديث،في حين نجده يفسر بعض القضايا والصور البلاغية العامة وما بينها من تداخل، حيث يرى أن الإقناع هو الهدف الأساس للصور« القائمة على ترتيب المعاني في صور مختلفة مما يكثر في النثر فهي من المقومات الخطابية الإقناعية خاصة التقسيم والتقابل والتوكيد والتلطف في إقامة الحجة والمذهب الكلامي »[3]، ذلك لأن مذهب العمري في البلاغة العامة مذهب ذو بعد حجاجي وإقناعي ، وهو إشكال قائم في جميع مؤلفاته،فلا يكاد يحال من الأحوال أن يخلوا مؤلف من مؤلفاته من معالجة قضايا الحجاج حيث ينطلق من رؤية إقناعية للبلاغة فيقول هي "علم الخطاب الإحتمالي الهادف إلى التأثير أو الإقناع أو هما معا،إيهاما أو تصديقا "[4]

1محمد الولي : الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي و النقدي ص10

2 ينظر محمد العمري : البلاغة العربية أصولها و امتداداتها الناشر : افريقيا الشرق ، المغرب ط2 ، سنة 2010م، ص286 بتصرف

3 المرجع نفسه.ص293

4محمد العمري : البلاغة بين التخييل و التداول ، الناشر : افريقيا ، الشرق ، الدار البيضاء ، 2005 م، ص6 .

لقد تعددت دعوات التجديد للبلاغة العربية،وإن معظمها هي قراءة للقديم قراءة معاصرة ،القصد منها الوقوف على الصورة البلاغية للخطاب، إذ لا يمكن بحال من الأحوال ترك القديم كله و الاستغناء عنه، والإتيان بجديد مكانه، وهذا لايسمى تجديدا إذ هو لا علاقة له بالقديم.

2- المصطلح البلاغي ودعوات التجديد في الدراسات المغاربية المعاصرة

نرى العمري يعيد قراءة وضع العسكري للمصطلحات البلاغية ويحدد الأبواب التي تنتمي إليها من منظور الصورة البلاغية، فيقول :« والواقع أن أغلب هذه الصور يدخل في باب التوازن بين المعاني أو تحت مفهوم التوازي الدلالي، لا يستثنى من ذلك إلا التلطف والمذهب الكلامي، فهما صورتان إقناعيتان خطابيتان تقومان على حسن التأني في إقامة الحجة والإحتيال في إخراج المعاني»[1] ومما يزيد الأمر تأكيدا أنه يريد المصطلحات البلاغية القديمة للإستئناس بها ولتأييد صحة ما ذهب إليه، كما أنه يورد أراءا لقراءته المعاصرة لما أورده القدامى ويعتبرها صورا بلاغية تنتمي لحقل معين فيقول:« والصور الصوتية التي قدمها العسكري هي:1- التجنيس ورد الاعجاز على الصدور والمجاورة والتعطف.

2- الترصيع والتشطير والتطريز والسجع،وهي صور أخذ جلها عمن سبقه،وأضاف إليها ثلاثا هي :التشطير والتطريز والمجاورة ،وتمثل هذه الإضافة مساهمة ملموسة خاصة في صور الترصيع »[2]

كما أن الأدب في حد ذاته هو تصوير للواقع قصد إشراك المتلقي في العملية الإبداعية لكون « أن الصورة لم تعد حكرا على الأدب بل لها نطاق رحب وواسع،و لم تعد تحتكم إلى مقاييس البلاغة التقليدية،سواء أكانت عربية أم غربية ،بل تطورت هذه الصورة البلاغية ،وتوسعت مفاهيمها ،وتنوعت آلياتها الفنية والجمالية وتعددت معاييرها الإنتاجية والجمالية والوصفية ،و لم يتحقق ذلك إلا مع تطور العلوم والمعارف ،بما فيها الفلسفة ،وعلم الجمال والبلاغة ،واللسانيات والسيميوطيقا

1محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها و إمتداداتها ، ص294 .

2المصدر نفسه ص295

والشعرية والمنطق والتداوليات»[1] هذه القراءة العمرية للمصطلحات البلاغية القديمة في ضوء الصورة البلاغية كونها أصبحت المحور الأساس للتحليل الأدبي

1.2-المصطلح البلاغي ومظاهر التجديد في الدرسات المغاربية المعاصرة

إن البلاغة المعاصرة اليوم لم تكن كما كانت عليه من قبل مجرد مصطلحات على شكل قوالب جاهزة تتكرر على الألسن بل أرادها البلاغيون المعاصرون أن تكون أداة خلاقة، ذات فعالية كبرى يعتمد عليها في إنتاج النصوص ومعالجتها، فكان الاهتمام المعاصر نحو هذه الرؤية مستحبا إلى دراسة كيفية توظيف و اشتغال مصطلحات البلاغة العربية من مجازات و تشابيه واستعارات مع مختلف النصوص شعرية كانت أو أدبية في صور بلاغية بيانية . وإن من بعض مظاهر التجديد في المصطلح البلاغي نقف على ما يلي:

2.2 – الإستعارة الحجاجية وغير الحجاجية:

لقد تعددت مظاهر التجديد لمباحث البلاغة العربية ، ومن أهم ما اشتغل عليه المعاصرون الدعوة إلى إعادة الرؤية العلمية للمصطلح ، إن على مستوى التسمية نفسها ،أو مستوى الدلالة والتوظيف ، حيث تفرض المعاصرة نفسها لإعادة انتاج البلاغة العربية من جديد ، خاصة ما تعلق بمصطلحاتها كونها هي أساس هذا العلم وحياته.

عمد محمد مشبال في ضوء اللسانيات الحديثة إلى اعتماد معايير وصفات يميز بها مصطلح الاستعارة بين التوظيف الجمالي أو الأدبي ، وبين الانسجام الحجاجي التداولي ، أشار إلى هذا مشبال بقوله :" فعندما يراد بها [أي الاستعارة] الدفاع عن دعوى ما أو مخاطبة المتلقي و التأثير العملي فيه، فنحن بإزاء الحجاج بالاستعارة وعندما يراد بها التعبير عن رؤيتنا للأشياء وخلق التماثلات بمعزل عن الغرض الإقناعي ، فنحن بإزاء استعارة أدبية ، فالتمييز بينهما يؤول أحيانا إلى

1جميل حمداوي:من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة : الناشر : موقع دار الألوكة .ص.9 .

المقام و طبيعة الاستعمال ، ويؤول أحيانا أخرى إلى طبيعة بنيتها ، فمن النادر أن تستخدم الاستعارات ذات المشابهة الخفية لأغراض حجاجية ، لأن الحجاج يفرض إجماعا "[1]

يمثل مشبال للاستعارة غير الحجاجية أو ما يسميه النقاد المعاصرون بالصورة الشعرية ، فيقول:« عندما يشبه امرؤ القيس الليل بموج البحر في قوله :

ولَيلٍ كَمَوجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدولَهُ عَليّ بأَنْواعِ الهُمُومِ لِيَبتَلي[2]

لم يكن يصوغ سوى صورة شعرية تدق فيها المشابهة وتخفى على الذهن، لأن ثمة مسافة دلالية بين مجال الليل و مجال البحر ... فلا صلة لهذا التشبيه بمتلق محدد تتوجه إليه أو بمقام ملموس يمكن أن يسهم في فهمها... باختصار لا تصدق على الصورة الشعرية الخصائص الحجاجية المتمثلة في الاختزال و التئبير والتقويم ، لأنها لا تسعى إلى جر المشابهة إلى التطابق بقدر ما تحافظ على الاختلاف و التباين»[3] .

أشار مشبال في نفس السياق إلى الاستعارة الحجاجية ممثلا لها بقوله تعالى﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗا ﴾[4] إذ بين أن إدراك الغرض الحجاجي للاستعارة لا يمكن دون إدراك لمقامها التلفظي، ثم بين مكمن القوة الحجاجية فيها ، متسائلا لم لم يكشف الله تعالى باللفظ الحقيقي للدلالة على هذه الوظيفة الحجاجية فقال : «إن لفظ المطر الحقيقي و إن لم تعبر عن توجيه المتلقي إلى النتيجة (الوظيفية الحجاجية للخطاب) المتمثلة في توحيد الله ،إلا أن لفظ الرزق المجازي أقوى منه حجاجيا و أبلغ ،لأن المطر قد يثمر وقد لا يثمر بل قد يفسد ، في حين أن الرزق هو الثمرة

[1] محمد مشبال :البلاغة والخطاب ، دار الأمان الرباط ، ط1. 1435هـ/ 2014م. ص.115

[2] ديوان امرؤ القيس، تح :مصطفى عبد الشافي ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،ط5 ،سنة 1425 هـ – 2004م، ص117.

3 محمد مشبال :البلاغة والخطاب .ص.116

4 سورة غافر الآية 13

الصافية »[1] فاعتماد الملفوظ المجازي وهو الرزق ،ساهم في بناء حجاجية الاستعارة من خلال إبراز أحد مظاهر المطر ،وقيمه الإيجابية .

لقد عادت البلاغة المعاصرة على يد البلاغيين الجدد ،لتغيير الرؤية نحو المصطلحات البلاغية وتفسيرها وفق ما تقتضيه الصورة البلاغية من نتائج مباشرة وغير مباشرة ،حيث لم تصبح مجرد أساليب وقوالب للزخرفة و التزيين بل أصبحت آلية فعالة وفعلية في بناء النصوص الشعرية و الأدبية ،إذ « ليس يكفي إيراد الكلام وفق صورة من الصُّوَر البلاغيّة التي يذكرها علماء البلاغة، بل لا بدّ من ملاحظة غرض فكريّ بياني تؤديه هذه الصورة المختارة. إنَّ نسبة الجمال في الكلام ترتقي جداً حينما نُدرك أنّ الأديب قد اختار الصورة البلاغيّة التي أوردها في كلامه لغرض فكريّ زائد على مجرّد اختيار صورة جماليّة بلاغيّة يذكرها علماء البلاغة ». [2]

يعتبر بيرلمان أن الصور البيانية بصورة عامة في البلاغة ،طريقة في الكلام ليست عادية ،و أولى مصطلح الاستعارة اهتماما خاصا ، معتبرا أن اهتمامه هو اهتمام مشترك في الفكر اللساني فيعتبر بيرلمان أن « كل تصور لا يلقي الضوء على أهمية الاستعارة لا يشفي غليله ، أما عن دور الاستعارة فيتضح بشكل أفضل في علاقته بالنظرية الحجاجية للتمثيل » [3] .

إن هذا الأمر ليس بغريب عن بيرلمان الذي يعتبر من علماء الحجاج ،حينما سعى إلى توسيع البلاغة العربية و إخراجها من الأجناس الخطابية الأرسطية، جاعلا من البلاغة علما يتعلق بكل خطاب إنساني ،فساوى بين جميع الخطابات على اعتبار أن كل كلام يحمل في طياته الرغبة في الإقناع [4]

1 محمد مشبال : البلاغة والخطاب. ص.117

[2] عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: 1425هـــ): : البلاغة العربية. الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت .الطبعة: الأولى، 1416 هـــ - 1996 م.ج1.ص85

[3] ينظر جابر عصفور:مفهوم الشعر :الناشر: دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة. 1978 ص 535.

4 ينظر محمد الولي :مدخل إلى الحجاج ، أفلاطون وأرسطو و شايم بيرلمان ، مجلة عالم الفكر ص 33 .34

2.2 – الخصائص البلاغية والعلمية لدلالة مصطلح الاستعارة :

نخلص من خلال هذا أن لمصطلحات البلاغة العربية دورا حجاجيا كبيرا ، ولكن حصرنا القول في مصطلح الاستعارة ، لكي يتضح تكامل الفكرين العربي و الغربي ،إضافة إلى أن المصطلح المجازي يلعب دورا هاما في الحجاج ،خاصة ما تعلق بمصطلح الاستعارة كونها :

1- سيطرت في العهود الأخيرة على كل دراسة تتعلق بالحجاج الذي يستعمل عند المعاصرين من أساليب البلاغة والخيال ، أكد هذا ريتشارد بقوله :« وتنصيب الاستعارة على رأس الصور البلاغية ليس اعتباطيا ولكن له ما يبرره تاريخيا وعلميا ، فتاريخيا نلاحظ أن أرسطو يعطي الأهمية نفسها للإستعارة ، فأعظم شيء عنده هو القدرة على صياغة الاستعارة » [1]

2- اتساع الدلالة من الجانب العلمي والوصفي كون سعة مصطلح الاستعارة إلى حد أنها :« شملت الكناية و المجاز»[2]

3- مصطلح الاستعارة يختلف عن مصطلح التشبيه في كون هذا الأخير « يجعلنا نقف أمام لوحتين ظاهرتين بينهما رابط ما ، في حين أن الاستعارة تضعنا أمام لوحة واحدة في الظاهر تتحول إلى لوحتين في الباطن ، يقوم المتلقي بدور كبير في وجود الاستعارة و إحيائها» [3] .

4- تتميز الاستعارة بالعمق الدلالي و البعد الإيحائي ، وهذا ما تناوله عبد القاهر الجرجاني في بيان عمقها و فضلها في وفرة الكثير من المعاني مع اليسير من الألفاظ ، كما أنها تجعل المتلقي يقف على جماليات الصورة الإستعارية ،تلك الصورة التي تجعل منه يتأمل و يدقق ليصل إلى طبيعة البناء التصويري و علاقاته ، هذا ما جعل المصطلح يسيطر على سائر الخطابات الفنية و العلمية و حتى اليومية ، فمثلا كلمة العين ، حيث تعبر في الأصل عن عضو الرؤية لدى الإنسان و الحيوان ،إلا أن الحاجة فرضت عليها استعمالات استعارية كثيرة صارت ملازمة لها ولا تعرف إلا بها كالذهب

---

[1] ريتشارد ، فلسفة البلاغة ، تر : ناصر جلاوي و سعيد الغانمي ، مجلة الغرب و الفكر العالمي ، العددان :13-14 1991 ص.37

[2] حسين خالفي ، البلاغة و تحليل الخطاب ، دار الفارابي ، بيروت لبنان ط1 2011 ص.155

[3] محمد الدسوقي ،البنية التكوينية للصورة الفنية ، دار العلم و الإيمان ، مصر 2009 م ص.180 بتصرف

الذي يطلق عليه العين ،وكذا عين الماء وعين الباب و عين الجيش ....[1] وهذا ما يعرف في علم الدلالة بالمشترك اللفظي.

5- ثراء مصطلح الاستعارة إذ له دور هام ،حيث تعتبر الحل عند القصور اللفظي «فتحييد الألفاظ عن معناها الأصلي إلى معان استعارية جديدة تصبح ملتصقة بها ، بل تصبح في الغالب معان حقيقية »[2] فطغيان الاستعمال الاستعاري على اللغة عموما لا يمكن بأي حال إنكاره ، حيث إن الإنزلاق الذي يمس المعاني يرجع بطبيعة الحال إلى تقلص المسافة بين المعنى الحقيقي و المعنى المجازي ، وتارة يذوب فيه وهذا ما نجده غالبا في اللغة الفنية و الأدبية ، ومن هنا قسم "كوهين" الدلالة في اللغة إلى نوعين ، دلالة مطابقة و دلالة إيحاء فقال: «فينبغي أن نفهم بوضوح أن الدلالة المطابقة و الدلالة الإيحائية نفس المرجع ، ولا تتعارض الدلالاتان إلا على المستوى النفسي ، فالدلالة المطابقة تشير إلى الاستجابة العقلية ، أما الدلالة الإيحائية فتشير إلى الاستجابة النفسية أو العاطفية ، في عبارتين مختلفتين عن نفس الشيء»[3] .

إن الدلالة المطابقة كما سبق آنفا هي التي تمثل اللغة العادية كما تمثل الاستعارة المستهلكة الذائبة في الحقيقة ، وإنما فرضتها الحاجة اللغوية لا غير، أما الدلالة الإيحائية هي التي تعبر عن الاستعارة الشعرية ، يتميز بها الشاعر عن غيره بتجربته الخاصة أو كما عبر عن ذلك أحمد الطريس فقال :« مرتبطة بعمل كيميائي معقد في لحظة من لحظات الشعر ، وفي مشهد من مشاهده ، حين يكون الشاعر يرى الأشياء بعيون أخرى ، ويدركها بإدراك مخالف للمعتاد و المألوف »[4]

6- تعتبر الاستعارة الوسيلة المثلى لتحقيق التحاور بين مختلفين يشتركان في خاصية ما ، و لذا حاجة الشاعر إليها شديدة لبناء خياله وعدوله لأداءات لغوية متعددة ،حتى يستطيع صنع عالم من

---

[1] ينظر:أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، الناشر :عالم الكتب ،القاهرة، ط1 .سنة 1985م. ص.153 مبينا ذلك في جدول .

[2] حسين خالفي : البلاغة و تحليل الخطاب ص.136

[3] جون كوهين ، بنية لغة الشعر ، تر: محمد الولي ومحمد العمري ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء المغرب 1986 م، ص.196

[4] أحمد الطريسي ، النص الشعري بين الرؤية البيانية و الرؤية الإشارية ، الدار المصرية السعودية ، القاهرة 2004م ص. 73 74

الوهم و الخيال ، حيث إن المعروف عن مصطلح الاستعارة عند البلاغيين أن طرفاها يتكونان مما هو معروف مدرك بالحس ، إلا أن كيفية الجمع بينهما هي التي تخرج الكلام عن حدود المعقول وهنا تبرز حيوية اللغة من خلال المصطلح الاستعاري، وتطلق العنان للشاعر حتى يرسم عالمه الخاص به حيث إن الانحراف عن التعبير هو مظهر ثانوي للاستعارة ،والمظهر الأساسي هو أن الاستعارة تنتج أنواعا من الاستعمالات اللغوية التي تدعو القارئ لاكتشاف أنواع معينة من ترابط الأفكار وتداعيها ،وهذه هي قلب اللغة الاستعارية[1]

3- أساس بناء المعنى في المصطلح البلاغي

يقف العمري على قضية الانزلاق بمعنى المصطلح البلاغي ،حينما يفسر بعيدا عن النسق الذي وظف فيه ،وقد يؤدي أحيانا إلى وضع مصطلح وضعا بديلا عن مصطلح آخر، حينما يكتفي باستخراج المصطلحات من المعجم وتوظيفها دونما مراعاة للعلم الذي تنتمي له وللسياق الذي توظف فيه ،فهذا« يؤدي من بين ما يؤدي إليه : إما إلى الخطأ في تعريف المصطلح أصلا ، وإما إلى جعل المركزي ثانويا والثانوي مركزيا ، بل قد يؤدي إلى إهمال مصطلحات جوهرية لا يستقيم الفهم في غيابها ... »[2]

إن القدماء وعلى رأسهم شيخ البلاغيين الجرجاني، أشار إلى الأسس التي يبنى عليها المعنى في المصطلح البلاغي حيث :« أرجع المعنى إلى أصول عامة :هي التشبيه والاستعارة والتمثيل والمجاز أيضا باعتباره أصلا للاستعارة ، وعلى هذا الأساس بنى كتابه أسرار البلاغة ... وهذا المفهوم يدخل في عملية مصالحة مع الاتجاه التقليدي الذي يجعل البلاغة في اللفظ ، وفي إطار هذه المصالحة تمت الإبداعات الكبرى للبيان تحت مفهوم صورة المعنى ومعنى المعنى»[3].

يطرح العمري تساؤلات جادة للباحثين المعاصرين في مدى استيعابهم ووعيهم الكامل بالمصدر الأول للبلاغة العربية الذي مثله مؤلف الجاحظ في " البيان والتبيين " فكانت بحق

[1] ينظر: يوسف أبو العدوس :الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية،منشورات الأهلية ،عمان الأردن ،ط1.سنة1997م. ص7.

[2] محمد العمري :البلاغة العربية أصولها وامتداداتها.ص18.

[3] محمد العمري :البلاغة العربية أصولها وامتداداتها: ص19

تساؤلات مشروعة تمثل جوهر البحث البلاغي المعاصر، أعطى من خلالها العمري ملخصا لما احتواه مؤلف الجاحظ قائلا بأن محتوى الكتاب يشتمل على « ثلاثة محاور :

1- وظيفة البيان وقيمته .

2- العملية البيانية وأدواتها .

البيان.العربي»[1]

هذه المحاور الثلاث هي المرتكز الأول في بناء المعنى للمصطلح البلاغي ، حيث يحث العمري أن وظيفة الخطيب هي توفير المعاني والحجج من خلال أنواع الأدلة على المعاني*. وهو الأمر نفسه دعا إليه الجاحظ من خلال سياقه تعريفا لمصطلح البيان وإبراز الغاية منه وهي الفهم والإفهام وتوفير آليات بناء المعنى وتوضيحه فقال:« والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يغضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والأفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[2].

ويورد محمد مفتاح نفس الرؤية العمرية حول أساس بناء المعنى في المصطلح البلاغي وأن عملية التلقي راجع لاستيعاب البيان وفهم وظيفته العلمية كونه هو الذي عرفت به البلاغة العربية قبل التقسيم الثلاثي لمصطلحاتها ،حيث « يرى متتبع تاريخ البلاغة العربية في المغرب أن التسمية

---

[1] محمد العمري :البلاغة العربية أصولها وامتداداتها:ص193.

• يقصد العمري بالأدلة على المعاني : اللغة والاشهار والنص (أوالاعتبار) والخط والعقد ينظر محمد العمري : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها .ص194.وهي معروفة عند الجاحظ ب «أدوات البيان الخمس وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة. والنصبة هي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السار والضار، وعما يكون منها لغوا بهرجا، وساقطا مطرحا».ينظر الجاحظ :ج1، ص82.

[2] الجاحظ (ت: 255هـ): البيان والتبيين،ج1، ص82.

ب " علم البلاغة " لم تسد إلا في عصور متأخرة باعتبارها علما شاملا للعلوم الثلاثة : المعاني والبيان والبديع .لقد أشار ابن خلدون إلى أن الاسم الأول الذي كان متداولا بين المهتمين هو "البيان" الذي كان ينقسم إلى علم البلاغة... علم البيان الذي يهتم بالبحث عن الدلالة على اللازم والملزوم مما يجعله يحتوي على الاستعارة والكناية والمجاز المرسل، وإلأى علم البديع الذي يبحث في وسائل تزيين الكلام وتحسينه »[1]

من خلال هذه النظرة وقف النقاد و الدارسون للمصطلح البلاغي أمام تساؤل ،هل الاستعارة تزيينية في الشعر خاصة؟ أم هي آلية من آليات الإقناع و التأثير على المتلقي ؟ فعلى ضوء هذا التساؤل ، يمكن القول أن البلاغة العربية القديمة وقفت أمام مصطلح الاستعارة موقفا مذهلا ، حيث يموا عقولهم نحوها دراسة وتحليلا،هذه الدراسة قصد منها الوقوف على الجانب الوظيفي و التأثيري للمصطلح يقول الجرجاني :« فليس تأثير الاستعارة إذن في ذات المعنى وحقيقته ، بل في إيجابه والحكم به»[2] هذا القول وضع من خلاله الجرجاني تصورا لمصطلح الاستعارة مكنه من أن يرد لها قيمتها التي تجاهلها أو لم يتنبه لها سابقوه،فضلا عن توضيح كثير من خواصها ،إذ عد الجرجاني مصطلح الاستعارة في المقام الأول لأمرين :

1- احتواء المصطلح على الايجاز والاختصار مع البيان.
2- تكثيف المعاني .

تعتبر هذه الخاصية الثانية عند الجرجاني كعنوان لمناقب مصطلح الاستعارة حيث يقول : «تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر،وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر »[3]

---

[1] محمد مفتاح : التلقي والتأويل- مقاربة نسقية – الناشر : المركز الثقافي العربي بيروت.ط 1.سنة1994.ص13.ينظر تاريخ ابن خلدون ص775 للمقارنة

[2] الجرجاني (ت471): دلائل الإعجاز. تح محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة ،دار المدني بجدة .ط3 ،1992/1413. ص71.

[3] الجرجاني (ت471): أسرار البلاغة . تح محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة ،دار المدني بجدة .ص43.

إن كل ما نعت به مصطلح الاستعارة على أنه ضرب من المجاز في البلاغة العربية وهو كذلك ، نلمح الغموض عند القدماء في تحديد وظيفتها الفنية والبلاغية على ما هو الأمر عليه اليوم لدى المعاصرين ، أشار إلى هاته الفجوة حمادي صمود بقوله «يبقى معنى الاستعارة قريبا من المعنى اللغوي بعيدا عن كل تصور نظري للكيفيات التي تتركب حسبها هذه الصورة ومختلف المراحل والتحولات التي تفصل المعنى الأصلي عن المجاز ، كما لم يتفطن إلى صلتها بالتشبيه و لم توضح وظيفتها الفنية والأدبية ،وكل ما في الأمر أنهم أقروها مجازا من مجازات العرب وطريقة من طرائقهم في الاستعمال»[1]

هذا الأمر تعامل معه الدارسون ،على أساس النظرة الجمالية للنصوص ، متجاهلين في نفس الأمر الغاية الحجاجية للمصطلح البلاغي ،حيث « درج الدّارسون على النّظر إلى الخطاب الأدبي على أنّه لا يتّسع لأكثر من مجرّد الإمتاع والتّسلية الفكريّة والعاطفيّة التي تصنعها اللّغة ، وذلك لأنّ نظريّة الفنّ بصفة عامّة عند العرب لا تشمل إلاّ فنّاً واحداً هو الأدب، لهذا اقتصر أغلب الدّارسين العرب على تضخيم عبقريّة الإبداع اللغويّة في النّصوص الشعرية العربية ، وأهملوا كثيرا من الجوانب المتعلقة بأهداف هذه النصوص وأبعادها وغاياتها»[2]

رغم أن القدماء على حد قول صمود لم يقفوا على الصورة الوظيفية لمصطلح الاستعارة ، إلا أن هناك إشارات من بعض القدماء كالفراء انتبهت إلى تحديد دقيق في نوع منها كالاستعارة التهكمية وهو المصطلح الجاري عند المعاصرين، إذ « حديثه (الفراء)عن الاستعارة يعتبر طفرة كبيرة وقفزة رائعة للوصول بها إلى غاياتها التي تعرفها اليوم وأنه (الفراء) تفطن إلى قيامها على التشبيه وفهم معنى القرينة وانتبه إلى نوع منها دقيق هو الاستعارة التهكمية »[3]، وأشاد الجرجاني بالدور البلاغي الذي يؤديه مصطلح الاستعارة ، شريطة حسن توظيفه بغية اتساع الدلالة

[1] حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة).ص127.

[2] البشير عزوزي : حجاجية الاستعارة في الشعر العربي – ديوان المتنبي أنموذجا – رسالة ماجيستر سنة 2013م.مقدمة الرسالة ص،أ.

[3] عبد القادر حسين : أثر النحاة في البحث البلاغي ،الناشر :مطبعة نهظة مصر ، القاهرة .سنة1975م.ص155.

والوصول بها إلى مكامن قلب المتلقي إقناعا فقال: « هي أمدّ ميدانا، وأشدّ افتنانا، وأكثر جريانا، وأعجب حسنا وإحسانا، وأوسع سعة وأبعد غورا، وأذهب نجدا في الصّناعة وغورا، من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها، نعم، وأسحر سحرا، وأملأ بكل ما يملأ صدرا، ويمتع عقلا، ويؤنس نفسا، ويوفر أنسا، وأهدى إلى أن تهدي إليك أبدا عذارى قد تخيّر لها الجمال، وعني بها الكمال وأن تخرج لك من بحرها جواهر إن باهتها الجواهر مدّت في الشرف والفضيلة باعا لا يقصر، وأبدت من الأوصاف الجليلة محاسن لا تنكر»[1]، وأعطى الجرجاني بيتا شعريا وظف فيه مصطلح الاستعارة مبينا فيه ميزة البعد الدلالي والجمالي الذي يتحقق من ورائها فقال:

«مثاله قول لبيد: [من الكامل]

وغدَاةَ ريحٍ قد كَشَفْتُ، وقِرَّةٍ... إذ أصبحَتْ بيَدِ الشَّمالِ زِمَامُها[2]

وذلك أنه جعل للشمال يدا... وليس لك شيء من ذلك في بيت لبيد، بل ليس أكثر من أن تخيّل إلى نفسك أن «الشّمال» في تصريف «الغداة» على حكم طبيعتها، كالمدبّر المصرّف لما زمامه بيده، ومقادته في كفّه، وذلك كلّه لا يتعدّى التخيّل والوهم والتقدير في النفس، من غير أن يكون هناك شيء يحسّ، وذات تتحصّل... وإنما غايتك التي لا مطّلع وراءها أن تقول: «أراد أن يثبت للشمال في الغداة تصرّفا كتصرّف الإنسان في الشيء يقلّبه، فاستعار لها «اليد» حتى يبالغ في تحقيق الشبه»[3]

وتنوه الدراسات الأجنبية إلى عمق دلالة المصطلح وكيفية تحقيقها من خلال قضية التناسب مع توظيفا وغاية حيث « إن أثر الاستعارة يحدث من خلال ضم المألوف إلى ما هو غير مألوف ، فهي تضيف السحر والاختلاف إلى جانب الوضوح .إن الوضوح يأتي من الكلمات اليومية المعتادة ومن الأسلوب الحقيقي أو المنتظم للعبارات التي يستخدمها كل فرد في حواره...

---

[1] الجرجاني (ت: 471 هـــ) : أسرار البلاغة فى علم البيان،تح: عبد الحميد هنداوي،ص39.

[2] ديوان لبيد بن ربيعة العامري :تح : إحسان عباس ،الناشر :التراث العربي ، الكويت ، سنة1962م،السلسلة 8.ص315

[3] المصدر نفسه.ص41.

فالاستعارات لابد أن تكون مناسبة "fitting" أعني التطابق مع الموضوع أو الغاية ، فالاستعارات لايجب أن تكون غريبة أو بعيدة الإتيان ، ولابد أن تستخدم الكلمات الجميلة في ذاتها »[1] نجد هذه الرؤية متجسدة في التراث العربي القديم عند الجرجاني مركزا على التناسب بين الخطاب البلاغي والغاية منه مع التركيز على عنصر الجمال في العبارة واللفظ ممثلا لها بأبيات الشاعر :

ولَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجةٍ ... ومَسَّح بالأركان مَنْ هو ماسحُ

وشُدَّت على دُهْم المهَارَى رِحَالُنا ... ولم يَنْظُر الغادي الَّذِي هو رائحُ

أخذْنا بأطراف الأحاديث بَيْنَنا ... وسَالَتْ بأعناق المطيِّ الأباطحُ [2]

ثم يعلق الجرجاني على هاته الأبيات مركزا على عنصر بلوغ الغاية وحسن التناغم والتناسب قائلا:« ثم راجع فكرتك، واشحذ بصيرتك، وأحسن التأمّل، ودع عنك التجوّز في الرأي، ثم انظر هل تجد لاستحسانهم وحمدهم وثنائهم ومدحهم منصرفا، إلّا إلى استعارة وقعت موقعها، وأصابت غرضها، أو حسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع، واستقرّ في الفهم مع وقوع العبارة في الأذن »[3]

يمكن القول وفق ما سبق طرحه أن دعوات تلقي المصلح البلاغي وتوظيفه ، أرادها المعاصرون أن تكون مصطلحات بلاغية ذو فاعلية تأثيرية وإقناعية ، ضمن مستوى التسمية والدلالة والتوظيف ، حتى تستطيع البلاغة إعادة تفسير الظواهر الخطابية المعاصرة النثرية والشعرية متجاوزة في نفس الوقت ما كانت عليه من مصطلحات جاهزة ذو أبعاد تعليمية محضة .

---

[1] ترينس هوكس: الاستعارة ، تر :عمرو زكريا عبدالله، مراجعة : محمد بريري ،الناشر : المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1، سنة 2016 ،ص20.

[2] ديوان كثير عزة : جمعه وشرحه إحسان عباس ، الناشر : دار الثقافة بيروت لبنان ،سنة 1391هـ.1981م ،ص525.

[3] الجرجاني ر (ت: 471 هـ) : أسرار البلاغة فى علم البيان،تح: عبد الحميد هنداوي،ص 26.

المبحث الثالث :المصطلح البلاغي ومظاهر التلقي في الدراسات المغاربية المعاصرة

اختلفت مظاهر التلقي وتعددت صورها في الدراسات المغاربية عند القدامى والمعاصرين على حد سواء، و لم تعرف البلاغة العربية بهذا المصطلح إلا عند المتأخرين ،حيث إن « المتتبع للكتابات البلاغية في المغرب يجد حقا ،أن التسمية التي كانت شائعة بين أوساط المهتمين هي اسم" علم البيان " ذلك أن الكتب والمقالات التي وصلتنا للمؤلفين المغاربة تجعلنا نميل إلى هذا الحكم ، فالسجلماسي في" المترع البديع" يستعمل ثلاث تسميات ، وهي "علم البيان "، و"صنعة البلاغة" و"البديع" ،وأما ابن البناء في كتابه" الروض المريع في صناعة البديع"، فيتحدث عن"البلاغة" وعن" صناعة البديع" وعن"علم البيان" الذي منه صناعة البديع» [1]

يعلل محمد مفتاح عدم تلقي المغاربة البحث البلاغي بمصطلح البديع كمفهوم لعلم البلاغة كله ، لصعوبة مباحث علم البلاغة وعلم البيان بشهادة ابن خلدون التي ربما فيها نوع من الغموض في التحديد الجغرافي للمكان ، وتعميم للأحكام من خلال ما وصله من مؤلفات بلاغية مغاربية باسم مصطلح البديع ، يقول محمد مفتاح في هذا الصدد: « يقدم ابن خلدون شهادة على أن أهل المغرب اختصوا من أصناف "علم البيان"بـــ "البديع " وصعب عليهم مأخذ "البلاغة" و"البيان" ولربما كان مستند ابن خلدون في هذا الحكم هو ما وجده في مؤلفات سابقيه ومعاصريه من أهل المغرب (المغاربيين والأندلسيين والمصريين والشاميين) ككتاب العمدة لابن رشيق الذي جرى عليه كثير من أهل إفريقية والأندلس ، والمترع البديع في تجنيس أساليب البديع ، والروض المريع في صناعة البديع والإضاءات والإنارات في البديع ، وإحكام التأسيس في أحكام التجنيس ، وبديع القرآن ، وتحرير التحبير، والوافي في نظم القوافي ، وغيرها » [2]

يجيب محمد مفتاح على هذا الإشكال الذي أورده ابن خلدون قائلا: « إن قول ابن خلدون صحيح في مجمله لا في تفاصيله ، فمن حيث الإجمال إن الكتب المؤلفة في " فن البيان" قبل

[1] محمد مفتاح : التلقي والتأويل مقاربة نسقية ، الناشر: المركز الثقافي العربي.بيروت ،ط1 ، سنة 1994م، ص14.

[2] المرجع نفسه: ص15

ابن خلدون وأثناء حياته يحتل فيها إسم" البديع " وألقابه وأبوابه وأنواعه مكانة مرموقة ، وأما من حيث التفصيل لا.إن النماذج التي التي سنحللها تثبت أن البيانيين المغاربة لهم باع طويل في فن البيان وقوامة عليه» [1]

على ضوء ما سبق سنحاول تتبع بعض المسارات والمحطات التي سهامت في تشكيل المصطلح البلاغي وتلقيه ، كما يراها الباحث التونسي حمادي صمود خلال قراءاته النقدية التاريخية برؤية معاصرة للبلاغة العربية.

1- مظاهر تلقي المصطلح البلاغي في الدراسات المغاربية المعاصرة : قراءة حمادي صمود النقدية:

يرى حمادي صمود أن المؤلفات المعاصرة في مجال البحث البلاغي رغم ما وصلت إليه من طفرة نوعية ، إلا أنها تبقى قاصرة لأن تعيد للبلاغة العربية مكانتها الأولى ، أو تقحمها ضمن العلوم الأدبية المعاصرة لضعف الإقناع والتأثير ، حيث تدعو الضرورة لإعادة النظر فيما تعانيه البلاغة المعاصرة من أزمة مصطلحية تراكمت طيلة قرون طويلة ،حيث يقول صمود «إن هذه المؤلفات ، على كثرتها وتنوعها ، لم تتوصل ، في رأينا ، إلى إقحام البلاغة في حقل العلوم الأدبية و لم تستطع أن تقنع بفاعليتها في ممارسة الأدب ونقده فتعود إليها مكانتها السالفة باعتبارها نظرية في فن القول تولدت عن ممارسة النص من جهة بنيته اللغوية .لذلك تعالت أصوات تدعو إلى تحديد النظرة إلى قضايا البلاغة في إطار تحديد النظرة إلى الأدب» [2]

يعلل صمود قصور البلاغة اليوم وضعفها لمواكبة العلوم المعاصرة فيقول«هذا القصور يعود من وجهة نظرنا ، إلى غياب جدلية التراث والحداثة في هذه المؤلفات وتصديها لدراسة التفكير

[1] محمد مفتاح : التلقي والتأويل مقاربة نسقية. ص16

[2] حمادي صمود :التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة– الناشر : كلية الآداب منوبة ، تونس ط02.سنة 1994م.ص10

البلاغي في الغالب... » [1] ولعل هذا راجع للإهمال وعدم العناية بالمصطلح في المجامع العربية يقول أحمد مطلوب « و لم تكن العناية بمصطلحات اللسانيات والنقد والبلاغة كبيرة في المجامع العربية ، لأنها اتجهت منذ قيامها إلى متابعة التقدم العلمي في الغرب ووضع المصطلحات العلمية»[2]

1.1- مرحلة الانتساب للبلاغة العربية بظهور المصطلح.قراءة حمادي صمود

أ_ الشعر وأثره في تشكيل المصطلح البلاغي:

لقد عرف العرب قديما الشعر وتفننوا في تأليف قصائدهم ، ولا تتأتى هذاته الصنعة إلا من رزق الموهبة وتعلم الصنعة الشعرية ، حيث « إن للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا تعرفه بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره» [3]، فهاته الطفرة النوعية من الشعر القديم كانت لها قراءات نقدية معاصرة وقفت على مجمل القضايا المتعلقة بالجانب البلاغي فيها ، ومن أهم هذه الدراسات قراءة الباحث البلاغي المغاربي التونسي حمادي صمود ووقوفه على زويا التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره.

افتتح صمود كتابه التفكير البلاغي عند العرب بقراءة نقدية للبلاغة ما قبل الجاحظ معتبرا أن هذه المرحلة أشد غموضا واستعصاءا ، لأنها تمثل البوادر الأولى لنشأة علم البلاغة العربية بمفهومه العام دونما إشارة إلى الضبط المصطلحي العلمي لها[4].

---

[1] حمادي صمود :التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة-:.ص11

[2] أحمد مطلوب ، في المصطلح النقدي ، المجمع العلمي بغداد 2002م ص.14/13

[3] محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى: 232هـــ): طبقات فحول الشعراء،تح: محمود محمد شاكر،الناشر: دار المدني – جدة، ج1، ص5.

[4] ينظر حمادي صمود :التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة: .ص19

يفضل صمود أن بداية القراءة المتفحصة ،والنقدية المعتدلة هي الوقوف على العوامل الثقافية والتاريخية والحضارية التي حملت الناس في هذا العصر إلى هذا النوع من التفكير البلاغي المعياري ، حيث مثل الشعر هذه المرحلة الأولى في نشأة البلاغة العربية .

قسم صمود نشأة الشعر إلى ثلاثة أقسام* ،وإن كانت منتمية إلى فترة زمنية واحدة، لأن ملامح ظهور بوادر المصطلح البلاغي في الخطاب الشعري لم تكن بادية حتى القسم الثالث من هذه الأشعار فيقول صمود في قرائته النقدية لهاته المرحلة الأولى[1]:« أما القسم الثالث من هذه الروايات فهو أكثرها صراحة في الانتساب إلى المباحث البلاغية وأعمقها دلالة على إدراكهم لخصائص الشعر التي تقوم أساسا على القدرة على صياغة الصورة الفنية و ان كان ذلك لم يتجاوز في –علمنا التشبيه –،وهو أقرب درجات التصوير الفني و أكثرها انتشارها في الشعر العربي ، الا أن ذلك لا يمنعنا من التأكيد على أهمية التفطن لهذا الأمر خاصة في تلك الفترة المبكرة» [2] ثم ساقى شواهد شعرية بين من خلالها أن شعراء العرب تجاوزوا مجرد الصياغة الانفعالية إلى براعتهم في ربط تلك الصياغة بتشكيل الصورة الفنية (المصطلح البلاغي) [3]ولكن دون تحليل أو تعليل فقال: «فبين

---

* قسم صمود مرحلة نشأة الشعر إلى ثلاثة أقسام :

1- قسم من الشعر يقوم على نطاق المفاضلة بين شاعر وآخر ، ومن ذلك نصب النابغة الذبياني لخيمته للتحكيم والمفاضلة بين الشعراء.

2- قسم من الشعر قائم على الصياغة الفنية وتنقيح الشعر حتى تصبح له ميزته ، وهي مرحلة رفض الموهبة الشعرية واستبدالها بالدربة والتمكن من آليات القول بالشعر،ويمثل هاته المرحلة زهير بن أبي سلمة .

3- قسم من الشعر أكثر انتماءا وانتسابا للمباحث البلاغية ، وأوضح مصطلح مثل هاته المرحلة هو التشبيه، ويدل ذلك دلالة واضحة على بداية تفطن الشاعر العربي على التصوير الفني، وهو قسم يرى صمود أن العرب تجاوزت فيه مرحلة التذوق إلى ربط البراعة في قول الشعر بالبراعة في حسن الصياغة والتصوير الفني .ينظر حمادي صمود : التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره الصفحات 25 إلى 29

[1] ينظر حمادي صمود :التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة:ص21 وما بعدها29.

[2] حمادي صمود :التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة- الناشر : كلية الآداب منوبة ، تونس ط02.سنة 1994م.ص29

[3] قد أشرت في الفصل الأول إلى قضية تفطن بعض الشعراء لمصطلح التشبيه في صناعة الشعر وبعض الشواهد الشعرية التي عملت على توظيفه : « إذا رجعنا للإرهاصات الأولى للمصطلح البلاغي في حقل اللغويين وما اهتموا به في هذا المجال ، لم نجد إلا مصطلح التشبيه ،حيث كان أكثر أنواع المصطلحات البلاغية جذبا...» .

من هذه الروايات أن العرب تجاوزت مجرد التذوق والانفعال إلى ربط البراعة في نظم الشعر بالبراعة في صياغة الصورة الفنية ، ولكن بدون أن يتجول ذلك إلى دراسة منظمة وتحليل وتعليل لهذه الصور والأساليب » [1].

اكتسى الشعر العربي بمظاهر عدة في صورة شعرية تجلت خلالها مصطلحات التشبيه بمختلف صوره البلاغية ، ذلك « أنّ الصورة الشعرية هي المادة التي تتركب اللغة بدلالتها اللغوية الموسيقية و من الخيال الّذي يجمع بين عناصر التشبيه و الاستعارة و الكناية والطباق وحسن التعليل » [2]

يرى صمود أن التفكير البلاغي العربي استفاد نوعا ما إلى غاية القرن السادس هجري في تشكيل بعض المصطلحات البلاغية ، كمصطلح الفصاحة في المستوى الأول على طريقة منهج القدماء ومصطلح التشبيه في المستوى الثاني على اعتبار أن التصوير الشعري يقوم عليه وبه يعرف ، مركزا في ذات الوقت عليهما بأنهما من أساسيات قول الشعر وذلك من خلال هذين المستويين يقول صمود« المستوى الأول في ضرورة النسج على منهج القدماء انطلاقا من تحديدهم للفصاحة والتفوق...أما المستوى الثاني الذي يبرز فيه تأثيرهم العميق في الذوق العربي فيتمثل في الأهمية البالغة التي حظي بها التشبيه كقسم من أقسام الصورة الفنية في تاريخ البلاغة والنقد » [3].

إن رونق القصيدة العربية ومكمن جمالها عند الشاعر يتركز أساسا على توظيفه لمصطلح التشبيه ،إذبه يصل الشاعر إلى كنه مقصوده ويجد متنفسا يتجاوز به المألوف إلى غير المألوف حتى كأنه الحقيقة نفسها «إذ كلما ازداد التشبيه وضوحا كان أجود وأحسن ، وكلما كان أقرب كان أسرع إل الفهم مثل :تشبيه الشاعر الأصابع بالأغصان ، والعناب بأطراف مخضوبة بعكس ما

[1] حمادي صمود :التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة– الناشر : كلية الآداب منوبة ، تونس ط02.سنة 1994م.ص29.

[2] أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي ، الناشر:النهضة الصرية القاهرة، ط 2 ،1973 م ، ، ص248 :

[3] ينظر حمادي صمود :التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة–: ص32.31.

لو كان شبه أصابع الراحة بالأشجار وأصابع راحته ببستان ... وهذه العملية تربط بين الظواهر والكائنات والأشياء» [1]

إن مصطلح التشبيه هو وليد الشعر وعليه أساسه ومرتكزه فالصورة الشعرية الحاملة لمصطلحات التشبيه بأنواعه ومختلف تشكلاته كالاستعارة مثلا «يكون الانتقال فيها من الواضح إل الأوضح فيصبح المشبّه به أكثر تمكنا في الصفة المقصودة من المشّبه و المستعار منه أبين من المستعار له ، و الصورة الحسّية التي نواجهها في ظاهرالكناية أو التمثيل أكثر دلالة على المقصود من معناها الأصلي المجرّد وإذا لم يحدث ذلك فقدت الصورة قيمتها و كانت الحقيقة أول و أنفع منها» [2]

إن الألفاظ والعبارات وضعت للدلالة على الموجودات الذهنية وكيفية تصويرها وأول طريق إلى ذلك هو التشبيه ، ولذا كان لزاما على الشاعر توظيف هذا المصطلح لتجسيد المعنوي في صورة الحقيقي ، والحقيقي في صورة المتخيل الذهني ، فالموجودات الحقيقية في الخارج لا تكلف الشاعر عناء في تصوريها ، بل تشبيهها بالموجود المتخيل في الذهن عن طريق الاستعارة يزيد الشعر جمالا بلاغيا والشاهد أننا « إذا رأينا جسما من بعيد وظنناه صخرة ، سّميناه بهذا الاسم ، فإذا دنونا منه وعرفنا أنّه حيوان ، لكنّا ظنناه طيرا سميناه به ، فإذا ازداد القرب وعرفنا أنّه إنسان سميناه به فالاختلاف الأساسي عند اختلاف الصور الذهنية ،يدّل على أنّ اللّفظ لا دلالة له إلاّ عليها» [3] وعلى هذا الأساس يكمن دور الشاعر ، فهو صانع القصيدة ولابد للصانع من التميز عن غيره في صنعته ،فالتمكن من خلق المصطلح البلاغي وتوظيفيه في القصيدة ذلك هو ميزته ، والتشبيه من المصطلحات الأولى التي اعتمدها العرب قديما في تفاضلهم وتحكيمهم بين الشعراء فأيهم أقدر عليه فهو الشاعر« البليغ يلتقط المعنى المعروف ويشكّله تشكيلا يرفعه من المرتبة العادية إلى مرتبة لا يصل إلى تحقيقيها إلاّ الخاصة ، حال الشاعر في ذلك حال النّجار والصانع ، فهم جيعا يتشابهون

[1] محمد مفتاح : التلقي والتأويل مقاربة نسقية.ص 38.37.

[2] ينظر :جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ،ص332

[3] جابر عصفور ،الصورة الفنية ف التراث النقدي والبلاغي عند العرب ،ص320 :

في أسلوب العمل وإن اختلفوا في مادة الصياغة ذلك أنّ أمامهم مادة خاما هي الخشب أو المعدن أو المعاني ، ووظيفتهم إخراج هذه المادة الخام في أشكال متعددة مدهشة ، عن طريق إبداعهم ف الصنعة وإغراقهم في الصياغة ودقّتهم في العمل. » [1]

نجد الأمر نفسه نجده عند الباحث حمادي صمود حيث دعا إلى تجسيد المتخيل الذهني حتى يتم الاقناع والفهم عند المتلقي لأن «المعاني هي الصورة الشعرية الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان ،فكل شيء له وجود خارج الذّهن فإنّه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنيّة الحاصلة عن الإدراك أقام اللّفظ المعبّر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين ،وأذهانهم.» [2]

يؤكد صمود من خلال دراسته العميقة واطلاعه على مختلف المصادر أن مصطلح التشبيه كان من الوجوه البلاغية الأولى التي وقع عليها الضبط والتحديد في النشأة الأولى للبلاغة العربية ،إذ أنه من الطبيعي خلال هاته الفترة الطويلة أن تكون بوادر ظهور المصطلح البلاغي والانتماء للبلاغة العربية وذلك بمرورها على مراحل تكون لها مصطلحاتها ،إذ المصطلحات هي أساس تميز العلم عن غيره من العلوم لأن « الاصطلاح وليد الإدراك وبناء التصورات ... ففي البدء تدرك الظواهر والمفاهيم التي يقدمها الواقع ، ثم تنشأ لها تصورات في الذهن ، قد تصاغ لغويا في شكل تعريف ، ثم تطلق عليها تسمية ، وتتحول التسمية عبر الشيوع والاتفاق إلى مصطلح .ومن ثم ، فإن من الطبيعي أن يأتي فعل الاصطلاح عقب فعل الإدراك وبناء المفهوم . وهذا بالضبط ما عاينته البلاغة العربية في معظمها، ففي البدء كانت الظاهرة ، ثم المفهوم ، ثم المصطلح.» [3]

---

[1] داحو آسية :الايقاع المعنوي في الصورة الشعرية ، محمود درويش أنموذجا ، رسالة ماجيستر ، إشراف :العربي عميش .ص25

[2] حمادي صمود:في نظرية الأدب عند العرب ،النادي الأدبي بجدة.ص33.

[3] عماد عبد اللطيف : أزمة المصطلح البلاغي مظاهر وأسباب ومقترحات ، مجلة : البلاغة وتحليل الخطاب ، الناشر:مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ع 9، سنة 2016.ص118.

ب – نزول القرآن الكريم وأثره في تشكيل المصطلح البلاغي:

لقد أعطى نزول القرآن الكريم على الأمة العربية تحولا و بعدا حضاريا واجتماعيا وثقافيا لم تعهده البشرية من قبل ، حيث حول وجتهها في جميع المستويات ، خاصة عندما تحداهم في فصاحتهم وبلاغتهم التي كانوا عليها ، فصارت كل عقولهم منكبة عليه حائرة أمامه عاجزة على الإتيان بمثله ، فصارت أهم قضية عندهم قضية الإعجاز التي اتصلت بتفكيرهم البلاغي حيث «كان نزول القرآن الكريم أهم حدث شهدته اللغة العربية في تاريخها ، وقد استرعى اهتمام المؤمنين بالدعوة الإسلامية ، والمنكرين لها ، فكان طرازا فريدا من نوعه ، في التشريع ، و الإخبار عن الغيوب ، و الترغيب و الترهيب ، وكانت بلاغته وطريقة نظمه تدخل سامعه في حيرة من أمره ، بين الشعر و السحر ، وما هو إلا قرآن مبين» [1]

إن القرآن الكريم بسحر بلاغته أعطى تحولا جديدا في الفكر البلاغي العربي، تولد عن ذلك تساؤلات كثيرة عن هذا البيان الرهيب العجيب و « لكن أهم سؤال هو السؤال البياني ، والأجوبة التي تحصل عليها العرب تمكننا من الكشف عن المعيار الذي احتكموا إليه في تبيان علو القرآن الكريم وتفوقه على ما ألفه العرب من شعر ، وخطب ،وسجع كهان ، وهذا المعيار الذي نتكلم عنه هو أول خطوة في الوعي بالبلاغة باعتبارها معرفة فاحصة وعلما وصفيا من شأنه التأطير النظري للملفوظ تخييلا وتداولا» [2]

يرى صمود أن قضية الإعجاز القرآني أفادت البلاغة العربية كثيرا ، ويتبلور من خلال ذلك ظهور مصطلحات بلاغية،كمصطلح النظم الذي سيؤول إلى نظرية بلاغية معاصرة بأكملها في البلاغة العربية وهي " نظرية النظم" في بيئة المتكلمين عامة والمعتزلة خاصة «وقد عرف هذا

[1] بوعافية محمد عبد الرزاق :البلاغة العربية والبلاغات الجديدة –قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة– الناشر:مؤسسة حسين رأس الجبل .قسنطينة.سنة2018.ص172

[2] المصدر نفسه: ص36

المصطلح – أولا – في مباحث الاعجاز القرآني ويكاد يكون الجاحظ أول من أدخل اللفظة حيز الاصطلاح في كتابه الذي لم يصلنا نظم القرآن ، ثم لاقى هذا المصطلح اهتماما متزايدا ، » [1]

لقد أثر القرآن الكريم في اللغة العربية تأثيرا عجيبا ، شمل هذا التأثير كل البيئات العربية على مستوى تعدد واختلاف لغاتها ، فكان البعد البلاغي واضحا بينا في ذلك لأن « القرآن تنزلَ من العرب منزلة الفطرة اللغوية التي يساهم فيها كل عربي بمقدار ما تهيأ له من أسبابها الطبيعية، إذ كان بما احتواه من الأساليب، وما تناوله من أصول الكمال اللغوي، وما دار عليه من وجوه الوضع البياني – قد هَتَك الحوائل ومحا الفرق التي تبين قرائح العرب اللغوية بعضها من بعض، فاجتمعت منه على الكمال الذي كانت تتخيله ولا تألو عما يدنيها إليه معالجة واكتساباً» [2]

إن أهم ما وقف عليه صمود رأي النظام الذي أعطى البحث البلاغي دفعا قويا كانت نتيجته استخلاص نظرية النظم على يد مجموعة من اللغويين والبلاغيين في عصره وبعده« ولا يسعنا – هنا – أن نقف عند كل ما قيل بشأنه ، ونقتصر على ماقاله ثلاثة نقاد ، وهم: القاضي عبد الجبار المعتزلي و عبد القاهر الجرجاني و حازم القرطاجني فالقاضي عبد الجبار يعزى له فضل كبير في التنظير لهذا المفهوم » [3]،وذلك أن النظام المعتزلي يقول بالصرفة حيث إن الله تعالى في كتابه الكريم صرف البشرية على أن يأتوا بمثله [4] يقول صمود في هذا« وليس من المبالغة في شيء أن نقول إن الدراسات التي تحركت من هذا المنطلق العقائدي ستثمر عن أهم نظرية – بإجماع الباحثين –في تراثنا البلاغي : نظرية النظم » [5]

[1] سامي محمد عبابنة : التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي و البلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث.ص91.

[2] مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: 1356هـ): إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت،ص60

[3] مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: 1356هـ): إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،ص.91

[4] ينظرحمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة–ص 37.

[5] المصدر نفسه ،ص.38.

إن وقوف القدامى أمام قضية الإعجاز أعطت دفعا قويا خاصة تأويل المعتزلة وما نشأ فيه من جدل في بعض ما تعلق بخصائص القرآن الكريم ، اللغوية و البلاغية و التركيبية التي سيكون لها عظيم الفائدة في التأليف البلاغي و إعادة النظر في منهجية هذا التأليف [1]

« ومن الأمور التي تستحق الذكر في نطاق هذا الاستعراض السريع لآراء النظام –حسب ما تشير إليه بعض الدراسات– أنه أول من فصل في سياق مناقشة قضية الإعجاز ، شكل القرآن عن مضمونه فأصبح مصطلح الإعجاز ، منذ وقت مبكر ، يطلق على جملة الخصائص البيانية و البلاغية و اللغوية العامة الماثلة في هذا النص » [2]

ساهم نزول القرآن الكريم في المستوى الثاني إلى تشكل مصطلحين هامين من مصطلحات البلاغة العربية ، إذ يرى صمود في قرائته المعاصرة للتراث ، أن مصطلح الحقيقة و المجاز ، كان حتمية ضرورية للتفسير حيث «اعترضت المفسرين مشكلة المجاز القرآني ، و اجتهدوا في تأويلها بدون أن تطرح القضية كمبحث لغوي أصلي ، كما أنها لم تكتسب الأبعاد العقائدية التي ستلتصق بها فيما بعد ، وبذلك وجد المعتزلة من شق أمامهم الطريق وقام بالنسبة إليهم مقام الحجة النقلية التي تشبثوا بها لإثبات ضرورة القول بالمجاز » [3]

استعمل هذا المصطلح بالمفهوم العام لا الذي يقابل الحقيقة ، بل يرى صمود أن « فهم المجاز على هذا النحو كان سائدا في الدراسات اللغوية الأولى التي انطلقت من القرآن إلى أواخر القرن الثاني ومطلع الثالث » [4]

إن إشكالية تحديد ماهية المصطلح إبان نزول القرآن و تفسيره هو رؤية المعتزلة للغة بمستويين مترابطين يمكن تجاوز إحداهما إلى الأخرى حسب ما تقتضيه الضرورة وعلى هذا قال المعتزلة بالمجاز و حملوا عليه كل الآيات التي يتنافى ظاهرها مع قولهم في صفات الله و تنزيهه » [5]

---

[1] ينظر حمادى صمود ، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة ، ص38

[2] مقال دائرة المعارف ، ص1044 ، نقلا عن حمادى صمود ، التفكير البلاغي ص38.

[3] حمادى صمود : حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة، ص39

[4] المصدر نفسه ص40

[5] المصدر نفسه ص42

ينكر صمود هذه الرؤية الاعتزالية لمصطلح المجاز ، ويرجع ذلك إلى أن المعتزلة حكموا القرآن لما كان عليه الأوائل قبل نزوله من ممارسات عربية للغة ، وقالوا أن هذا من خصائص اللغة العربية وهو حجة لاستعمال مصطلح المجاز حتى في الخطاب القرآني ، غير أن جمهور أهل السنة طوروا هذا

المبحث ووقفوا على مصطلح المجاز بين مجيز ومنكر ، ويفرق فيه بين المعتزلة و السنة ، ضوابطه وحدود التأويل [1]

إن الذي يهمنا في الأمر أن هذا أعطى حافزا قويا للإشتغال على تحديد مفهوم المصطلح وانتسابه لمباحث البلاغة العربية ، وهناك من المزايا التي تميز بها التفكير البلاغي في فترة نزول القرآن الكريم أوردها حمادى صمود نوجزها فيما يلي:

ـ ارتباط البلاغة العربية بفهم الخطاب القرآني ارتباطا وثيقا، و جعلها في مقدمة العلوم الإنسانية واعتبارها من علوم الآلة .

ـ التركيز على البيان وهو مبحث هام من مباحث البلاغة العربية بمفهومه اللغوي أو الإصطلاحي لأجل الإفهام ، وذلك للوصول إلى المقاصد السليمة المتوخاة من الخطاب القرآني السماوي ، وهنا يرى صمود أن هذه النظرة لمصطلحات البيان أفقدت المتلقي من أن يلتمس العوامل الحجاجية والتأثيرية من الخطاب القرآني ، إذ كان قصدهم إيصال المعنى في ضرب من الحسن و الجمال اللفظي ، لأنهم نظروا إلى النص من جانب واحد وهو المتلقي لكون أن المرسل هو الله تعالى [2]

يرى صمود ضعف البعد الحجاجي و التأثيري في التراث العربي إلا ما ندر ، رغم أن الخطاب القرآني هو حجاجي بالدرجة الأولى وهذا ما أثبتته الدراسات البلاغية المعاصرة وفي الأخير يرى صمود أن القرآن الكريم لعب دورا هاما في « انطلاق الدراسات البلاغية، وكانت الأبحاث التي أقيمت حوله خميرة صالحة لبروز مثل هذا التفكير

---

[1] حمادى صمود : حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة ص42،43 وينظر جابر عصفور : الصورة الفنية ،ص160 للمقارنة.

[2] المصدر نفسه ص44 ،45 .

لعل هذه المرحلة ، كما سبق أن أشرنا ستدفع به في مسالك يلتزمها في كل مراحله » [1]

ج- وضع قواعد اللغة وأثره في تشكيل المصطلح البلاغي :

لقد أثر العامل الحضاري بشكل مباشر في ضعف اللسان العربي وفقده لتلك الروح العربية الأصيلة التي كانت تتماشى و الفطرة البدوية التي جعلت أصل لغتها الشعر و نزول القرآن الكريم . أدى هذا التمدن و التنوع الحضاري إلى ظهور فئات و جماعات، جعلت نصيبا من بعض التوجهات الفكرية و المذهبية قائما على اللغة و البيان العربي ،هذا الأمر كان داعيا لظهور جماعة المؤدبين والمعلمين.

يخلص حمادى صمود إلى أن هذه الفئة كان لها بعض الأثر، ولكن غير بالغ الأهمية في تشكيل المصطلح البلاغي خاصة والبحث البلاغي المعاصر عامة ،يرجع ضعف هذا التأثير على حد قول صمود إلى مكانة المعلم العلمية و قيمة الملاحظات التعليمية التي يصدرها يقول صمود : «ولا شك أن قيمة تلك الملاحظات مرتبطة بأهمية المؤدب و مكانته في العلم ، إذ كانوا طبقات عد الجاحظ فيهم الأعلام ، كالكسائي وقطرب والكميت بن يزيد وعبد الحميد الكاتب وخاصة ابن المقفع وقد عرف عنه اشتغاله بهذة الصناعة ، فلقد ذكر الجاحظ أن إسماعيل بن علي عم السفاح والمنصور ألزمه بعض بنيه ، ولابن المقفع هذا في موضوع البلاغة مشاركات هامة» [2]

قسم حمادى صمود فئة المؤدبين و المعلمين إلى ثلاثة طبقات، هذا التقسيم يقوم أساسا على الأصل الذي تنتمي إليه كل طبقة ،و المواد التعليمية من حيث الغاية منها ، واتمامها بمجمل مظاهر وأساسيات اللغة ، فكانت الطوائف كالتالي :[3]

1/طائفة المعلمين القائمة على تعليم أولاد خلفاء الدولة الأموية اشتغلت على تلقينهم الشعر العربي الأصيل، القائم على الفصاحة فاشتغلوا على بيان ما يتركب و يتكون منه فصاحة الكلام ،من خلال الشعر في القديم، فبينوا لهم آليات ومقومات مصطلح الفصاحة وجودة الشعر وتقريبه للذوق

[1] حمادى صمود : حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة ص46 .

[2] حمادى صمود : حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة ص55 وينظر الجاحظ في البيان و التبين للمقارنة .

[3] ينظر: حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءةص55.

بيان مجمل خصائص فصاحة الشعراء في شعرهم وبلاغتهم، غير أنه كما أشرنا سابقا أن الأثر البلاغي لهاته الطائفة ضعيف نوعا ما حيث كان ملاحظات هؤلاء المؤدبين غير مستندة إلى أصول صياغة الشعر ولا إلى خصائص اللغة و ما يترتب عنه من أصول بلاغية تحدد مفهوم الفصاحة كمصطلح بلاغي يقوم عليه الشعر [1]

2/ طائفة المؤدبين المتأثرة ببيئة المتكلمين و الفكر الإعتزالي: عملت هذه الطائفة على تعليم أصول البلاغة العربية من منطلق التسلح للمظاهرات الكلامية لأجل خدمة العقيدة، وقد أطنب الجاحظ في سرد بعض هاته الحلقات التي قامت على هذا الأساس حيث تشكل الوعي الكامل بمفهوم مصطلح البلاغة في بيان أهدافه و مراميه [2] .

صرح صمود في بيان المزايا البلاغية للمعتزلة و دورهم في تعليم الناشئة لفن الخطابة، وجعل صحيفة بشر بن المعتمر (ت210 هـ) أساسها وأن الغاية منها هي البعد التعليمي، فعلم الخطابة يقوم أساسا على البلاغة العربية لأجل التأثير والحجاج و بذا نلمس بوادر ظهور مصطلحات بلاغية أساسها الإقناع يقول صمود «و يمكن أن نعتبرها من وجوه عديدة ،بيانا يحدد فيه قوانين تعليم الخطابة ويمزج بين قضاياه و قضايا النقد الأدبي ، و يؤكد فيه على الناحية النفعية من كل خطاب و ضرورة احترام تطابق اللفظ و المعنى حتى تحقق الإفهام» [3]

3/ طائفة المؤدبين القائمة على تأديب الكتاب المنتمين لمؤسسات الدولة بديوان الرسائل والكتابة[4]

[1] ينظر إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب . ص45)59 للمقارنة.

[2] حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءةص56 و ينظر جابر عصفور : الصورة الفنية ص122.

[3] حمادى صمود : التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءةص57.

[4] ينظر حمادى صمود : التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة. ص57.

قد أشار الجاحظ مبينا مترلتهم و مكانتهم العلمية و الأخلاقية و البلاغية خاصة قائلا : «أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب ، فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا » [1]

الذي يهمنا في بلاغة هذه الطائفة بعض ملامح تشكيل المصطلح البلاغي، والتي وقف عليها حمادى صمود، حيث يورد قولا لابن خلدون يتبين من خلاله وقوفهم على الألفاظ والعبارات المفهمة وهذا يدل على أنهم تمكنوا من خصائص البلاغة التي في مجملها تدعو إلى الإيجاز وهو مصطلح بلاغي يقابله الإطناب يقول حمادى صمود « ولعل رسالة عبد الحميد الكاتب المشهورة التي تناقلها الناس إلى عهد بن خلدون هي البادرة الأولى في هذا المجال » [2] ثم يورد في الهامش نقلا عن ابن خلدون ما ورد في هذه الرسالة التي وقفنا من خلالها على مصطلحي الإيجاز و الدعوة إلى تحقيقه في القول البلاغي يقول فيه : « فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه و ليوجز في ابتدائه و جوابه وليأخذ بمجامع حججه » [3] .

يخلص حمادى صمود إلى أن هذه الطائفة أعانت كثيرا على تحديد خصائص عديدة لبعض المصطلحات البلاغية من خلال طريقتين اثنتين :

1/ تحديد بعض المصطلحات المشتركة بين البلاغة العربية وسائر العلوم الأخرى، والدعوة إلى كيفية استعمالها استعمالا واعيا يخدم الفن الذي استعملت فيه.

2/ الفصل بين الفنون ولا يتم هذا إلا بالفصل بين مصطلحات كل فن، وإن ظل هذا التقسيم يراد به المنظوم و المنثور

[1] الجاحظ : البيان و التبين ج137/1.

[2] حمادى صمود : التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة.ص 59

[3] ابن خلدون(ت: 808هـ) : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،المقدمة ص310.

د- التلقي من التراث الأجنبي و أثره في تشكيل المصطلح البلاغي :

اتصل العرب بالعجم ، وصار الأثر الأجنبي واضحا و أمرا محتما لا مفر منه ، شمل هذا التأثير كل علوم العربية بما فيها البلاغة العربية حيث صارت« هذه المسألة مبحثا قارا لا يكاد يخلو منه مؤلف متعلق بقضايا الأدب عامة ، و قضايا البلاغة بصفة خاصة » [1]

ومما أثر في الجانب البلاغي هو حركة الترجمة التي اهتمت بكتاب أرسطو ، الشعر و الخطابة ، حيث كان هذا الكتاب الأخير أشد صلة بالمباحث و الخصائص البلاغية.

لقد تزامن فن الترجمة مع بداية التأليف المستقل في علم البلاغة حيث ظهر كتاب البديع ،الذي أورد فيه صاحبه جملة من المصطلحات البلاغية ، التي رآها هي الأساس في الفكر البلاغي الواعي، و يبدو فيها الأثر الأجنبي واضحا حيث : « يقول بن المعتز إنه لم يسبقه إلى ذلك أحد ...ومع ذلك نستطيع أن نرجع إلى نص أرسطو نفسه فنجده في الجزء الثالث يتحدث عن العبارة وفيه ذكر الاستعارة و الطباق و الجناس ورد الإعجاز على ما تقدمهما وهذه أربعة من الخمسة التي ميز بها ابن المعتز مذهب المحدثين »[2] .

رغم ذلك يبقى ابن المعتز مؤثرا هو نفسه فيمن جاء بعده ، و أن له فضل السبق لتحديد مصطلحات هذا العلم التي تبلورت فيما بعد و اتضحت صورتها النهائية على يد السكاكي إذ « الناظر في موازنة الآمدي أو في أخبار أبي تمام الصولي أو في وساطة الجرجاني ، أو في غيرها من كتب الأدب نجد ابن المعتز قد أثر على هؤلاء جميعا ، ولو لم يكن له من فضل غير تحديد الاصطلاحات ، لكفاه ذلك ليتمتع في تاريخ النقد العربي بمكانة هامة ، وذلك لأن كل دراسة لابد لها من اصطلاحات » [3]

---

[1] حمادى صمود :التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة: ص61.

[2] محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب و اللغة ، مترجم عن . لانسبون ومايبيه ، الناشر : دار نهضة مصر ، القاهرة ، سنة 1996م،ص62.

[3] محمد مندور . النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب و اللغة، ص.61

إن الأثر الأجنبي يبدوا واضحا غاية الوضوح ، في تعريف مصطلح البلاغة و ماهيته التشكيلية العلمية حينما يورد الجاحظ تعريفات مختلفة تلقاها من الفرس و اليونان و الهند و الروم [1]ومن معاصري الجاحظ ابراهيم ابن المدبر (ت279هـ) يقول صمود أنه أشار مرتين في مواضيع ذات أهمية بالغة تتعلق بالبلاغة العربية دون ذكر للمصدر الذي استقى منه المعلومة ، ومن ذلك أنه عرف البلاغة تعريفا ينسب لأرسطو فقال : « البلاغة حسن الاستعارة » [2] ويرى صمود غموضا في هذا ،حيث إن بعض الباحثين يجزم بأن أرسطو لا يعرف كلمة استعارة وإنما يستعيض بكلمة نقل أو مجاز ،فالناظر المتأمل الناقد يرى أن تلقي أغلب المصطلحات تبلور و أخذ مفهومه العلمي عن طريق التأثير الأجنبي و الأخذ منه ،وأوضح من صرح بالأثر الأجنبي في تلقي مصطلح الصدق و الكذب في باب المعاني قدامة بن جعفر يقول في ذلك تصريحا « وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: أحسن الشعر أكذبه، وكذا يرى الفلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم » [3]

ولقد أطنب ابن وهب الكاتب صاحب البرهان في وجوه البيان خاصة ما تعلق بتلقي مصطلح الإختراع و آليات تشكيله اللغوية و اللفظية مشيرا إلى أن هذا الباب –الاختراع – مما اشترك فيه العرب مع غيرهم في تشكيله .[4] كما عرج على قضية بالغة الأهمية تعلقت بمصطلح الحجاج و دوره في الشعر العربي ، و إمكانية الاقناع من عدمه معتمدا في ذلك على رأي أرسطو ، إذ يرى بحجاجية الشعر إذا كان قديما ، كما نوه صمود بمصطلحي الصدق و الكذب إذ يرى أن أصلهما يوناني وتدقيق الجواب في ذلك عند ابن وهب ،حيث إن بعض المصطلحات البلاغية

---

[1] حمادى صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة ص.69 و ينظر الجاحظ في البيان و التبين ج/ص 91 للمقارنة

[2] المصدر نفسه ،ص70 نقلا عن الرسالة العذراء ص.46.

[3] قدامة بن جعفر (ت 373هـ) : نقد الشعر ،ص.19 وينظر حمادى : التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة ص71 للمقارنة

[4] حمادى صمود : التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة .ص. 72-73 وينظر ابن وهب الكاتب – البرهان في وجوه البيان ص.126 للمقارنة.

كالتشبيه أو المدح أو الذم تخضع أساسا على حاملين اثنين هما :مصطلحا الصدق و الكذب إذ للشاعر أن يوضف هاته المصطلحات مع ما يتناسب و المقام ،مع مراعاة الحال ،و عموما الكذب كثير في الشعر وهو جائز وهو الأمر كذلك عند أرسطو [1]

يشير حمادى صمود بعد هاته الإطلالة السريعة لمختلف القضايا البلاغية و علاقتها بالفكر الأجنبي و أثر ذلك فيها إلى أن علماء اليونان لهم ميزات خاصة بمصطلحات البيان حيث إن هناك «سياقات أخرى تنم عن معرفة ببعض خصائص علماء اليونان البيانية ، وبما يطرأ على علاقة بعضهم ببعض على الصعيد الإجتماعي ، فقد عدا أرسطو طاليس و اقليدس في أصحاب الإيجاز و الإختصار وجالينوس و يوحنا النحوي من أصحاب الشروح و اللإطالة » [2]

إن البيان العربي ومايحمله من مصطلحات ، يرى صمود أنه لا يخضع لمنهج موحد و إنما هو عربي من حيث المادة و اللغة التي تستعمل فيه ، بينما أسس بنائه نظريا على التراث الأجنبي خاصة الفارسية منها و اليونانية ، حيث عرف ابن قدامة الشعر ، و تجاهل فيه مصطلح المحاكاة الذي هو يوناني الأصل ،و لكنه تدارك ذلك في تعداد أوصاف الشعر العربي ونعوته [3]

إن هذا التأثير الأجنبي خاصة ما تعلق بالمصطلح البلاغي يكاد يكون حرفيا في بعض المصطلحات إذ يقول صمود مصرحا بذلك ومتبنيا ما ذهب إليه ابراهيم سلامة : « و لم تسلم من هذا التأثير المفاهيم و المصطلحات البلاغية التي يستعملها فوجد أن مفهوم التمثيل عنده ينطبق و المفهوم اليوناني و أن خلطه بين الطباق و المقابلة جاء من سوء فهمه لبعض سياقات كتاب الخطابة » [4] هذا النقل الحرفي لبعض المصطلحات خاصة اليونانية منها ،ذهب إليه أكثر الباحثين إذ يرى بعضهم أن تعريف المحاكاة اصطلاحا هو : « يوناني ميتافيزيقي الأصل وتعد من أسبق النظريات

[1] حمادى صمود : التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة ، ص.73 و ينظر ابن وهب الكاتب : البرهان في وجوه البيان ص 147/146 للمقارنة

[2] حمادى صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة. ص.74

[3] المصدر نفسه.ص78 و ينظر ابن قدامة : نقد الشعر ص.41. للمقارنة .

[4] المصدر نفسه ص. 79 نقلا عن ابراهيم سلامة : بلاغة ارسطو بين العرب و اليونان .

المعروفة في تعريف الفن و التي تنسب إلى أفلاطون و أرسطو و التي تفترض أن الفن محاكاة للطبيعة وللحياة و الواقع» [1]

1- إشكالية تلقي المصطلح البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني و التأثر الأجنبي:

إن السؤال الذي حير الدارسين المعاصرين وهو قضية التلقي من التراث اليوناني وخاصة أن الجرجاني عاش في عصر سادت فيه الثقافة اليونانية خاصة كتابات أرسطو، لما لها من صلة وثيقة بالبحث البلاغي، فراح فريق ينفي التأثر عنه ويرى أن الجرجاني استوعب البلاغةالقديمة واستعان بالكتاب المعجز وأصبح في مرحلة من النضج تغنيه عن روافد الفلسفة الأرسطية والفكر اليوناني عامة ، وراح فريق آخر يقول أنى لفكر في مثل هذين الكتابين الإعجاز والأسرار أن يكونا بهذا المستوى دون الاعتماد والأخذ من الفلسفة اليونانية والأرسطية خاصة يوضح هذا الأمر حمادي صمود بقوله « وقد كان عبد القاهر الجرجاني نقطة الاستفهام الكبرى في قضية التأثر، فالرجل وهو قمة البلاغة العربية ، سواء في جانبها التطبيقي الذي يقوم على الحس المرهف والذوق الأدبي الخالص أو جانبها النظري المجرد ... هذا الرجل على كثرة ماذكر من مصادر عربية ، لا تشيرإلى تراث أجنبي ومناهج تكون قد أعانته على إخضاع هذه المادة المتراكمة على مر القرون إلى جهاز من المبادئ والمفاهيم سيشملها ويتجاوزها في نفس الوقت»[2] فالظاهر في ماكتب الجرجاني وما وصل إليه من مستوى عرفت البلاغة فيه ازدهارها ونضجها التام هومسلك التقصي والاعتدال المنهجي والاطلاع على مختلف الثقافات العربية والأجنبية جعله يضع القاعدة الصلبة المتينة لعلم البلاغة وجهازها المصطلحي والبناء عليه كما يقول هو نفسه : « و لم أزل منذ خدمت العلم، أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة، والبيان والبراعة، وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها، فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان

[1] متنهى عبد الجاسم : نظرية المحاكاة في الفلسفة اليونانية رؤية نقدية : مجلة الفلسفة ، ع16 ، كانون الأول سنة 2017 جامعة المستنصرية، العراق ، ص.85،86

[2] حمادى صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة.ص80

الخبيء ليطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج، وكما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه، وتوضع لك القاعدة لتبني عليها»[1]

يرى صمود أن الجرجاني هو النقطة الأساس و المركز المحوري في البحث البلاغي ، لما اتصف به من حس مرهف و نظر عميق في الدرس البلاغي ، حيث اتجهت الأراء إلى فريقين [2]:

1- فريق يرى أن الجرجاني ناقل متأثر بالفكر البلاغي عند اليونان ، وهذا ما ذهب إليه طه حسين و أمين الخولي ، و إن لم يكن نقلا مباشرا و إنما عن طريق فلاسفة المسلمين . ذلك أن أمين الخولي نقل حديث الجرجاني عن مصطلح الاستعارة حينما جعل مصطلح المجاز أعم منها ونسب هذا الحكم للإصطلاحيين المختصين في فني الخطابة والشعر ، فتأول ذلك أمين الخولي أنه يريد بذلك كتابي الخطابة وفن الشعرلأرسطو، فقال الجرجاني(ت: 471 هـــ) في الأسرار، في فصل سماه « هذا كلام في ذكر المجاز وفي بيان معناه وحقيقته" ...لأن قصدي في هذا الفصل أن أبيّن أن «المجاز» أعمّ من «الاستعارة»، وأن الصحيح من القضيّة في ذلك: أن كلّ استعارة مجاز، وليس كلّ مجاز استعارة. وذلك أنّا نرى كلام العارفين بهذا الشأن أعني علم الخطابة ونقد الشعر، والّذين وضعوا الكتب في أقسام البديع، يجري على أن "الاستعارة"نقل الاسم من أصله إلى غيره للتشبيه على حدّ المبالغة. » [3]

2- فريق وقف موقف الاحتراز من هذا الأمر حيث يرى الحكم العام على الشخص حكم فيه نوع من التعدي على علم الشخص و جهده المبذول ، بل مدار الأمر يرجع إلى جزئيات العلم لا إلى كلياته ، وهذا الذي ذهب إليه شوقي ضيف في مصطلح الاستعارة عند الجرجاني ، بل جعل

---

[1] الجرجاني الدار (ت: 471هـــ) : دلائل الإعجاز في علم المعاني.ص83.

[2] ينظر حمادى صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة.ص 80 الى82.

[3] الجرجاني الدار (ت: 471 هـــ): أسرار البلاغة فى علم البيان، تح: عبد الحميد هنداوي،ص280.278.وينظر أمين الخولي : مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير زالأدب ، الناشر دار المعرفة ،ط1،سنة1961م.
ص155.154.للمقارنة

نظرية النظم هي تأليف بين النحو العربي وبين فكر أرسطو ورؤيته في الجملة و الأسلوب فقال:« مما يدخل في علم المعاني كالتقديم و التأخير و الفصل و الوصل من تأثير اليونان » [1]

يرى حمادي صمود بعد عرضه لهاته الآراء أن نظرية النظم هي نظرية ذات أصول عربية محضة قائلا« لا نبالغ إن قلنا إن البيئة العربية كانت الإطار الأمثل لبروز مثل هذه النظرية و لم يكن علماء الإعجاز في حاجة إلى التراث اليوناني ليدركوا ذلك » [2]

إن هاته الآراء والردود يرى صمود أن البيئة العربية لم تكن خلوا من الفكر الأجنبي بل هي حجة لإثبات تسرب بعض العلوم الأجنبية وتأثيرها على الفكر العربي خاصة المناطقة والفلاسفة وكل علم له صلته الوثيقة بهذين العلمين كالبلاغة العربية خاصة ما كتب أولا في هذا الفن ككتاب البديع لابن المعتز حيث يرى صمود أنه « قد تأثر بشيء من خطابة أرسطو لأنه كان أول محاولة منتظمة للخروج من أفق النقد الجزئي إلى أفق التقنين والتعميم» [3] وقد أثبت العسكري في الصناعتين بيتا ينسب لكلام يوناني قيل في الإسكندر فقال: « لما مات الإسكندر وقف عليه بعض اليونانيين فقال: قد طالما وعظنا هذا الشخص بكلامه، وهو اليوم لنا بسكوته أوعظ، فنظم هذا الكلام أبو العتاهية في قوله:

وَكَانَتْ فِي حَيَاتِك لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْك حَيّا[4] » [5]

2- إشكالية تلقي المصطلح البلاغي عند الجاحظ والتأثر الأجنبي:

لا يكاد ينكر أحد ما وصل إليه الجاحظ في مجال البحث اللغوي والبلاغة العربية خاصة ، فهو بحق من أوائل من أرسى دعائم هذا العلم وبين معالمه ، غير أنه لا يوجد له مؤلف خاص بالمصطلحات البلاغية .

---

[1] حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة.ص82 قراءة في كتاب البلاغة تطور وتاريخ :لشوقي ضيف ،ص180.178.168.

حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراء:ص 83.82.

[3] المصدر نفسه.ص84

[4] ديوان أبي العتاهية ،الناشر: دار بيروت ،سنة 1406ه- 1986م،د.ط ، ص492

[5] العسكري (ت: نحو 395هـ): الصناعتين،تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،ص15.

لقد تناول حمادي صمود البلاغة العربية في مراحل نشأتها الأولى عبر تاريخها الطويل خلال ثلاث محطات جعل الجاحظ هو محورها معنونا لهاته المحطات كالتالي :

1- البلاغة قبل الجاحظ

2- الحدث الجاحظي

3- البلاغة بعد الجاحظ إلى القرن السادس[1]

يبدو أن الجاحظ صرح في كتابه الحيوان أنه اطلع على كتب التراث الأجنبي ، بل نقل عنها وترجم بعضا منها لأسباب علمية فقال في الحيوان: « وقد نقلت كتب الهند، وترجمت الحكم اليونانية، وحولت آداب الفرس، فبعضها ازداد حسنا، وبعضها ما انتقص شيئا، ولو حولت حكمة العرب، لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن، مع أنهم لو حولوها لم يجدوا في معانيها شيئا لم تذكره العجم في كتبهم، التي وضعت لمعاشهم وفطنهم وحكمهم، وقد نقلت هذه الكتب من أمة إلى أمة، ومن قرن إلى قرن، ومن لسان إلى لسان، حتى انتهت إلينا، وكنا آخر من ورثها ونظر فيها. فقد صح أن الكتب أبلغ في تقييد المآثر، من البنيان والشعر.» [2]

وفي حديث الجاحظ عن تاريخ الشعر العربي في كتابه الحيوان أشار صراحة على اطلاعه بكتب أرسطوفقال: « أما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهل الطريق إليه: امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة. وكتب أرسطاطاليس، ومعلمه أفلاطون، ثم بطليموس، وديمقراطس، وفلان وفلان، قبل بدء الشعر بالدهور قبل الدهور، والأحقاب قبل الأحقاب.» [3]

[1] ينظر حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس –مشروع قراءة،ص311.137.19 .

[2] الجاحظ (ت: 255هـ): الحيوان ،ج1.ص53

[3] المصدر نفسه،ج1،ص52.

يعلل صمود على كلام الجاحظ وتصريحه بالنقل والترجمة عن الفكري الأجنبي إنما هو توسع فكر ادعته ضرورة التأليف ، لا كما يراه البعض هو عامل تخلف ، فهي « مؤشر خلق حضاري ، بينما كانت عند غيره نذير تقهقر وانحطاط » [1]

إن هذا التوسع الفكري والاطلاع على تراث اليونان والفرس والهند الذي حظي به الجاحظ جعله كما يقول – صمود- يقف على تعريف لمصطلح الكناية تعريفا واضحا ومظبوطا مرة واحدة ،كان له الأثر البالغ لمؤرخي علم البلاغة فيما بعد [2] ، يقول الجاحظ في تعريف مصطلح الكناية « قد يستعمل الناس الكناية، وربما وضعوا الكلمة بدل الكلمة، يريدون أن يظهر المعنى بألين اللفظ، إما تنويهاً وإما تفضيلاً، كما سموا المعزول عن ولايته مصروفاً، والمنهزم عن عدوه منحازاً. نعم، حتى سمى بعضهم البخيل مقتصداً ومصلحاً، وسمي عامل الخراج المتعدي بحق السلطان مستقصياً.» [3] ونوه بقيمة المصطلح في الحجاج والإقناع وأنها أفضل من التصريح في بعض المقامات فقال: « ربما كانت الكناية أبلغ في التعظيم، وأدعى إلى التقديم، من الإفصاح والشرح. وربما أتى من السكوت بما يعجز القول عنه وقد بلغ أقصى حاجته وغاية أمنيته بالإيماء ة الإشارة، حتى يكون تكلُّف القول فضلاً، والكلام خطلا.» [4]

أشار الجاحظ في الحيوان إلى أن أساس توظيف المصطلح هو السياق ومراعاة الأحوال ، فتوظيف الكناية في الكلام هو تحسين يجب فيه مراعاة المقام فقال : . « ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء: فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال. .» [5]

---

[1] حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس – مشروع قراءة،ص143.

[2] حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس – مشروع قراءة: ص147.

[3] الجاحظ (ت: 255هـ): رسائل الجاحظ،تح وشرح: عبد السلام محمد هارون،الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة،عام النشر: 1384 هـ - 1964 م، ج3.ص140.

[4] المصدر نفسه : ج1.ص307.

[5] الجاحظ (ت: 255هـ):الحيوان ،ج3،ص17.

لقد كان الجاحظ على علم غزير جعله يقف على حكم بلاغي حاز قصب السبق فيه ،إذ جعل مصطلح الكناية هو الأصل في الكلام ، إذا طال استخدامه وتوظيفه ودرج الناس على استعماله فقال متحدثا عن جذيمة الأبرش: « كان يقال له جذيمة الأبرص، فلمّا ملك قالوا على وجه الكناية: جذيمة الأبرش، فلما عظم شأنه قالوا: جذيمة الوضّاح و لم يقولوا: جذيمة الأوضح، لأنّهم يضعون هذا الاسم في موضع الكناية عن الأبرص، وذلك كثير. وليس في الأرض أبرص يقال له الوضّاح غير جذيمة، ومن يقال له الأوضح كثوالكناية إذا طال استعمالهم لها صارت كالإفصاح فمن ذلك أنّهم كنوا عن الفرج فقالوا: كشف علينا متاعه. فصار المتاع والفرج سواء. والفرج والقبل والدّبر كلّه أيضا كنايات... وقالوا في الكناية: فلان يدعو إلى نفسه، فلما طال ذلك وكثر قام في القبح مقام الأوّل. »[1]

يبدو أن اطلاع الجاحظ على التراث الأجنبي ، ولد لديه قناعة أن البيان العربي لا يجري «على معنى واحد فهو يدل في بعض السياقات ، على وسائل التعبير الممكنة بين البشر ومختلف الكيفيات التي يؤدون بها المعنى بقطع النظر عن العلامة المستخدمة»[2] نجد هذا مجسدا عند الجاحظ حينما صرح مقارنا في بيان أفصح الناس خطبا وأفضلهم بلاغة فقال: « والخطابة شيء في جميع الأمم، وبكلّ الأجيال إليه أعظم الحاجة، حتى أن الزّنج مع الغثارة ، ومع فرط الغباوة، ومع كلال الحد وغلظ الحس وفساد المزاج، لتطيل الخطب، وتفوق في ذلك جميع العجم، وإن كانت معانيها أجفى وأغلظ، وألفاظها أخطل وأجهل . وقد علمنا أن أخطب الناس الفرس وأخطب الفرس أهل فارس، وأعذبهم كلاما وأسهلهم مخرجا وأحسنهم دلّا وأشدهم فيه تحكما، أهل مرو»[3] ونجده يدعوا إلى الاطلاع على تراث الأجانب ، حتى يتمكن من ناصية البلاغة ويعرف مكامن الحكمة فيها وإقامة الحجة والبرهان والوقوف على مواطن البلاغة وحسن البيان، فالذي

[1] الجاحظ (ت: 255هـــ): البرصان والعرجان والعميان والحولان،الناشر: دار الجيل، بيروت. الطبعة: الأولى، 1410 هـــ،ص116.

[2] حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس – مشروع قراءة،ص157.

[3] الجاحظ (ت: 255هـــ): البيان والتبيين،ج10، ص3

أراد « أن يبلغ في صناعة البلاغة، ويعرف الغريب، ويتبحر في اللغة، فليقرأ كتاب كاروند. ومن احتاج إلى العقل والأدب، والعلم بالمراتب والعبر والمثلات ، والألفاظ الكريمة، والمعاني الشريفة، فلينظر في سير الملوك. فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وألفاظها، ومعانيها. وهذه يونان ورسائلها وخطبها، وعللها وحكمها، وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة، والخطأ من الصواب، وهذه كتب الهند في حكمها وأسرارها، وسيرها وعللها، فمن قرأ هذه الكتب، وعرف نور تلك العقول، وغرائب تلك الحكم، عرف أين البيان والبلاغة، وأين تكاملت تلك الصناعة. »[1]

إن هذا الاطلاع والتوسع والانفتاح عند الجاحظ على التراث الأجنبي جعله يقف على بعض القضايا البلاغية ويعيد تعريفها وتعديل ماذهب إليه، وهاته من مزايا الاطلاع على تراث الأجانب ،فهاهو ينقل لنا تعريفا لمصطلح البلاغة ويتبناه فقال: « حدثني صديق لي قال: قلت للعتابيّ: ما البلاغة؟ قال: كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ»[2] ثم يعود من جديد بعد ست وثلاثين صفحة إلى مراجعة هذا التعريف وإعادة صياغته صياغة تتواءم ومضمون المصطلح ، معترفا في نفس الوقت أن التعريف الأول لمصطلح البلاغة هو فهم ناشئ عن نقص في نفسه ومستدركا ذلك بإيجاد تعليلات لما نقله عن العتابي فقال: « فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل، جعل الفصاحة واللكنة، والخطأ والصواب، والاغلاق والإبانة، والملحون والمعرب، كله سواء، وكله بيانا. وكيف يكون ذلك كله بيانا، ولولا طول مخالطه السامع للعجم وسماعه للفاسد من الكلام، لما عرفه. ونحن لم نفهم عنه إلا للنقص الذي فينا. وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلون على معاني هؤلاء بكلامهم كما لا يعرفون رطانة الرومي والصقلبي، وإن كان هذا الاسم إنما يستحقونه بأنّا نفهم عنهم كثيرا من حوائجهم.

[1] الجاحظ (ت: 255هـ): البيان والتبيين،ج10، ص3

[2] المصدرنفسه ،ج11ص2

فنحن قد نفهم بحمحمة الفرس كثيرا من إرادته. وكذلك الكلب، والحمار، والصبي الرضيع. وإنما عنى العتابي إفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء. »[1]

إن الجاحظ ومن خلال اطلاعه على تراث الأجانب انقسمت البلاغة عنده إلى ثلاثة أقسام تنوعت خلالها مفاهيمه الكبرى للبيان العربي جاعلا النوع الأول من مفهوم مصطلح البلاغة هو الوصول والانتهاء إلى قلب السامع اقتداءا ببلاغة العرب فهم « وإن كانوا يحبون البيان والطلاقة، والتحبير والبلاغة، والتخلص والرشاقة، فإنهم كانوا يكرهون السلاطة والهذر، والتكلف، والإسهاب والإكثار، لما في ذلك من التزيد والمباهاة، واتباع الهوى، والمنافسة في الغلو. وكانوا يكرهون الفضول في البلاغة، لأن ذلك يدعو إلى السّلاطة، والسلاطة تدعو إلى البذاء. وكل مراء في الأرض فإنما هو من نتاج الفضول. »[2]

أما النوع الثاني فهو صفات تتجسد في البليغ نفسه وما يستطيع من حمل للمصطلحات البلاغية وتوظيفها توظيفا لا يقدر عليه غيره في الكلام،مؤكدا أن العرب هو أصل الفصاحة والبيان وهم أقدر عليه من غيرهم من الأعاجم وهذا يدل على عدم تأثره بهم يقول الجاحظ (ت: 255هـــ): « إذا دعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والإرجاز، ومن المنثور والإسجاع، ومن المزدوج وما لا يزدوج، فمعنى العلم أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة، والرونق العجيب، والسبك والنحت، الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم، ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك إلا في اليسير، والنبذ القليل. ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التي بأيدي الناس للفرس، أنها صحيحة غير مصنوعة، وقديمة غير مولّدة... متى أخذت بيد الشعوبي فأدخلته بلاد الأعراب الخلّص، ومعدن الفصاحة التامة، ووقفته على شعر مفلق، أو خطيب مصقع، علم أن الذي قلت هو الحق، وأبصر الشاهد عيانا. فهذا فرق ما بيننا وبينهم.»[3]

---

[1] الجاحظ (ت: 255هـــ): البيان والتبيين: ج1. ص148 وينظر حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس – مشروع قراءة،ص168 للمقارنة

[2] الجاحظ (ت: 255هـــ): البيان والتبيين،ج1.ص168.

[3] المصدر نفسه ،ج3.ص21.

أما النوع الثالث فقد خالف به الجاحظ مفهوم مصطلح البلاغة المتعارف عليه بأن "البلاغة هي الإيجاز" وقد تمثل الأمر نفسه في البداية ومثل له بأمثلة إذا « رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة على الذي كتبته لك في باب الإيجاز وترك الفضول. فمنها قوله حين وصف خمر أهل الجنة: ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾[1] وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا. وقوله عز وجل حين ذكر فاكهة أهل الجنة فقال: ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾[2] جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني. »[3]

إن سعة الاطلاع عند الجاحظ على التراث الأجنبي والعربي واحتكاكه بمختلف الشعوب جعله يرجع مرة أخرى عن هذا المفهوم مبينا أن مصطلح الإيجاز هو المساواة بين اللفظ وقدر المعنى قائلا:« إنما الألفاظ على أقدار المعاني، فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها، والمعاني المصغرة البائنة بصورها وجهاتها تحتاج من الألفاظ إلى أقل ما تحتاج إليه المعاني المشتركة والجهات الملتبسة»[4]

إن مصطلح الإيجاز عند الجاحظ في بداية الأمر يقتضي الموازنة بين القول وعقل المتلقي مع مرعاة الأحوال والمقامات إذ«يجب على المتكلم أن يوازن بين المعاني وأقدار المستمعين وأقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما»[5] ، ثم يتوسع الجاحظ في مفهوم مصطلح الإيجاز ويرى أنه ما أدرك به قائله البغية ووصل إلى المقصود سواء طال اللفظ أو قصر فمفهوم مصطلح «الإيجاز ليس يعنى به قلة عدد الحروف واللفظ، وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسع بطن طومار فقد أوجز ... وإنما ينبغي له أن يحذف بقدر ما لا

[1] سورة الواقعة الآية:19

[2] سورة الواقعة الآية:33.

[3] الجاحظ (ت: 255هـ):الحيوان،ج3،ص42.

[4] المصدر نفسه،ج6،ص322.

[5] الجاحظ (ت: 255هـ): البيان والتبيين،ج1.ص18

يكون سببا لإغلاقه، ولا يردد وهو يكتفي في الإفهام بشطره، فما فضل عن المقدار فهو الخطل. »[1]

إن اطلاع الجاحظ على الفكر الأجنبي واليوناني خاصة هو منبع من منابع البحث اللغوي والبلاغي في ذلك العصر ، ولا يمكن بحال من الأحوال القول بأن الجاحظ صاحب فكر متأثر تماما وإنما تأثر في بعض مصطلحات هذا العلم ،حيث يمكن معرفة مقدار ما أخذ الجاحظ منها و«ذلك لأن الفلسفة اليونانية كانت جزءا من المنظومة الحضارية والثقافية في زمن الجاحظ ،فكان من الطبيعي أن يطلع عليها ، على أن هذا الاطلاع لا يقدح في أصالة تأليفه ،ولا تنكر شيئا من فضله ...فالتأثر فيما يظهر كان محدودا في مصطلحات معينة وقضايا محددة »[2]

خلاصة

بالنظر لما سبق يتجلى أن قصور بعض الباحثين في التصور الجديد للمصطلح البلاغي هو غياب النظرة الازدواجية في الجمع بين ثنائية الحداثة والتلقي من التراث، وغياب ذلك في المجامع والمخابر البحثية ، وميول البحوث نحو المصطلحات العلمية بغية التقدم الحضاري المادي ،وغياب التفسير السياقي أدى بمزاق في توظيف المصطلحات البلاغية وفق رؤية معاصرة كما استنتج ذلك حمادي صمود أن المفاهيم العربية القديمة لم تستطع التخلص في بعض الأحيان والمفهوم اليوناني المبني على المنطق والجدلية الفلسفية.

[1] الجاحظ (ت: 255هـــ):الحيوان، ج1ص62

[2] رامي جميل سالم :التأثير اليوناني في النقد والبلاغة العربيين من منظور الدراسات العربية المعاصرة ،ص192.128.

الفصـــل الثالث:

المصطلح البلاغي في الدراسات المغاربية بين السياق المعرفي والتوظيف البلاغي المعاصر

المبحث الأول: المصطلح البلاغي ومظاهر التلقي والتوظيف في الدراسات المغاربية المعاصرة

المبحث الثاني: المصطلح البلاغي في ضوء الدراسات الأسلوبية تلقيا وتوظيفا

المبحث الثالث: المصطلح البلاغي والبعد التداولي المعاصر

المبحث الأول: المصطلح البلاغي ومظاهر التلقي والتوظيف في الدراسات المغاربية المعاصرة

حقق الانفتاح البلاغي في الدراسات المغاربية المعاصرة على التراث جهودا علمية في مجال المصطلح لايمكن أن يستهان بها ، جهودا تدعو إلى مراجعة التراث وقراءته قراءة واعية منفتحة على روح العصر ، وعدم انتهاك جهود علماء البلاغة في مواضعاتهم للمصطلح الأصل ، وعدم التسرع في القول الفصل في نسبة المصطلح البلاغي لمنشئه الأصلي العربي أو الغربي ، وهذا أحد العوامل الأساسية المساعدة في ضبط مفهوم المصطلح ومسايرة لروح المعاصرة ، وخاصة في مجال البحث البلاغي المغاربي، إذ " يرى متتبع البلاغة العربية في المغرب أنَّ التسمية بـــ (علم البلاغة) لم تسد إلا في عصور متأخِّرة باعتبارها علما شاملا للعلوم الثلاثة: المعاني والبيان والبديع"[1]،حيث واجه المصطلح البلاغي عدة عوائق أخلت بالجانب العلمي والدلالي له ،منها:

01 نشأة البلاغة في بيئة المتكلمين والأصوليين

02 ارتباط البلاغة بقضية الإعجاز القرآني

03 تراجع الأدب وعزلة اللغة العربية

04 اختلاف أهداف الدرس البلاغي

05 أكثر علماء البلاغة هم من غير العرب

06 أثر الفلسفة في البلاغة[2]

لقد دعت الدراسات البلاغية المعاصرة عند المغاربيين إلى ضرورة قراءة المصطلحات البلاغية قراءة تحقق الهدف المنشود من البلاغة العربية وهو الحجاج

[1] محمد مفتاح: التلقي والتأويل مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص13.

[2] حسين دحو :المصطلح البلاغي إشكالية الماهية والتصور ،مجلة كلية الآداب واللغات ، جامعة بسكرة، ع13.سنة 2013 .ص116، وينظر الفصل الأول.

ربما تعود إشكالية هذا الطرح بارتباطها لنوازع عديدة ومتعددة ، حيث ارتبط البحث البلاغي بقضايا فكرية وفلسفية تبناها المعلم الأول وتلتها جهود عربية حاولت التوفيق والجمع بين الرؤية الفسفية وجمالية التعامل مع المصطلح البلاغي في تحقيق البعد الفني الامتاعي والاقناعي ، لأن النوازع الفلسفية والمنطقية«برزت من خلال تلك المصطلحات التي يغلب عليها طابع المنطق والحجاج والخطابة، والتي تركز على التقسيم والإقناع أكثر من تركيزها على الفن والإمتاع .»[1]

كل هاته المفاهيم جاءت مبعثرة في رؤى نقدية مختلفة ، اختلفت أحكامها بحسب العصور والأزمان ، ناهيك عن البحث البلاغي المغاربي المعاصر ،حيث يرى الناقد الجزائري محمد مرتاض أن «البحث في أدب المغرب العربي القديم حتَّى عهد متأخِّر يُعدُّ من قبيل المغامرة و التحدِّي، وذلك بسبب ما يعرف هذا الحقل المعرفي من انعدام للمظانِّ التي تتكفَّل ببيئة معينة،أو يأخذها على عاتقه منبع معيَّن،بل يُلاحظ الباحث المتَّجه هذا الاتجاه أنَّ المشارب والاتجاهات متعدِّدة ودفينة في مختلف الموضوعات من فقهية وتاريخية وأدبية و نقدية. »[2]

نظرا لهذا الإشكال القائم إلى اليوم في مجال تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه ، حاول محمد مفتاح مجتهدا توضيح هذا الإشكال ، وإعادة رؤية نقدية منظمة في تلقي الدرس البلاغي وما يتعلق به من قضايا ومباحث نمثل لها باختصار في الشكل الآتي :

[1] مسعود بدوخة: المرجعيات الثقافية للمصطلح البلاغي العربي، مجلة مقاليد،العدد الأول / جوان2011 ،ص41.

[2] ـــ مرتاض محمد: النقد الأدبي القديم في المغرب العربي ـــ نشأته وتطوره ـــ (دراسة وتطبيق)، منشورات اتِّحاد الكتَّاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2000م، ص5.

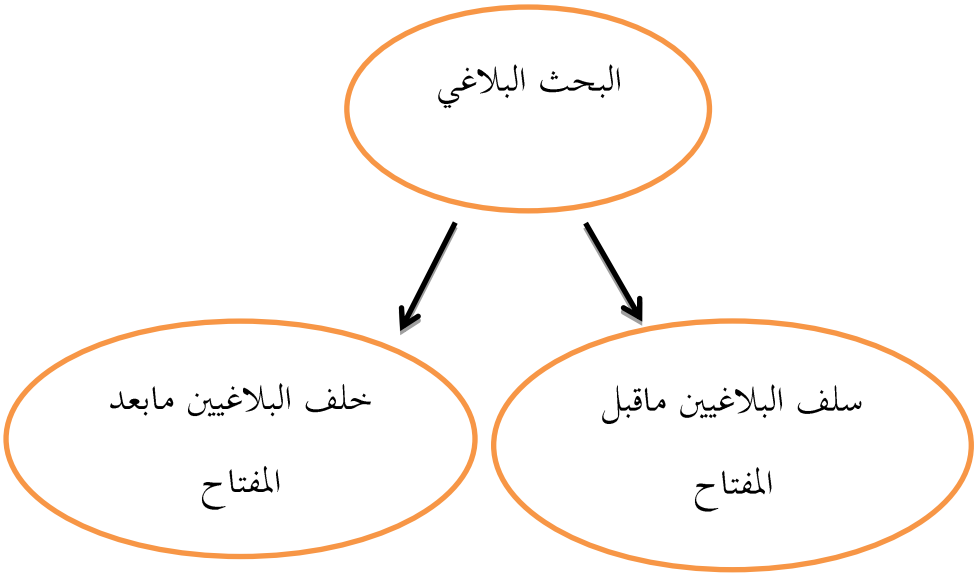

يوضح الشكل الآتي الرؤية المعاصرة لمحمد مفتاح ،حيث استطاع أن يقدم الخطوط العريضة في مجال البحث البلاغي ومراعاته لإشكالية التلقي ، التي هي أساس توظيف المصطلح البلاغي في الدراسات المعاصرة ، فيرى من خلال ماسبق ، أن مراعاة العهدين في مسار تاريخ البلاغة العربية وتطورها أصبح من الضروري الوقوف على مضامنيها ، والأبعاد اللغوية والفلسفية المؤثرة في إنتاج المصطلح البلاغي ، ولذا قسم مفتاح العهد الأول إلى ثلاث اتجاهات:[1]

1- اتجاه مثله :ابن رشيق وابن بسام وابن سبع والقاضي عياض ،هذا الاتجاه تلقى البلاغة العربية مقتفيا نهج أسلافه الجاحظ وابن المعتز وقدامة وعبد القاهر الجرجاني والزمخشري ...

2- اتجاه اتخذ الفلسة والمنطق والأصول ، منهجا في تلقي البحث البلاغي

3- اتجاه جمع بين الاتجاهين السابقين ، يجمع بين البحث البلاغي العربي المحض والبحث البلاغي الفلسفي المعتمد على المعقول.

إن الناظر في تاريخ البحث البلاغي ،لابد عليه أن يراعي مصادر التلقي لنشأة هاته المصطلحات البلاغية وتعاورها مع مختلف العلوم الانسانية والعقلية لأن « عامة المصطلحات

[1] ينظر: مفتاح محمد: التلقي والتأويل مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994م،ص17.16.بتصرف

البلاغية وجدنا أن أصولها لصيقة بالمشارب الثقافية والمؤثرات الفلسفية التي تشبع بها واضعوها، فكان أن قسمنا المؤثرات الثقافية العامة في المصطلح البلاغي إلى ثلاثة أقسام:

البيئة البدوية.

البيئة الحضارية.

المشارب الفلسفية والمنطقية.

فالبيئة البدوية شكلت أصل شطر مصطلحات البلاغة التي استمدت من عناصر هذه البيئة؛ حيوانها،ونباتها، وعادات مجتمعها الخلقية، ووسائله المادية الحياتية. و البيئة الحضارية كانت مرجع مصطلحات بلاغية أخرى تتصل في أصل دلالاتها بما عرفته هذه البيئة الحضارية من مظاهر التمدن في اللباس وفنون العمارة والحرف وغيرها ...»[1] حيث كانت سببا مباشرا في في توجيه المفاهيم الدلالية للمصطلح البلاغي وانعكاسات ذلك على توظيفه في مختلف النصوص،انطلاقا من التراث، وقد أشار شيخ البلاغيين إلى هذا في لمحة من تعريفه في تحقيق القول في البلاغة والفصاحة:قائلا: «ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها، مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة، وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين وآنق وأعجب وأحق بأن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب، وأولى بأن تطلق لسان الحامد، وتطيل رغم الحاسد ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة هي أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلا، ويظهر فيه مزية. »[2]

[1] مسعود بدوخة: المرجعيات الثقافية للمصطلح البلاغي العربي، مجلة مقاليد.ص41.

[2] عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـــ): دلائل الإعجاز في علم المعاني.ص43..

تعليق على رأي الجرجاني

فقوله: – فيما كانت له دلالة – إشارة إلى أنه يجب مراعاة أصل المعنى الأول لوضع المصطلح ، والجمع بينه وبين المعنى الجديد عند توظيفه في قوله " ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة هي أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخص به..."

. فمثلا مصطلح السجع يفسره ابن منظور في اللسان انطلاقا من تأثير البيئة في صناعة المصطلح فقال: « والسجع: الكلام المقفى، والجمع أسجاع وأساجيع؛ وكلام مسجع. وسجع يسجع سجعا وسجع تسجيعا: تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن، وصاحبه سجاعة وهو من الاستواء والاستقامة والاشتباه كأن كل كلمة تشبه صاحبتها... وسجع الحمام يسجع سجعا: هدل على جهة واحدة. وفي المثل: لا آتيك ما سجع الحمام؛ يريدون الأبد عن اللحياني. وحمام سجوع: سواجع، وحمامة سجوع، بغير هاء، وساجعة. وسجع الحمامة: موالاة صوتها على طريق واحد»[1]

الناظر في تتبع دلالة مصطلح السجع عند ابن منظور يلمس استناده على عادات الناس في كلامهم وتحديد مواعدهم في قولهم" لا آتيك ما سجع الحمام"

جاءت محاولات التجديد ومواكبة المصطلحات البلاغية لروح المعاصرة ، وانقسمت إلى اتجاهات عدة ، لم تزل الدرسات النقدية قائمة فيها إلى يومنا هذا، وحاول بعضهم كأحمد طايعي مراجعة التراث البلاغي في ضوء المعطيات المعاصرة وتكييفها مع المستجدات التي فرضتها العلوم الحديثة كاللسانيات والأسلوبية ، وهذا ما دفع المعاصرين إلى عادة قراءة المصطلح البلاغي قراءة واعية لأن « كثيرا من الحدود النظرية بين مباحث البلاغة العربية ، لم تكن مع نهاية – القرن الثالث وبداية القرن الرابع – قد عرفت طريقها نحو النضج في التقنين والاستواء في التقعيد ،لدى كثير من الباحثين والنقاد المتأملين في أسرار الخطاب الشعري تخصيصا. وهي وضعية استلزمت من

[1] ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـــ): لسان العرب،الناشر: دار صادر – بيروت. ط: 3 - 1414 هـــ، مادة :س.ج.ع.ج8..ص150.

النقاد والمنظرين البلاغيين المتأخرين ،على اختلاف تخصصاتهم وتباين مذاهبهم ، أن يركبوا لها من التبصر كل صعب ذلول ، فألفوا لهذه الغاية كتبا جمعت بين التنظير العلمي والتحليل الفني الجمالي للنصوص الإبداعية»[1]

رأت بعض العلوم المعاصرة كالأسلوبية العاصرة أن البلاغة علم انقضى وتلاشى و لم يعد قادرا للوصول إلى الأعمال الأدبية الكاملة والوافية ،وإنما بقي سجين النظرة التحليلية الجزئية التي وضعها السكاكي للمصطلح البلاغي ، ولكن حقيقة الأمر، أن هؤلاء لم ينصفوا البلاغة العربية القديمة فنظروا إلى الجانب النظري وأهملوا الجانب التطبيقي لتحليل النصوص ، ومن أراد الدليل على هذا، فعليه بتحليل الجرجاني في الدلائل والأسرار ، ولكن لكل وجهة هو موليها على ضوء ما اجتمع له من البيان والدليل.

1- المصطلح البلاغي بين أصل الوضع ومتطلبات التجديد

قد استقر الأمر في الدراسات البلاغية العربية على أن تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه قائم على الجانب الامتاعي والجمالي أكثر من الجانب التواصلي الإقناعي،حيث دعت اللسانيات المعاصرة إلى فاعلية ربط أجزاء النصوص والخطابات ربطا وظيفيا بمصطلحات تهدف إلى بناء معالم الخطاب البلاغي واستيعابه لدى المتلقي، سواء في حالة النطق أو الكتابة لأجل اكتشاف الأبعاد الدلالية المختلفة في الخطاب وبنياته المصطلحية البلاغية. لأن فصل المصطلح البلاغي عن المواقف الاجتماعية الداعية للخطاب بأكمله يحول والفهم الصحيح المراد من توظيف المصطلح .

لوعدنا للبحث البلاغي المغاربي المعاصر نجد رائد الدراسات البلاغية المعاصرة محمد العمري ،يربط بين التداولية وهي نظرية لسانية معاصرة ، تسعى لتحليل النصوص تحليلا يخدم البلاغة العربية في بعدها التأثيري والإقناعي التواصلي ، دون فصل عن النظرة البلاغية القديمة ، فيقول مبينا أصل البعد التداولي في التراث العربي قائلا : « إنّ هذاالبعد هو أحد الأبعاد الأساسية في البلاغة

[1] أحمد طايعي: التواصل البلاغي من المصرح به إلى المسكوت عنه، الناشر: زاوية للفن والثقافه الرباط ،ط1،سنة 1429 هـ 2008 م، ص18_19.

العربية، وهو بعد جاحظي في أساسه ، وانّ تخلي البديعيين عنه في مرحلة لاحقة أدى إلى اختزال البلاغة العربية وتضيّق مجالها ، وتحظى نظرية التأثير و المقام حاليا بعناية كبيرة في الدارسات السيميائية ،ومن ثمّ الشروع في إعادةالاعتبار إلى البلاغة العربية تحت عنوان جديد هو" التداولية "»[1]

1.1- مصطلحات علم البديع

مصطلحات علم البديع[2] في البلاغة العربية ،ظلت ردحا الزمن توظف على أساس الجانب التحسيني والجمالي للخطاب إما لفظا أو معنى. غير أن هناك آفاقا جديدة لهذه الظواهر البلاغية، يمكن من خلالها الانتقال إلى صفة الجوانب الوظيفية للمصطلحات البديعية على أساس فاعلية الخطاب البلاغي ومدى تحقيق التكامل والترابط بين أجزاء النص، والذي يجعل «من البديع فنا أدبيا تتراءى فيه الشعرية بكل مقوماتها التركيبية والأسلوبية والدلالية والإيقاعية، وذلك في إطار الانتقال من نحو الجملة sentence gramar المحدود الضيق إلى نحو النص gramar text السياق الدلالي. الاجتماعي الاتصالي الارحب والأوسع »[3]

[1] محمد العمري :البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،أفريقيا الشرق،المغرب ،د ط ، 1999 م.ص293.

[2] هناك محاولات تجديد وقراءة واعية لمصطلحات علم البديع ولكنها دراسات لم ترق للمستوى المطلوب في نظر الباحث جميل حمداوي حيث يقول : " ومن الدراسات التي تناولت البديع ، دراسات ادعت ووهمت التجديد تارة ن والتجديد والتأصيل معا تارة أخرى..." جميل حمداوي البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ص43 وما بعدها

[3]عبد اللطيف حني: فاعلية البديع في إحداث التماسك النصي وإنتاج الدلالة- مقاربة لسانيه نصية -مجلة مقاليد، ع8.جوان2015،ص24

إن مصطلع البديع حظي ببعدين اثنين عند القدامى ،منهم يرى أنه مرادف لمصطلح البلاغة فوسع دائرته الوظيفية [1]، ومنهم يراها ضيقة[2] اختصت بفنون معينة، كثيرا ما يصار إليها قصد تحسين الكلام لا غير .

1- مصطلحي السجع والفاصلة

اختلف علماء اللغة قديما حول ماهية مصطلحي السجع والفاصلة ، هل هما متماثلان أو مختلفان حيث يرى الخليل[3] أن السجع هو النطق بكلام له فواصل ووافقه في ذلك سيبويه[4]، وقد ذهب الرماني[5] مفرقا بينهما الفواصل ورفض السجع على اعتبار أن الفاصلة بلاغة والسجع عيب .فالفاصلة عنده تابعة للمعاني ، أما السجع فالمعاني تبع له.

1.1- حجاجية الفاصلة القرآنية عند المفسرين

يقول تعالى : ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝1 وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝2 أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝3 بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝4 بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝5 ﴾ [6]

---

[1] كانت بداية نشأة المصطلح على يد الأدباء على اعتبار المفهوم اللغوي بمعنى الابتداع والتميز والتفرد والاختراع ...ينظر : الجاحظ في البيان والتبيين .

[2] ذهب السكاكي في القرن السابع في تعريف مصطلع البديع على أنه وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار إليها قصد تحسين الكلام.

[3] سجع: سَجَعَ الرجلُ إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن كما قيل: لِصُّها بَطَلٌ، وتمرها دَقَلٌ، إن كثُر الجيش بها جاعوا، وإن قلّوا ضاعوا. ينظر الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ):العين . تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي.الناشر: دار ومكتبة الهلال، ج1.ص214.

[4] سيبويه (ت: 180هـ):الكتاب ، تح: عبد السلام محمد هارون.ج4.ص205.204.

[5] وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة , لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها , وإنما أخذ السجع في الكلام من سجع الحمامة. وذلك أنه ليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة , كما ليس في سجع الحمامة إلا الأصوات المتشاكلة , فإذا كان المعنى لما ستكلف من غير وجه الحاجة إليه والفائدة فيه لم يعتد به , فصار بمنزلة ما ليس فيه إلا الأصوات المشاكلة.ينظر : أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت: 384هـ) النكت في إعجاز القرآن ، تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام الناشر: دار المعارف بمصر الطبعة: الثالثة، 1976م.ص98.

[6] سورة القيامة الآية 5

الملاحظ في مفردات الآية الكريمة أنها جاءت متوافقة في الفواصل وهو ما يسمى بمصطلح السجع عند بعض القدامى كالجاحظ وسيبويه (**الْقِيَامَةِ. اللَّوَّامَةِ. عِظَامَهُ. بَنَانَهُ. أَمَامَهُ**) غير أن مفردة **بنانه** خرجت عن نمط الفاصلة بهاء الضمير، ولعل ذلك مقصود من الباري سبحانه للفت النظر إليها لما تحتويه المفردة من بعد حجاجي في نمط أسلوبي تداولي ،كما انفرد الطاهر بن عاشور باسخراج المصطلح البديعي عن غيره قائلا و«فيه محسن بديعي من قبيل ما يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم. وهذا لم نذكره فيما مضى و لم يذكره أحد»[1].

يرى مثلا بعض المفسرين القدامى أن المقصود من لفظة بنانه أي « نجعل أَصَابِعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ شَيْئًا وَاحِدًا كَخُفِّ الْبَعِيرِ وَحَافِرِ الْحِمَارِ، فَلَا يرتفق بها [بالقبض] والبسط والأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرها. هذا قول أكثر المفسرين. وقال الزجاج وابن قتيبة: معناه: ظن الكافر أنا لا نقدر على جمع عظامه، بلى نقدر على أن نعيد السلاميات على صغرها، فنؤلف بينها حتى نسوي البنان، فمن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر»[2]

ويرى المفسرون المعاصرون أن المقصود بها هو بصمة الإنسان وأنها لاتتشابه مع غيره ، غير أن الدراسات اللسانية المعاصرة ترى أن كل منجز لفظي يحمل قوة حجاجية قبل تأدية الملفوظ لتقنية الإخبار .

لو تتبعنا المصطلحات البلاغية والمفردات القرآنية المكونة لها تداوليا لوجدنا أن : تفسير الطاهر بن عاشور يمتاز بمراعاة الاختيار النظمي عن السياق العام للفواصل ومحافظا في نفس الوقت على

[1] الطاهر بن عاشور التونسي (ت : 1393هـ): التحرير والتنوير، ج29.ص383.

[2] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: 510هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي،تح: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش،الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع. ط:4، 1417هـ- 1997.م، ج8،ص280.281.

الإيقاع«وهذه الحركة الحجاجية تسمى في الأسلوبية المعاصرة تسمى عدولا في حين أنها تدعى في اللسانيات "اختيارا لسانيا"»[1]

حجاجية المفردة لا تفهم بمعزل عن سياقها والمصطلح البلاغي الوارد من خلالها.

اعتماد المفسرين على جانب السياق في تفسير المصطلح البلاغي ضمن تحليل الخطاب القرآني والوقوف على على أبعاده الحجاجية ،يعتبر دليل الوعي الكبير بأهمية المنحى التداولي

مراعاة نظم القرآن الكريم وتتبع سياقه العام في التفسير هومن أساسيات البحث التداولي ، وأي خروج عنه يعتبر فعلا كلاميا ذو أبعاد حجاجية تداولية الغرض منها تحقيق الإعجاز

- ضرورة العمل على إيجاد قانون العبور من معنى المفردة القرآنية الخاص بها إلى تفسير بعيد يقتضيه البحث التداولي وذلك للحفاظ على المعنى المقصود من ورود الآية الكريمة
- تقنية السؤال والجواب عند بعض المفسرين كالطاهر بن عاشور هي من أساسيات استحضار المتكلم والمتلقي للوقوف على على القوة الانجازية للفعل من عدمها
- مراعة المفسر في الخطاب القرآني للتأويلات التي يحدثها متلقي الخطاب والعمل على إثباتها أونفيها لتحقيق الحجاج
- ضرورة مراعاة المفسر لخصوصية الخطاب القرآني ، وتوجيهها توجيها يتوافق مع قصدية الشارع الحكيم.

إذا رجعنا إلى القدماء،نجدأن مجمل اهتمامهم قد تعلق بأنواع الخطابات البلاغية سواء النثرية أو الشعرية منها، غير أن تركيز اهتمامهم انصب على ذلك الخطاب المتماسك والمتلاحم في مصطلحاته البلاغية، لأجل دلالتها في ربط السابق باللاحق، وتحقيق معنى النص بأكمله، ثم تطور

[1] صابر الحباشة :التداولية والحجاج مداخل ونصوص، الناشر دار صفحات دمشق2008.ص56.

هذا المفهوم في الدراسات اللسانية المعاصرة ،ودعى إليه نخبة الباحثين والدارسين المعاصرين، على اعتبار أن « الفهم الحق للظاهرة اللسانية يوجب دراسة اللغة دراسة نصية وليس اجتراء والبحث عن نماذجها وتهميش دراسة المعنى . .. لأن الناس لا تنطق حين تنطق ، ولا تكتب حين تكتب – جملا أو تتابعا من الجمل– ولكنها تعبر في الموقف اللغوي الحي من خلال حوار معقد متعدد الأطراف مع الأخرين » [1] .

على هذا الاعتبار لقي مصطلح التكرار وهو من مصطلحات علم البديع في البلاغة العربية خاصة عند اللسانيين المعاصرين تلقيا بالغ الأهمية ، وذلك لفاعليته في تحقيق التماسك النصي في ربط اللاحق بالسابق ، وتحقيق وحدة النص وتناغمه، حيث يعمل على إعادة اللفظ الواحد أكثر من مرة، ليجعل المتلقي محافظا على انسجام النص وتماسكه[2]، وربط العلاقه بين المرسل والمتلقي .

في هذا الصدد يتصح لنا أن الدراسات البلاغية المعاصرة ، خاصة ما تعلق بقضايا المصطلح ،بدأت تحن إلى ريطورية اليونان ، وذلك لأجل تحقيق البعد الحجاجي للمصطلح البلاغي في شتى الخطابات، حيث عمد العمري إلى أن « يوظف المصطلحات البلاغية العربية بإدخالها فيما يناسبها ويستوعبها من نظرية أرسطو ، وعلى رأسها قضية المقام والحال، التي نجعلها عنوانا للعلاقة بين الخطيب والمستمع . » [3]

يرى محمد العمري أن علاقة البلاغة العربية بالعلوم المجاورة علاقة معقدة ، كون البلاغة العربية تغذت من فنون الشعر والمنطق والنحو... فهي تفيد تارة هذه العلوم ، وتستفيد . ولكن الإشكال هو أن هذه العلوم ، ما إن يبدو هناك في البلاغة العربية وهن أوضعف فهي تتهجم عليها

[1] سعد مصلوح : العربية من نحو الجملة الى نحو النص . ص 413

[2] تتفق الدراسات على أن "التماسك النصي "ولد من رحم البنيوية الوصفية ،حيث دعت بضرورة الخروج من بوتقة التحليل على مستوى الجملة إلى التحليل على مستوى النص .وأول من خط معالم هذا العلم هو زيليج هاريس Zellig (Harris) تلميذ بلومفيد (Bloom field)وأستاذ تشو مسكي(Tchomisky) في بداية النصف الثاني من القرن العشرين.ينظر: الطيب العزالي قواوة: التماسك النصي بين الدرس البلاغي القديم والدرس اللساني الحديث. مجلة البحوث والدراسات.م15. ع1.سنة2018م.ص481وما بعدها.

[3] محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ص 21

. وهو الأمر الذي دفع بالبلاغة العربية إلى أن تستنجد بالعلوم المعاصرة في حقل اللسانيات وعلم النص والاجتماع . . . إلخ ، فأصبحت تجيب عن أسئلة لطالما طاردتها منذ القرن السابع هجري في عصر السكاكي.[1]

2- العمري والدعوة الى نظام مصطلحي جديد :

يدعو العمري الى قراءة الموروث البلاغي قراءة واعية، خاصة ما تعلق بالمنظومة المصطلحية لها . وإعادة توظيفها توظيفا يسعى لقيام بلاغة عامة . ومن هاته «المصطلحات التي وجدنا حاجة لوضعها أو نفض الغبار عنها مصطلحا المستمع والإنشاء »[2].

يرى العمري بعد القراءة الاستطلاعية والاستكشافية لمنظومة مصطلحية تخدم البلاغة العربية المعاصرة ، هو: أن إعادة تشكيل المصطلح البلاغي أو نفض الغبار عنه يتطلب قبل ذلك النظر إلى ضبط منتج مصطلح الخطاب أو النص، ولا يهم الأمر كونه خطيبا أو شاعرا ...إلخ، حيث يرى أن مصطلح الانشاء في الموروث البلاغي يتلاءم تلاؤما تاما ،ويدل دلالة اصطلاحية دقيقة يعبر عن هذا المعنى الذي يحمله مؤلف النص، ولهذا اعتمده العمري بعد تعريفه من جديد[3]

يلاحظ من خلال الرؤية النقدية للعمري ،أن قضية الضبط المصطلحي يستدعي الوقوف على مايلي :

أ_ أسباب وضع المصطلح ، ومقارنة هذه الأسباب والدواعي في الدراسات المعاصرة مع إمكانية اعتمادها في بناء مصطلحات بلاغة عامة.

ب_ الدعوة إلى إعادة تعريف مصطلح بلاغي ما أو تعديل هذا التعريف، في ضوء إشكالات التلقي والتوظيف التي حتمت ذلك في الدراسات المعاصرة ، ويضرب مثلا لمصطلحين يتم تداولهما

[1] ينظر محمد العمري : أسئة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة ، دراسات وحوارات . الناشر : أفريقيا الشرق ، المغرب . سنه 2013 م، صفحه 13 . 14

[2] المصدر نفسه: ص 22

[3]

بلاغيا في العصر الحديث ، فيقول:« للدلالة على الخصوصية النوعية لكل من المجالين التداول والتخييلي ، ومدى التداخل والتخارج بينهما، احتجنا إلى لفظين يدل كل منهما على الخصوصية الجوهرية لأحد المجالين لفظين يقابلان المصطلحين اللاتينيين (argument figure) فاستعملنا كلمتي صورة وحجة»[1] .كما أن تفاعل البلاغة العربية مع العلوم المعاصرة يقتضي «تعمد الإجراءات التي تتخذها بلاغة الخطاب ويتبناها علم النص إلى تحديد المصطلحات المتداولة في التحليل .مع الإشارة إلى علاقتها بالمصطلحات السابقة .وذلك بغية التجديد الدقيق للموقف العلمي الحالي .وما يتمثل فيه من تغيرات معرفية وإجرائية .لأن تقدم العلوم ينعكس جزئيا في تبدل المصطلحات»[2].

قد وجد العمري في استعمال هذين المصطلحين صورة وحجة استجابة سريعة من طرف التداوليين «في بيان الأبعاد الحجية للصورة (الاستعارة والسخرية خاصة) ،كما اجتهد البلاغيون في بيان الأبعاد الصورية (أي التخييلية) للحجة»[3]

4.3- المصطلح البلاغي والأنساق المعرفية عند محمد العمري

يصل العمري إلى حقيقة ما تعلق بالمصطلح البلاغي من زاويتي التلقي والتوظيف ، الذي أصبح يشكل نقطة استفهام لدى كثير من الباحثين المعاصرين في الحقل الأدبي البلاغي،حتى صار إشكال تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه في الدراسات البلاغية المعاصرة أمرا مزعجا إذا أصبح مبتورا عن نسقه المعرفي ، يقول العمري :« وبدأ يزعجني ما أسمعه في الندوات العلمية من استشهادات بنصوص منتزعة من النسق، لانعدام في المؤلف الذي أخذت منه ما ينقضها أو يخالفها مخالفة صريحة . ولذلك كان من بين همومي الموجهة حين تصديت لإعادة قراءة تاريخ البلاغة العربية استخراج أنساق المؤلفات في حوار بين المشاريع والمنجزات » [4]ولتجاوز هذا الإشكال

[1] ينظر محمد العمري : أسئة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة ، دراسات وحوارات: بتصرف ص 22

[2] صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص.ص121

[3] محمد العمري : أسئة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة ، دراسات وحوارات: ص 22

[4] محمد العمري : البلاغةالعربية أصولها وامتداداتها . ص16

يقترح العمري « ضرورة ارتباط المصطلح بالنسق المعرفي : ببنية التخصص العلمي الذي ينتمي إليه ، ويكون لبنة من لبناته ، والثانية العوائق القائمة دون إنتاج مصطلحات أدبية/ بلاغية دقيقة ، ومستقلة عن المعارف المجاورة . »[1]

تعتبر هذه دعوة صريحة من رائد البلاغة المغاربية في ضبط الأسماء والأنساق المعرفية ، لأننا «إذا توجهنا للنسق عند العمري وجدناه منطلَقا نظريا أخذه من البنيوية وسخره كأداة إجرائية تمكنه من رصد الخيوط التي تحرك المشاريع البلاغية والتي يؤهلها لأن تكون محور الدراسة اتجاه معين ، وهذا نتلمسه في حديثه عن السياق الذي نشأت فيه الدراسات البلاغية أو الظروف العلمية الفكرية التي أحاطت بها. » [2] .

إن الوقوف على امتداد المصطلح البلاغي وتعدد مفاهيمه بين عدة علوم مجاورة تتقاطع مع البلاغة العربية بمفهومها الواسع ، ولذا كثيرا ما نجد تقاطعا بين هذه الأنساق وتداخلا بين منظوماتها المصطلحية ، ما يؤدي « إلى تشويه الهوية الأدبية بنية ووظيفة ... ويمكن التعبير عن مجمل الأفكار الداخلة في هذا الموضوع ب: الإغراءات والإكراهات . فالنحو واللسانيات والمنطق ،تغري الأدب بما يبدو في مباحثها من الدقة فيستعير مصطلحاتها، ثم يهيمن البحث في الأصل على البحث في الفراغ... فيسافر المصطلح ومعه مضمون غريب كلا أو بعضا عن الموضوع المستقبل. إلى غير ذلك من الاشكاليات التي يطرحها حضور النسق وغيابه»[3]

أصبحت إشكالية المصطلح البلاغي تلقيا وتوظيفا في مختلف السياقات المعاصرة إشكالية قائمة ، تدعو إلى تحيين مصطلحات البلاغة وإعادة تعريفها أو تسميتها من جديد ، حتى لا تصبح البلاغة علما يقوم على مصطلحات ليس لها تلك القوه الاجرائية والوظيفية في الدراسات المعاصرة ، وإثبات مصطلحات تحمل نسقا معينا وتنتمي الى أيديولوجية معينة ، ولذا يرى العمري أن تجديد

[1] محمد العمري : أسئة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة ، دراسات وحوارات.ص 85

[2] بو عافية محمد عبد الرزاق : البلاغة العربية والبلاغات الجديدة قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة . ص 110

[3] محمد العمري : أسئة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة ، دراسات وحوارات ص 88 . 89

المصطلح البلاغي يتطلب سبين رئيسين قبل الخوض في أي سبب آخر وهما :« امتلاك النسق المعرفي واستحضاره شرط لوضع شبكة من المصطلحات تنير جوانب الموضوع وتسمح بإثارة المزيد من الأسئلة ، لهذا السبب العلمي نلح على ضرورة الإنطلاق منه قبل الخوض في أي عملية تهم المصطلح. وهناك سبب آخر يدعو إلى الإلحاح وإثارة الانتباه، وهو ما نلاحظه اليوم من توجه إلى فصل المصطلح عن نسقه والإصرار على العودة به ،بدل ذلك، إلى أصول اللغوية، فنحن، وإن كنا لا ننكر ما يمكن تحصيله من فائدة بالعودة إلى الأصول اللغوية ،مقتنعون بأن فهم المصطلح لا يمكن أن يتمّ إلا في إطار النسق المعرفي الذي يشتغل فيه.

بل قد تساعد الإنسان الحافة،أو المقتفاة(أو المحاكاة) في إنارة سبيله أكثر مما يفيده الرجوع إلى الأصل اللغوي. وقد تجلّت كل العيوب الممكن توقعها من تغييب النسق في أبحاث عديدة أنجزها الشاهد البوشيخي[1] ومن اقتفى طريقه من الطلبة الباحثين »[2] ويؤكد العمري تأكيدا قاطعا بضرورة الوقوف على الأنساق المعرفية التي ساهمت في تشكيل المصطلح البلاغي، لأن «الهم النسقي كان حاضرا في أعمال البلاغيين العرب . »[3]

---

[1] ينظر : الشاهد البوشيخي :مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ.فهو عبارة عن سرد حرفي لمصطلحات لغوية وبلاغية مرصودة وتم البحث فيها ، وله في ذلك فضل جمع هاته المصطلحات ورصدها.غير أنها تخلو من القراءة المعاصرة.كما أن هناك أسئلة تدور حول إمكانية صناعة معجم للبلاغة العربية ،خاصة وأننا نلمس إعادة قراءة معاصرة لمصطلحات البلاغة العربية ومدى تفاعلها مع العلوم المجاورة لها تلقيا وتوظيفا ،ومن هذا المنطلق يطرح بعضهم أسئلة اقتضتها الدراسات البلاغية المعاصرة في مجال المصلح البلاغي قائلا: « هل صحيح أن البلاغة العربية يمكن أن تبرمج في معجم ؟ إن طبيعة المعجم تقتضي التحديد والتركيز الشديد ، تفسير المصطلح بإزائه في سطر واحد أو في سطرين وبعض السطر بينهما نقطتان رأسيتان ، ويمكن أن يأتي المصطلح عنوانا رئيسيا أو في أول السطر فوق خط عنوانا فرعيا وتحته أو إزاءه شرحه في وقار وحزم وبلا ترخص أو تبذل، ثم – وهو الأهم – دون توثيق ما، فبحسب هذا الشرح انتماؤه إلى العلم موضوع المصطلح ولن ينظر إليه إلا على أنه حقيقة علمية مفروغ منها ومسلّم بها والكلمه النهائية أو شبه النهائية في القضية ... طبيعة المعجم لا تسمح بتكرار مصطلح ما ليقال فيه كلام لم يقل فيما سبق من المعجم... أتصور أن الإجابة بالنفي لا بالإثبات ، فمصطلحات البلاغة كثيرة ومتداخلة، وهي مرّة مزدوجة ومرة مركبة ومرة كوكبة، وقد يكون بعضها محمولا على بعض أو تطويرا لبعض.» عبد العزيز قليقلة : معجم البلاغة العربية نقد ونقض ، الناشر :دار الفكر العربي القاهرة ، ط1 ، سنة 1412ه/1991م،ص11.

[2] محمد العمري : أسئة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة ، دراسات وحوارات .ص 89.

[3] محمد العمري : البلاغةالعربية أصولها وامتداداتها . ص 15

لقد تتبع العمري الأنساق البلاغية في مشروع إعادة قراءة البلاغة العربية من جديد ، فانتقى الدلائل والأسرار للجرجاني، وسر الفصاحة للخفاجي ، ليجعل خاتمة بحثه عن الامتدادات للقرطاجني ، لأن هاته المشاريع تعتبر محطات فاصلة في تاريخ البلاغة العربية ، ويمكن من خلالها ضبط الأنساق المعرفية التي أثرت في تشكيل المصطلح البلاغي ، وساهمت في الرؤية المستقبلية بإعادة النظر من جديد حول إشكاليتي التلقي والتوظيف.وهذا نلمسه جليا في حديثه عن علم المعاني وعمل السكاكي في رصد مصطلحات هذا العلم بالنظر غلى عدة أنساق معرفية ساهمت في تحديد هذا العمل ، يقول العمري :« ويمكن أيضا ، وفي إطار المشاريع والمنجزات ،تأمل عمل السكاكي في مفتاح العلوم ، فمن البحث عن "علم الأدب" من خلال النحو والصرف وصل إلى ما اعتبر إيداعا له يغطي على غيره ،وهو تنظيم علم المعاني وتأطيره ،فعلم المعاني الذي جاء لتكميل النحو في تأسيس علم الأدب في مشروع مفتاح العلوم صار مركزا، وصار النحو والمنطق (علم الاستدلال)مجرد خدم له ، لقد تولد علم المعاني ، باعتباره لب البلاغة ومركزها عند السكاكي، عبر مخاض تفاعل النحو والمنطق والشعر في علاقتها بالمقاصد الإنسانية »[1]

4- مباحث البلاغة العربية بين إشكاليتي التلقي والتوظيف

إن قضية تحديد مباحث البلاغة العربية عند القدامى(البيان والمعاني والبديع) ولد إشكالية لدى المتلقي المعاصر. فكثيرا ما يجد نفسه عاجزا أمام إشكال تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه، وما تقتضي الدراسات البلاغية الجديدة في ضوء متطلبات الدرس اللساني المعاصر ، هذا الإشكال اقتضته أحيانا طبيعة المصطلح البلاغي عامة ، ولعل الأمر واضح وجلي في مؤلفات تعلقت بالشروح البلاغية لمثل هذه المصطلحات كالكناية ، والتوجيه ، والتورية ، والمجاز. والتخيير ، والإرصاد . . . إلخ ،يقول محمد مفتاح «قد بذل البلاغيون العرب مجهودات كبيرة في رصد

[1] محمد العمري : البلاغةالعربية أصولها وامتداداتها. ص15.

البديعيات ، ولكنهم اكتفوا بالتصنيف والتلقيب دون البحث عما وراء ذلك من مقاصد وحوافز جعلت تلك المحسنات تتمظهر في أنواع مختلفة وفي كيفيات متنوعة»[1]

يعود هذا الإشكال المتعلق بالمصطلح البلاغي ، خاصه في ما تعلق بتعدد التسميات والتفريعات لمصطلح واحد ربما على أنها علوم متعايشة وإن انقسمت إلى ثلاث مباحث. حيث أشار السكاكي إلى هذه الرؤية إلى أن علم البيان شعبة من علم المعاني[2]. كما الشأن لمبحث علم البديع، فقد اعتبره القدامى مكملا لمبحثي البياني والمعاني .

أعطي العمري مثلا لأخذ المصطلح بعيدا عن سياق نسقه المعرفي وما يؤدي إليه من مترلقات توظيفية، فكانت قراءته للأسرار عند الجرجاني أن المعنى يرجع إلى أصول هي عباره عن مصطلحات: التشبيه والاستعارة والتمثيل والمجاز ، وعند إرجاع هاته الأصول إلى المقاربة التداولية نجدها قد أدرجت تحت العناصر اللفظية ، لأن «اللفظ في النسق البلاغي للدلائل هو الاستعارة والتمثيل والكناية. وهذا المفهوم يدخل في عملية مصالحة مع الاتجاه التقليدي الذي يجعل البلاغة في اللفظ. وفي إطار هذه المصالحة تمت الإبداعات الكبرى للبيان تحت مفهوم صورة المعنى ومعنى المعنى ، فما يسميه القدماء لفظا هو : صورة المعنى ، ومعنى المعنى ، وليس ما فهمه المتأخرون أي الأصوات»[3] .

يمكن القول إذا :أن المصطلح البلاغي الواحد قد يتعدد مفهومه وتتغير تسميته تبعا لتعدد المفاهيم، من زاوية الجهة والنسق المعرفي الذي ننظر منه إليه ، ولذا كان واجبا على دارسي المصطلح البلاغي تلقيا وتوظيفا ،أن يتتبع الخوض في سيرورة هذا المصطلح مع تحديد الأنساق والسياقات المؤثرة والمقروء في ضوئها، فالبلاغة كعلم يجمع مصطلحات خاصة لابد أن يراعي فيه الأنساق الآتية على الأقل:

---

[1] محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص ،الناشر : المركز الثقافي العربي ، المغرب . ط1. سنة 1985م.ص39.

[2] ينظر السكاكي (ت: 626هـــ) : مفتاح العلوم، ج1/ص 162. بتصرف

[3] محمد العمري : البلاغه العربية أصولها وامتداداتها ، ص 18

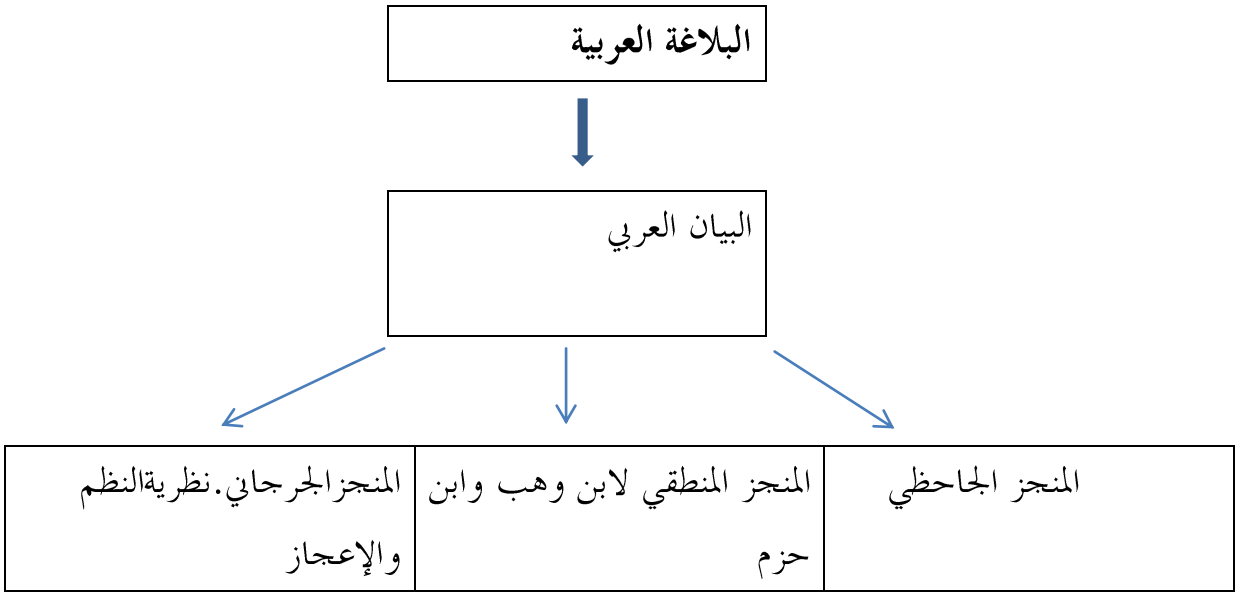

إن البحث البلاغي عامة اليوم يعاني من إشكاليتي التلقي والتوظيف خاصة ما تعلق بقضايا المصطلحات. كونها مفتاح العلم وبه تتسع دائرة البحث البلاغي لتشمل سائر العلوم المعاصرة وتنفتح عليها، ومن أهم ما نشأت عنه إشكالية تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه .هوعدم استيعاب التراث لدى أكثر الباحثين المعاصرين ، وهذا ما أدى إلى ترسيخ القطيعة بين الأصالة والمعاصرة. وأصبح شائعا ومتداولا أن البلاغة قد ماتت وتلاشت ، ولكن الحقيقة أن المصطلحات تسافركما يسافر الإنسان ، وتتعايش معه لتستوعب علوم الزمان والمكان، والحق كما قال العمري أنه «صار من الممكن سفر المصطلح الحديث في هجرة معاكسة لوصف تجليات قديمة ... وسفر المصطلح القديم نحو الأشكال الحديثة . كسفر الإستعارة نحو الرواية والموازنات الصوتية نحو الشعر الحر والإشهار. يتم ذلك بسهولة تحت مراقبة المبدإ وهو التخييل. فالمجال هو المجال التخييلي ولذلك فليس من مجافات روح العلم في شيء سفر المصطلح وإقامته عموديا (بين القديم والحديث) وأفقيا (بين الشعر والسرد مثلا) ما دام في نفس الأرض والوطن »[1].

إن إشكالية عدم استيعاب التراث ولد في المصطلح البلاغي مقابلات عدة، ربما كانت لمصطلح واحد أثناء عملية التلقي والتوظيف « من ذلك ترجمة (ecart) فقد اقترحت لها

[1] محمد العمري : أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة . دراسات وحوارات .ص 102

مقابلات عدة من قبيل: بُعد، فجوة ، عدول ، انحراف ، انزياح ...إلخ. لا شك أن كلمات : بُعْد ،وفجوة وخرق وانحراف ...إلخ، مجرد مقابلات لغويه بسيطه، لم ينتبه أصحابها إلى وجود مقابلات عربية قديمة أجدر منها، من قبيل : إنزياح ، وعدول ، وتغيير ، وإبدال ، وتوسع ...إلخ ،فعدول وارد عند البلاغيين خاصة عند عبد القاهر الجرجاني ، وهي تكاد ترادف كلمتين أخرين هما المجاز والتوسع (المجازبمعناها اللغوي الواسع في مؤلفات النحاة الأوائل: أبو عبيدة ، والتوسع ، أو الاتساع . في اللغة كما عند سبويه»[1] .

يشرع العمري في محاولات جديدة لاستعادب التراث وتلقي المصطلح البلاغي تلقيا سليما يستجيب والتوظيف البلاغي المعاصر ، ومن هذه المحاولات:

- اعتماد مصطلح انزياح بدل عدول ، لتجنب الدلالة الضيقة لمفهوم مصطلح العدول [2].
- ترجمة مصطلح (ecart) بالانزياح في مفهوم الموسع ليشمل كل حالات التوسع والخروج، بما في ذلك تعدّيه لمصطلح التجنيس.

– نرى أن العمري، يسعى لتجديد علم البلاغة بما في ذلك مصطلحاتها، للوقوف على مجمل العلاقات التي تربط البلاغة العربية بغيرها من العلوم المجاورة والأنساق المعرفية التي تتقاطع معها مصطلحاتها. وقد أتت هذه القراءة الجديدة الواعية التي يريد العمري من خلالها تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه عل أساس « مراجعة مفهوم البلاغة المهيمن، وتعيد إلى هذا العلم الأرض التي استلبت منه فحولته من إمبراطورية مترامية الأطراف إلى مجرد إمارة محصورة داخل أسوار منيعة متمنعة. إن التصور السائد حاليا ، ومنذ قرون هو تصور السكاكي، هوقراءة السكاكي للتراث القديم ،وهي قراءة مشروعة، ولكنها مشروطة بظروف ،وقد صار السكاكي اليوم .ككل القدماء

[1] محمد العمري : أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة . دراسات وحوارات:ص 103

[2] ينظر : مقال منشور لي تحت عنوان: العدول وأبعاده الحجاجية في الخطاب القرآني : بمجلة الدرسات الانسانية والاجتماعية .م9.ع2. ص443 وما بعدها للمقارنة والتوسع.

جزءا من التراث البلاغي، فينبغي أن يدمج فيه قبل القيام بقراءة جديدة ،ومن يومها سيدرس (البيان ، والمعاني ، والبديع) كتصور لمدرسة لا كصوره كلية نهائية للبلاغة العربية»[1] .

يتجلى بوضوح قراءة العمري للتراث ومدى استيعابه للمخطط البلاغي الذي سار عليه القدامى ، حيث وظف في قراءته هاته بعدين اثنين:

1- البعد البيداغوجي

2- البعد التأويلي

البعد البيداغوجي جسّده في القراءة الوصفية للوقوف على الشواهد والأمثلة التي وظفت فيها مجمل المصطلحات البلاغية ، وإن كانت هذه الأمثلة مقطوعة عن سياقاتها.

أما البعد التأويلي وهو الأهم في إشكاليتي التلقي والتوظيف للمصطلح البلاغي لأنه «يساهم في ربط المشاريع والمنجزات والكشف عن خلفياتها أو تفسيرها واستكشاف مساراتها الكبرى ... ويصل بنا هذا البعد التأويلي التركيبي إلى الإقتناع بأن البلاغة العربية أوسع بكثير من هذا اللباس الضيق الذي حصرناها فيه ، حين حكّمنا قراءة واحدة هي قراءة السكاكي ثم المراغي»[2].

1.4- المصطلح البلاغي وخلفيات القراءة

لا يخفى على الناظر في الدراسات البلاغية المعاصرة من زاويتي إشكال تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه ، وما يترتب على ذلك من تداخل وتشارك في دلالات ألفاظ بعض المصطلحات البلاغية ،خاصة القائمة منها على مبدإ المشابهة والمماثلة، حيث إن إشكال تلقي هذه المصطلحات تارة ينسب إلى سيبويه وتارة إلى الخليل ، ومردّ ذلك إلى النظرة السريعة دون تعمق في وظائف هذه المصطلحات ، يقول صمود:« نجد في مؤلفات هذه الفترة كثيرا من السياقات القرآنية

[1] محمد العمري : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها . ص 12 .

[2] المصدر نفسه. 605

والأدبية، يدل تحليلهم لها وتخريجهم لمسائلها على أن الاستعارة كمتصور لم تكن غريبة عن أصحابها وقد أدرجوها ضمن مصطلحات عامة هي المجاز تارة والاتساع وتارة أخرى.»[1]

إن دلالات ألفاظ المصطلحات البلاغية ، هي آلية من آليات التلقي السليم ، لمفهوم المصطلح البلاغي ، وعلى أساس ذلك يتم التوظيف ،وهذا الإشكال يبقى قائما وحادّا عند غياب الوعي بمعاني لفظ المصطلح وما يمكن أن يشتمل عليه من دلالات فرعية من باب الاتساع ، وقد حصر حمادي صمود مثلا معاني مصطلح الكناية في المحاور الآتية[2]:

- استعمالها في المعنى اللغوي الصرف وهو "الصيانة "و"الإخفاء ".
- استعمالها بمعنى الضمير وهو مفهوم نحوي.
- استعمالها بمعنى الدّليل أو العلامة وهو لفظ يشترك فيه لفظ "الكنية ".
- استعمالها بالمعنى البلاغي المصطلح عليه في سياق أسلوب معين .والغالب توظيفها بالنأي عن اللفظ القبيح ، من باب الحياء.

حاول بعض الدارسين المغاربيين المعاصرين في الحقل البلاغي ، إعادة تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه وفق قراءة جديدة معاصرة. والحقيقة التي وجهت هذه القراءة الجديدة هي تلك الخلفيات التي تقف وراءها وتوجهها، فمثلا محمد العمري في مشروعه البلاغي المعاصر ، حاول الكشف عن المصطلح البلاغي العربي، ولكن في نفس الوقت استعان بالبلاغة الغربية القديمة ، ومثله حمادي صمود نجده قد عنون بعضا من أعماله ب: "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، ورغم وضوح دلالة العنوان وهو تتبع النظريات الغربية المتعلقة بمصطلح الحجاج ،إلا أننا نجده يحاول تتبع محطات المصطلح ليؤسس له في الفكر البلاغي العربي المعاصر يقول صمود

[1] حمادي صمود : التفكير البلاغي عند العرب .ص 127

[2] ينظر المرجع نفسه ،ص 128 129.

مثلا:« إن الحقل المعنون لكلمة(rhetorique) لا يطابق في الأعم الحقل الذي تبنيه كلمة بلاغة في السنن العربية»[1] .

إن البحث البلاغي العربي المعاصر،لو اقتصر على التراث العربي لما استطاع إثبات مصطلح بلاغي يستجيب للقراءة المعاصرة تلقيا وتوظيفا.

إن هذه الخلفية المعرفية التي تبناها نخبة الباحثين البلاغيين في الدراسات البلاغية المغاربية حاولت الكشف عن موارد التلقي للمصطلح البلاغي دون اضمحلال أو تعصب أو ذوبان.وهو الأمر الذي ساعد في توسع الدراسات البلاغية المغاربية وتبوئها مكانة عالمية في مجال البحث البلاغي المعاصر.

2.4- المصطلح البلاغي وإشكالية تعدد التسمية

إن طبيعة التواصل بين المرسل والمرسل إلية تقتضي وضوح الخطاب بمصطلحات خاصة تخدم المعنى المقصود، ولكن كثيرا مايقع المتلقي في إشكالية تضارب وتعدد مصطلحات البلاغة العربية مما يحول ومقصدية الخطاب« وأيما كانت المضمرات والأسباب التي تقف خلف قضية التحديد في المضامين البلاغية ، فإن المتلقي في القرن الواحد والعشرين كثيرا ما يلفي ذاته أمام إشكال تواصلي تقضي به طبيعة المصطلحات البلاغيه عامة، ومصطلحات المحسنات البديعية خاصة –لفظيه كانت أم معنوية– مما يدفعه ويحثه إلى الاستخبار عن الفائدة المرجوة من عرض تصورات وآراء كثير من منظري علوم البلاغة العربية في المسألة الواحدة، أو القضايا المتداخلة والمتشابكة ، كما هو الشأن لحظة الحديث عن الحقيقة والمجاز ، والمشترك اللفظي والاستعارة والتشبيه . . .، والعمل على مواجهة تصورات ومستخلصات بعضهم البعض. »[2]

[1] فريق بحث في البلاغة والحجاج : بإشراف حمادي صمود: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص11

[2] أحمد طايعي: التواصل البلاغي من المصرح به إلى المسكوت عنه، الناشر: زاوية للفن والثقافه الرباط ،ط1،سنة 1429 هـ 2008 م، ص18_19.

لقد اختلف علماء البلاغة قديما وحديثا في تعدد تسمية أنواع من المصطلحات البلاغية،ومن بين هاته المصطلحات نذكر ما يلي:

أ- **مصطلح التشبيه** : من أنواع التشبيه ما يتقدم فيه المشبه به أحيانا ويكون منفيا بحرف نفي" ما"، ويتأخر المشبه ويكون مثبتا بحرف الجر "باء "كما في شعر الأخطل من البحر الكامل :

ما رَوضَةٌ خَضراءَ أَزهَرَ نَورُها بِالقَهرِ بَينَ شَقائِقٍ وَرِمالِ
بَهِجَ الرَبيعُ لَها فَجادَ نَباتُها وَنَمَت بِأَسحَمَ وابِلٍ هَطّالِ
حَتّى إِذا اِلتَفَّ النَباتُ كَأَنَّهُ لَونُ الزَخارِفِ زُيِّنَت بِصِقالِ
نَفَتِ الصَبا عَنها الجَهامَ وَأَشرَقَت لِلشَمسِ غِبَّ دُجُنَّةٍ وَطِلالِ
يَوماً بِأَملَحَ مِنكَ بَهجَةَ مَنظَرٍ بَينَ العَشِيِّ وَساعَةِ الإيصالِ
حُسناً وَلا بِأَلَذَّ مِنكِ وَقَد صَغَت بَعضُ النُجومِ وَبَعضُهُنَّ تَوالي

شكل هذا التشبيه نوعا من الغموض والتعددفي التسمية والاختلاف في الدلالة عند القدماء والمحدثين. وذلك لما حمله من منحى تصاعدي خلق نوعا من التنامي في التشبيه بتوظيف الشاعر لعدد من الأفعال (أزهر بهج جاد) لرسم ووصف صورة المشبه ، ويرجع سبب الاختلاف إلى:

3.4- تعدد التسمية عند القدامى

يرى شهاب الدين النويري (ت: 733هـــ) أن هذا النوع مايصطلح عليه باسم« التفريع- فهو أن يصدّر المتكلّم أو الشاعر كلامه باسم منفىّ ب «ما» خاصّة، ثم يصف الاسم المنفىّ بمعظم أوصافه اللائقة به فى الحسن أو القبح، ثم يجعله أصلا يفرّع منه جملة من جارّ ومجرور متعلّقة به تعلّق مدح أو هجاء أو فخر أو نسيب أو غير ذلك، يفهم من ذلك مساواة المذكور بالاسم المنفىّ

الموصوف »[1]، ولكن النويري بإطلاقه مصطلح التفريع على هذا الأسلوب والتركيب ، جعل تسمية المصطلح غير قادرة على استيعاب الدلالات التي جمعها هذا النوع من التشبيه ، وإن كان مصطلح التفريع مختلف فيه في أصل الانتماء عند القدمى،حيث يرى ابن رشيق أن: «التفريع وهو من الاستطراد كالتدريج من التقسيم، وذلك أن يقصد الشاعر وصفاً ما ثم يفرع منه وصفاً آخر يزيد الموصوف توكيداً»[2]

إن قضية تحديد مباحث البلاغة العربية عند القدامى(البيان والمعاني والبديع) ولّد إشكالية لدى المتلقي المعاصر، فكثيرا ما يجد نفسه عاجزا أمام تلقي هاته المصطلحات البلاغية وتوظيفها وفق متطلبات الدراسات اللسانية المعاصرة.

هذا الإشكال اقتضته أحيانا طبيعة نشأة المصطلح البلاغي عامة ، ولعل الأمر واضح وجلي في مؤلفات تناولت بالشروح البلاغية لمثل هذه المصطلحات، كالكناية ، والتوجيه[3] ، والتورية ، والمجاز ، والإيهام ، واالتخيير ... إلخ. يقول محمد مفتاح: « قد بذل البلاغيون العرب مجهودات كبيرة في رصد البديعيات ، ولكنهم اكتفوا بالتصنيف والتلقيب دون البحث عما وراء ذلك من مقاصد ، وحوافز جعلت تلك المحسنات تتمظهر في أنواع مختلفة وفي كيفيات متنوعة »[4]

---

[1] شهاب الدين النويري (ت: 733هـــ): نهاية الأرب في فنون الأدب، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1. 1423 هـــ، ج7.ص160

[2] ابن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 463 هـــ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه.ج2.ص42.

[3] "التوجيه، مصدر توجه إلى ناحية كذا، إذا استقبلها وسعى نحوها، وفي الاصطلاح أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالًا مطلقًا، من غير تقييد بمدح أو غيره، والتوجيه هو إبهام المتقدمين، لأن الاصطلاح فيهما واحد، غير أن الشواهد التي استشهدوا بها على التوجيه، الإبهام أحق بها لطلوع أهلتها زاهرة في أفقه، ولمطابقة التسمية، فإنهم يستشهدون على التوجيه... قد أدخل جماعة نوع التوجيه في التورية وليس منها. والفرق بينهما من وجهين: أحدهما أن التورية تكون باللفظة المشتركة والتوجيه باللفظ المصطلح عليه. والثاني أن التورية تكون باللفظة الواحدة، والتوجيه لا يصح إلا بعدة ألفاظ متلائمة" ينظر: ابن حجة الحموي: (ت: 837هـــ): خزانة الأدب وغاية الأرب، الناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت. الطبعة: الطبعة الأخيرة 2004م، ج1.ص304.302.

[4] محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري. استراتيجية التناص، الناشر : المركز الثقافي العربي ، المغرب. ط1 سنة1985 .ص. 39.

يعود هذا الإشكال حسب الدراسات البلا غية المعاصرة التي تعلقت بقضايا المصطلح تلقيا وتوظيفا أن سبب ذلك راجع لتعدد التسميات والتفريعات لمصطلح واحد ، وقد أشار إلى هذا طه عبد الرحمان أن :« مما زاد قاموس المصطلح البلاغي كثرة التفريعات،فالنوع الواحد من أنواع البديع ينقسم إلى أقسام ، والأقسام تتفرع إلى فروع ، يخترع لكل قسم وكل فرع مصطلح خاص ، وزاد من تضخمه كذلك تعدد الأسماء والمصطلحات في تسمية القسم أو الفرع الواحد كل يسمي بما شاء بدعوى أنه لا مشاحة في الأسماء»[1]

كما أن للقدامى مايبرر لهم ذلك ، حيث نظروا إليها على أنها مصطلحات انقسمت لعلوم ثلاث ولكنها بقيت متعايشة خادمة لبعضها البعض ،كما الشأن عند السكاكي[2] .حيث أشار إلى مصطلحي البلاغة والفصاحة قائلا: « وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها، وأن الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين، فها هنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير على الأعرف منها، وهي قسمان: قسم يرجع على المعنى وقسم يرجع على اللفظ»[3]

4.4- المصطلح البلاغي وتعدد التسمية عند المحدثين

إن الملاحظ في الدرسات البلاغية المعاصرة وخاصة ماتعلق بالبحث المصطلحي تلقيا وتوظيفا ، يعاني كثيرا من المفاهيم الغامضة والمنقولة عن مذاهب وتيارات فكرية تنتمي لأصول تشبعت برؤى معينة تارة نجد منها ما يؤصل البحث البلاغي على أنه عربي النشاة ،وتارة نجد من يقول بأن أصل البحث البلاغي غربي وما الدراسات العربية إلا من قبيل التأثر .

[1] طه عبد الرحمان :في فقه المصطلح الفلسفي العربي، مجلة المناظرة .ع6.سنة1993م.ص74.

[2] علم البديع عند السكاكي " لم يكن ينظر إليه كعلم مستقل قائم بذاته، وإلا لكان عليه أن يعامله معاملة علمي المعاني والبيان، وأن يعطيه من العناية ما أعطاه لهما. " عبد العزيز عتيق: علم البديع، الناشر: ار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. د.ط.د.س.ص43.

[3] السكاكي(ت: 626هـــ): مفتاح العلوم ،ص423.

أ- مصطلح التمثيل في قراءة محمد مشبال

يحيلنا الناقد البلاغي محمد مشبال إلى تلقي مصطلح التمثيل في نصوص الجاحظ ، وما يكتنف المتلقي من إيحاءات ودلالات متعددة تفرضها عدة عوامل، يقول محمد مشبال: « وكما أن صيغة التمثيل البلاغية تسمح بالتأويل والاجتهاد في بناء دلالتها ، فإن التمثيل السردي في أخبار الجاحظ ونوادره يفسح أيضا المجال للقارئ لاستجلاء ما يمكن أن يوحي به من دلالات زائدة عن الدلالة الصريحة. فعلى الرغم من أهمية التلقي التداولي لنصوص الجاحظ السردية، إلا أن هذا لا يعني أنها لا يمكن أن تستجيب لتلق آخر لا يعمد في المقام الأول إلى تأويل مقاصدها وتحديد وظائفها وبيان حججها أو وضعها في سياق تواصلي ملموس، بل يعمد إلى تلقيها في ضوء مفاهيم بلاغة التصوير التي تمنح الأولوية للسياق الداخلي للنص ، ليس من حيث هوبناء مغلق على ذاته، ولكن من حيث هو تكوين غير منفصل عن متنقل يسعى الى ربط النص بمقدرته التأويليه واكتساب أسئلة لا يفرضها عليه بشكل صريح »[1]

ولذا نتج عن هذا الواقع وغيره ، تلقي مصطلحات بلاغية لها عدة مرادفات ومقابلات لمصطلح واحد ،مثل مصطلح العدول والانحراف والانزياح ...إلخ

في هذا الصدد ذهب الدارسون المحدثون في حقل البلاغة إلى أن هذا الفرع من مصطلح التشبيه ، في انفكاك في التعبير، ولعلهم بذلك يريدون إيجاد مصطلح مناسب يتقبله المتلقي ويستسيغه في الأداء الوظيفي له ،حيث يسميه عبد القادر الرباعي وشكري فيصل بالاستدارة التشبيهية والتشبيه الدائري ، ومرد هذه التسمية عند الرباعي هي أن : الذي قام به «الشاعر في

[1] محمد مشبال :البلاغة والسرد والحجاج في أخبار الجاحظ ، الناشر :مطبعة الخليج العربي .تطوان المغرب ، سنة 2010م،ص62

هذا التشبيه ، وهو الدوران من النفي إلى الإثبات ، جعلنا نميزه باسم " التشبيه الدائري"،ليكون لونا جديدا من ألوان التشبيه ينضاف إلى الألوان الأخرى ، كالضمني والبليغ وغيرها»[1]

6- المصطلح البلاغي وإشكالية الترجمة

عمل العمري على في دراسة قيمة بالوقوف على المنجز البلاغي الغربي ، وترجمته للعربية لأجل الوقوف على وظيفة المصطلح البلاغي في بعده الحجاجي المعاصر ولذا تعد « قراءة العمري للمنجز الحجاجي الغربي (قراءة) فتحت أمامه آفاقا جديدة لتحليل الخطاب العربي لاكتشاف آليات إنجازه ، وكانت الخطابة الميدان الذي عمل عليه في مؤلفه الأول : في بلاغة الخطاب الإقناعي »[2] إلا أن الملفت للنظر هو التقنية التي استعملها العمري في تلقي المصطلح البلاغي الغربي وتوظيفه في الدراسات العربية «هو استيعاب العمري للنظرة الحجاجية البلاغية الغربية وعدم تطبيقها مباشرة على النص العربي ،إلا بعد المرور على خصوصيات البيئة التي أنجزت هذا الخطاب»[3]

إن المتأمل في ترجمة العمري للمصطلحات البلاغة الغربية ، كا عملا موازيا بما تحفل به البلاغة العربية من مصطلحات ، فمثلا نقله لبلاغة جماعة مو التي اهتمت بالبديع كان تلقيا وفق المفهوم البلاغي الذي قصده ابن المعتز[4]،« و إذا رجعنا إلى أعمال العمري ضمن مشروعه نجده استهدف بالترجمة عملين هامين هما :

- بنية اللغة الشعرية لجان كوهن، وكانت الترجمة بالاشتراك مع محمد الولي.

[1] عبد القادر الرباعي : الطير في الشعر الجاهلي ، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1 1998 م، ص149.

[2] بوعافية محمد عبد الرزاق :البلاغة العربية و البلاغات الجديدة قراءة في الأنساق بين التراث و المعاصرة ص117.

[3] المصدر نفسه ،ص.117.

[4] ينظر محمد العمري : أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة ، الناشر : أفريقيا الشرق ، المغرب ،سنة 2013م ،ص29.

- البلاغة و الأسلوبية لهنريش بليث. »[1]

- إن هذه الترجمات و غيرها أغنت حقل البحث البلاغي العربي بمعجم جديد يستحق أن يجمع بعد تطعيمه بترجمات أخرى في معجم مصغر ييسر للباحث ولوج البلاغة بمصطلحات مفاتيح تمكنه من حرية التنقل بين البلاغتين العربية والغربية بشكل أيسر وتحدد نقط الالتقاء بين البلاغتين بعد تحويل المسافة الزمنية الفاصلة إلى مسافة ثقافية.[2]

إن تحقيق هاته الغاية النبيلة في التقاء البلاغتين وتعاور مصطلحاتها بما يخدم وظيفة المصطلح البلاغي العربي والغربي، جعل العمري حين « يقرأ الأعمال البلاغية الغربية يحاول إجراء عملية تأويل لمضامينها و لا يسارع لتطبيقها على النص العربي مباشرة ولهذا كان تحليله لنص الخطابة في القسم التطبيقي لعمله خاضعا للرؤية العربية أولا ثم يستعين بالخطاطة الأرسطية عبر برلمان، فالرجل لم يأت بالقالب الحجاجي الجديد ويطبقه بشكل تعسفي على النصوص العربية، وإنما استدعى كل الخلفيات التي تقف وراء النص وتقف وراء تحليل القدماء له»[3]

حظي مصطلح الاستعارة كونه مصطلحا بلاغيا بدراسة البلاغيين القدماء[4] منهم والمعاصرين ، ونقلت ترجمته للعربية بما تحويه من أبعاد دلالية ومفاهيمية كبرى، تجاوزت حتى العلوم الأخرى غير البلاغة العربية، وهو الأمر الذي جعل أرسطو يحتفي بها قائلا: «أعظم الأساليب حقا هو أسلوب الاستعارة...هذا الأسلوب وحده هو الذي لايمكن أن يستفيده المرء من غيره وهو آية الموهبة ، لإن إحكام الاستعارة معناه البصر بوجوه التشابه»[5]

---

[1] بوعافية محمد عبد الرزاق : البلاغة العربية و البلاغات الجديدة قراءة في الأنساق بين التراث و المعاصرة ص120.

[2] ينظر: سؤال المصطلح البلاغي : مجلة البلاغة وتحليل الخطاب ع9.سنة2016م.ص225.

[3] بوعافية محمد عبد الرزاق : البلاغة العربية و البلاغات الجديدة قراءة في الأنساق بين التراث و المعاصرة ص117.

[4] قد أشرنا لأهمية مصطلح التشبيه في الفصل الأول وعمق دلالة مصطلح الاستعارة في الفصل الثاني وأنه من اهتمامات اللسانيين والبلاغيين المعاصرين " وورود تفضيل الاستعارة على التشبيه عند المعاصرين إنما هو ناتج عن عمق الدلالة.... الفصل الثاني :ص10 للمقارنة

[5] أرسطو طاليس : في الشعر ، تر: عيادي شكري محمد،الناشر : دار الكتاب ، القاهرة ، سنة1967م، ص128.

يشير أرسطو من خلال هذا القول إلى أمرين اثنين :

1- صياغة الأسلوب الخطابي من خلال الوقوف على البعد الوظيفي لمصطلح الاستعارة فيه.وهو عنده خاصية كل خطيب دون غيره.

2- القدرة على تشكيل الصورة الاستعارية هو دلالة على محاكاة القول الانساني البليغ ، ومن شبه فقد أبلغ في القول، وهي نظرية قديمة اعتدمها القدامى في التحكيم بين البلغاء.

خلاصة

نجد لهذه الرؤية امتدادا عند الحداثيين ، «المنبع الأساسي لكل شعر هو مجاز المجازات ،هو الاستعارة[1]

ونقل ترجمتها من المعاصرين محمد الولي ومحمد العمري لكتاب" بنية اللغة الشعرية" كوهان جان معتبرا مصطلح الاستعارة هو صانع الانزياح الذي هو محور العملية الشعرية .

يتبين من خلال ما سبق طرحه أن الدرسات البلاغية المعاصرة في مجال المصطلح ، لقيت عدة إشكالات أبرزها كثرة التفريع والتقسيم للمطلح البلاغي الواحد ، في حين أن القدامى لهم مايبرر ذلك على أساس أنها تنتمي كلها لعلم البلاغة وأن هذه التفريعات والتقسيمات هي في الحقيقة منها مايرتكز على الجانب اللفظي ومنها فرضه جانب المعاني .

[1] كوهان جان :بنية اللغة الشعرية ، تر: محمد الولي ، محمد العمري ،الناشر: دار توبقال ،الدار البيضاء المغرب،ط1 سنة1986م،ص170.

المبحث الثاني: المصطلح البلاغي في ضوء الدراسات الأسلوبية تلقيا وتوظيفا

تشير الدراسات المعاصرة إلى امتداد البلاغة العربية وتعالقها مع شتى العلوم والمعارف ، لأجل الوصول إلى الأبعاد المنشودة التي يحققها الخطاب البلاغي ، ببعديه الأسلوبي والحجاجي ، ولأجل ذلك « تقيم البلاغة والأسلوبية ، منذ زمن ، علاقات وطيدة : تتقلص الأسلوبية أحيانا حتى لا تعد أن تكون جزءا من نموذج التواصل البلاغي، وتنفصل أحيانا عن هذا النموذج وتتسع حتى لتكاد تمثل البلاغة كلها باعتبارها بلاغة مختزلة».[1]

1- البلاغة والأسلوبية

ظهرت معالم الأسلوبية في بداية الأمر مع ديرجابلنتس"(deergabelentes)سنة1875م على اعتباره أن الأسلوب هو انزياح يوظفه صاحب النص على الانتقاء ، وهو رأي مأخوذ من تعريف" بيفون(buffon) للأسلوب بأنه هو« الرجل نفسه» [2]

توجهت الدراسات البلاغية المعاصرة إلى وجهتين اثنتين: «يُعنَى أحدهما بصور الأسلوب، بينما يُعنى الثاني بمظاهرالحجاج .وجد الاتجاه الأول في الأدب ما ساعده على الاستقلال بذاته والظهور بأشكال مختلفة، و لم تكن" الأسلوبية "سوى أحد هذه الأشكال، ووجد الاتجاه الثاني في الخطاب الإقناعي ما دفعه إلى الظهور في صيغ جديدة، لعل أهمها ما يسمى اليوم بالبلاغة الجديدة أو نظرية الحجاج .ما استأثر باهتمام هذه الدراسة هو إثبات أن البلاغة هي ممارسة معرفية ينبغي ألا تحصر في دراسة الأسلوب أو دراسة الحجاج، فالبلاغة نظرية شاملة لأي خطاب مؤثر ومنه الخطاب الأدبي، فمساواتها بالأسلوبية ليس سوى اختزال أضر بأساسها التواصلي، كما أن اختزالها في درس المكونات الحجاجية أضر بتاريخها القديم والحديث الذي أثبت قدرتها على وصف أساليب التعبير الأدبي في مختلف أنواعه»[3]

---

[1] هنريش بليت : البلاغة والاسلوبية نحو نموذج سيمائي لتحليل النص،تر: محمد العمري ، الناشر : أفريقيا الشرق، المغرب سنة 1999 م ،ص 19.

[2] صلاح فضل :مناهج النقد المعاصر ،الناشر : أفريقيا الشرق .المغرب ، سنة2002م.ص88.

[3] محمد مشبال: صور اللغة إلى صور الخطاب :دار العين للنشر،الإسكندرية،2011 ،ص149.

يرى مشبال أن اختزال البلاغة العربية في صور الأسلوب أو الحجاج هي نظرة قاصرة ، لم تنصف البلاغة العربية في بعدها الخطابي التأثيري والجمالي ، فهي علم يتغلغل في جميع الخطابات يجمع بين صور الأسلوب وحجاجية مصطلحاته أحيانا إذ« تبدو قضية مسايرة البلاغة للفنون الأدبية الحديثة من أكثرالقضايا صعوبة وتعقيدا؛ إذ كيف يمكن إدراج هذه الأجناس الأدبية مثل: الرسالة والمقالة، والقصة والرواية، والمناظرة والمسرحية، والسيرة الذاتية،وغيرها ضمن مباحث البلاغة؟ وهل سيكون ممكنا سدٌّ ذلك النقص القائم فيها كما أشار بعض دارسي الأسلوب»[1]

إن المتأمل في الدراسات البلاغية القديمة المتعلقة بالمصطلح، يكاد يصف البلاغة بالمعيارية الجامدة ،ولهذا الغرض تساءل بن عيسى بن طاهر عن إمكانية استيعاب البلاغة العربية للأجناس الأدبية المعاصرة

1.1- المصطلح البلاغي بين التلقي ومرعاة الأسلوب

لو أمعنا النظر قليلا في بعض مصطلحات البلاغة العربية وأصل وضعها لوجدنا إشارات وتسميات لبعض المصطلحات والنظريات البلاغية تكاد تكون صريحة في بعض أحيانها إلى مراعاة أسلوب الخطاب البلاغي[2] ،كمصطلح أسلوب الحكيم ونظرية النظم عند الجرجاني ، ولذا كانت «البلاغة الكلاسيكية تصدر عن التصور المعياري فتنسب للمقاصد البلاغية الثلاثة ولتفريعاتها بعض أجزاء الخطاب وبعض الأجناس ، وبعض مستويات الأسلوب . وهكذا فإن النسق البلاغي إذا أخذ في عمومه فإنه يكوّن مجموع منسجما بصورة متميزة. وفي نفس الوقت تسعى البلاغة الكلاسيكية

[1] بن عيسى بطاهر : إشكالية تجديد البلاغة العربية(رؤية في المنهج وطرائق التعليم).ص52.

[2] أشار حمادي صمود إلى جهود القدامى في مراعاة أسلوبية الخطاب ودور بعض مصطلحات البلاغة في ذلك فقال:"نظروا في صور التكرار المختلفة : بإعادة اللفظ والمعنى ، وإعادة المعنى فقط ، وإعادة اللفظ دون المعنى ...ويعتبر درسهم الاستفهام ، أدوات المعاني ،من أبرز المسائل الأسلوبية التي وصلتنا عن هذه الفترة ، ويمكن أن نجزم أن القرون الطويلة اللاحقة لن تضيف شيئا ذابال إلى ماوجدناه عند اللغويين خاصة فيما يتعلق بالمعاني : فذكروا إلى جانب المعنى الأصلي جملة من المعاني يخرج فيها الاستفهام عن وظيفة الاستخبار ويتلون بغرض الكاتب والسياق فيكون للنهي والتحذير ، والتعجب ، والإيجاب والتقرير ، والإنكار ، والتمني ،والتوبيخ."حمادي صمود : التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة) .ص118.

لتوسيع لائحة إمكانيات الأثر منمّية سيكولوجية انفعالية مفصلة. أما البلاغة العلمية الحديثة ، التي تتمسك بوصف النصوص لا بإنتاجها ، فإنها لا تستطيع أن تقتصر لا على نسق المقاصد ولا على الطبيعة المعيارية الكامنة في نسبة مقصد ما لجزء من النص، بل يجب عليها ، بالأحرى ، اعتبار آثار النصوص كظواهر من ظواهر التلقي ».[1]

إن دور الأسلوبية هو الوقوف على صور الأسلوب ، وهي شكل من أشكال التحليل الأسلوبي لبعض الأشكال الأدبية ، حيث إن النصوص الأدبية تعتبر نظاما لغويا منغلقا ولذا كانت« مهمة الأسلوبية هي إقامة نظام لمجموعة الطاقات والإمكانات الموجودة في اللغة اعتباريا . وعلى هذا لا يمكن تصور تمازج كامل ، وتطابق تام بين الأدب ومبدعه، إذ أن العمل الأدبي يتجاوز ما عداه ، ويعطي لنفسه وجودا مستقلا بحيث تتراجع أمام هذا الاستقلال كل الخلفيات النفسية والاجتماعية والتاريخية، سواء أكان ذلك يختص بالمبدع أم بالمتلقي. » [2] وعلى هذا الأساس سعت الدراسات البلاغية المعاصرة إلى المزواجة بين البحث البلاغي الحجاجي والتحليل الأسلوبي للأعمال والأشكال الأدبية ، وهذا الأمر هو الذي جعل أوليفيي روبولي يبحث عن منطقة التقاطع بينهما.يقول محمد مشبال «فقد سعى هذا الدارس إلى التقريب بين الحجاج والأسلوب(أو بين الشعرية والبلاغة)إذ يرى أن الإمتاع والحجاج وظيفتان متلازمتان، فالصورة تضطلع بالحجاج، كما أن الحجة تتسم بمجموعة من الخصائص تقربها من الصورة مثل" انعدام الدقة "و"تفاعل الذوات" و"السجال)...("إن جوهر البلاغة بالنسبة إليه لا ينبغي البحث عنه لا في الأسلوب ولا في الحجاج، بل في المنطقة التي يتقاطعان فيها بالتحديد»[3]

---

[1] هنريش بليت : البلاغة ولأسلوبية نحو نموذج سيمائي لتحليل النص،تر: محمد العمري .ص28.27.

[2] محمد عبد المطلب : البلاغة والأسلوبية .ص 248

[3] محمد مشبال: صور اللغة إلى صور الخطاب،ص22. وينظر محمد العمري :"سنتبنى نحن حلا ثالثا ، لن نبحث عن جوهر البلاغة لا في الأسلوب ولا في الحجاج ، بل في المنطقة regionالتي يتقاطعان فيها بالتحديد . بعبارة أخرى ، ينتمي إلى البلاغة بالنسبة إلينا كل خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب ، كل خطاب تحضر فيه الوظائف الثلاث : المتعة والتعليم والإثارة مجتمعة متعاضدة ن كل خطاب يقنع بالمتعة والإثارة مدعمتين بالحجاج " من كتاب : البلاغة بين التخييل والتداول ،ص22.للمقارنة.

تجدر الإشارة إلى أن البحث البلاغي ينشد طريقه نحو الأسلوبية ، كونها تبرز مختلف القضايا التي يتألف منها النص عبر مستويات التحليل الأسلوبي ، التي تخدم البعد البلاغي من خلال الجمل والمفردات والمصطلحات البلاغية التي تتآلف حينا وتنفصل حينا آخر لتحقيق جمالية الأداء ، وبيان نوع التأثير على المتلقي لأن « البلاغيين قد حاولوا الإفادة من وظيفة التحسين في اللغة، من حيث هي إمكانات لغوية ، لها تصور شكلي محدد في إبراز الناحية الجمالية، التي تتجاوز مجرد الإفهام والإفادة مع مراعاة المقتضى في علم المعاني، أو الإفهام والإفادة بطرق مختلفة كما في علم البيان. فالمحسنات مثّلت عندهم حيلا أسلوبية ، يستعين بها الأديب بعد تحويلها من طبيعتها اللغوية العامة إلى خواصّ فردية، ترتبط بطريقة متميزة في الأداء ، أو تطغى على هذا الأداء فتجرُّه وراءها وتعطل إفادته» [1]

يمكن القول بأن نقاط التقاطع والتشارك بين البلاغة والأسلوبية يمكن جمعها فيما يأتي:

- تسعى كل من البلاغة والأسلوبية إلى تجاوز تحديد وظيفة المصطلح إلى الجانب الجمالي وأثره على المتلقي حجاجيا، ولا يمكن فصل الأسلوب أبدا عن التحليل البلاغي نإذ أن كليهما يسعى إلى تحديد اللغة الإبداعية تلقيا من مبدع النص ، ثم وظيفيا في تشكيل المصطلح البلاغي وأثر ذلك على المتلقي ، لأن«الأسلوبية – كعلم جديد نسبيا– حاولت تجنب المزالق التي وقعت فيها البلاغة القديمة من حيث إغراقها في الشكلية ، ومن حيث اقتصارها على الدراسة الجزئية بتناول اللفظة المفردة ، ثم الصعود إلى الجملة الواحدة أو ما هو في حكم الجملة الواحدة. وهذه الدراسة البلاغية كانت –يوما ما – أداة النقد في تقييم الأعمال الأدبية، وربما ساعدت هذه النقود البلاغية في خلق الأشكال الثابتة لمختلف الأنواع الأدبية ، بما قدمته من نصائح وتوصيات وتقنيات صارمة وضعت بدقه بالغة. »[2]

[1] محمد عبد المطلب : البلاغة والأسلوبية، الناشر : الشركة المصرية لونجومان . مكتبه لبنان. ط1.سنة1994م .ص267

[2] محمد عبد المطلب : البلاغة والأسلوبية ،ص 352 353

إن الدراسة الأسلوبية المعاصرة تناولت استخدامات اللغة عبر مبدع النص أي (الأسلوب)، والكيفيات التي يتعامل معها المتلقي في فهم هذا الأسلوب (الأسلوبية)، وبالتالي فإن المصطلح البلاغي في ضوء الدراسات البلاغية المعاصرة، يتحلل من خلال هاته المفاهيم ويتركب من عدة آليات من شأنها أن توصل إلى فن القول البليغ، إما إقناعا أو إمتاعا، وهذا المفهوم أشار إليه القدامى مما ينبئ على جذور الأسلوبية في التراث البلاغي، يقول السكاكي : «البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز و الكناية على وجهها».[1]

انطلاقا من هذا التعريف نجد السكاكي يركز على أهم الخصائص العلمية و التراكيب اللغوية لإنتاج النص الجيد، وفيه دلالة واضحة على مراعاة الأسلوب عند القدامى فالبلاغة تأسست على إختيار الأسلوب الأمثل، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومراعاة المقام، فعلم الأسلوبية قديم من حيث النشأة، جديد من حيث الظهور و التفرد، و الأسلوبية المعاصرة تراعي « الفن البلاغي المقنن : سواء كان مصدره علم المعاني أو علم البيان أو علم البديع، وغايته الأخيرة تتلخص في فن الإقناع لذا على المنشئ أن يلتفت إلى مستويين عند الإنشاء، الأول : مستوى قبول الكلام وهو الحد الأدنى من البلاغة... والآخر مستوى استحسان الكلام، عندما يطلب من المنشئ مجاراة المثال البلاغي المتعالي على الزمن، وهو لفظ القرآن الكريم الذي لا تحيط قدرة البشر بفهمه، فضلا عن مجاراته»[2].

تسعى البلاغة لتوظيف مصطلحاتها توظيفا سليما يستجيب للانفتاح على اللغة وخارج اللغة، وكل هذا مفاده تحقيق الإفادة لدى المتلقي بأوضح دلالة وأصدق عبارة، للوصول إلى عملية الإقناع، سواء تحقق هذا من مصطلحات علم المعاني أو البيان أو البديع، بيد أن الأسلوبية تهتم بكيفية وطرق إنشاء القول و الكتابة و التعبير، وكيفيات تلقي هاته النصوص بالبحث و التنقيب

[1] السكاكي (626هـ) :مفتاح العلوم ، تح : نعيم زرزور، ص415.

[2] فتحي محمد رفيق، افتخار سليم محي الدين: دلالات مصطلح البلاغة العربية و الأسلوبية الحديثة في النظرية والإجراء، دراسة في المختلف و المؤتلف، مجلة الإشعاع، ع.4، جوان 2015م، ص14.

في الظواهر اللغوية وامتداداتها إلى تلك المعاني التي يقتضيها الأسلوب حتى خارج اللغة نفسها ، حيث : « بذلت البلاغة الغربية الجديدة وتحت مفاهيم مؤكدة كبيرة كما فعل هنريش بليت في : البلاغة و الأسلوبية، وجان كوهن في بنية اللغة الشعرية»[1]

لقد بات سعي الباحثين في الحق البلاغي الغربي إلى الكشف عن قضايا المصطلح البلاغي و علاقته بالأسلوبية المعاصرة.

2- المصطلح البلاغي والتحليل الأسلوبي المعاصر :

لقد تبوأت الأسلوبية مكانة مرموقة في الدراسات النقدية الحديثة، غني اعتبار أن العمل الأدبي تكمن قيمته الفنية و الجمالية في شكله اللغوي وفي طريقة التعبير المنشودة، كما أن :« ارتبط مصطلح الأسلوب فترة طويلة بمصطلح البلاغة La Rhétorique ، حيث ساعد على تصنيف القواعد المعيارية التي تحملها البلاغة إلى الفكر الأدبي و العالمي منذ عهد الحضارة الإغريقية، وكتابات أرسطو على نحو خاص، واكسبت كلمة " الأسلوب" شهرة التقسيم الثلاثي الذي استقر عليه بلاغيو العصور الوسطى، حيث ذهبوا إلى وجود ثلاثة ألوان من الأساليب ÷ي : الأسلوب البسيط ، والأسلوب المتوسط ، والأسلوب السامي»[2]

يعتمد التحليل الأسلوبي على مستويات عدة بعكس التحليل البلاغي، ولذا كان « الالتباس بين اعتبار الأسلوبية من المعارف المختصة بذاتها واعتبارها مجرد مواصفة لسانية أو منهج في الممارسة النقدية»[3]

إن المتأمل في النقد الغربي القديم يرى أن مصطلح الفصاحة يضم الشعرية و البلاغة و الأدب على أنهم جميعا وحدة كاملة، تبادل التأثير فيما بينها، وبالتالي يمكن أن نستنتج ما يلي:

---

[1] محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ والقراءة، دراسات وحوارات: ص103.

[2] محمد عبد المنعم خفاجي، محمد العدي فرهود، عبد العزيز شرف : الأسلوبية والبيان العربي، الناشر: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، سنة1412ه/1992م، ص12.

[3] عبد السلام مسدي : الأسلوبية والأسلوب، الناشر: الدار العربية للكتاب ، ط3، د.س، ص48.

1- تعتمد الأسلوبية[1] على المجال اللغوي، مما يجعلها تدور في مجال ضيق.

2- تتخذ البلاغة اللغة عنصرا من عناصر تحديد وظيفة المصطلح البلاغي، ويكون توظيفه أحد وسائل الإقناع والتأثير، وبهذا يمكن القول أن الأسلوبية قد اقتربت من حلقة الدراسات النقدية، فهي تتخذ اللغة وسيلة من وسائل النقد لفك الرموز اللغوية وما توحي إليه «وعلى هذا يمكننا القول إن علم اللغة هو الذي يدرس ما يقال في حين أن الأسلوبية هي التي تدرس كيفية ما يقال، مستخدمة الوصف والتحليل في آن واحد»[2]

وبالتالي يمكن القول أن :«الحصيلة الأصولية في مقارعة البلاغة بالأسلوبية تتلخص في أن منحى البلاغة متعال بينما تتجه الأسلوبية اتجاها اختباريا، معنى ذلك أن المحرك للتفكير البلاغي قديما يتسم بتصور "ماهي" بموجب تسبق ماهيات الأشياء وجودها، بينما يتسم التفكير الأسلوبي بالتصور الوجودي الذي بمقتضاه لا تتحدد للأشياء ماهيتها إلا من خلال وجودها»

1.2- مصطلح المقابلة

تتخذ الأسلوبية من المصطلح البلاغي وسيلة من وسائل بيان قيمة الإبداع وجمالية النص، فمصطلح المقابلة مثلا مظهر من مظاهر الموازنة والمقارنة بين حالتين وهو أسلوب راق يقدم دورا هاما في بيان التناقض الذي يطمح إليه مبدع النص ليعالج به زاوية من الزوايا أو واقعة من لوقائع، ومثاله قول الشاعر عنترة بن شداد:

قد كنتُ فـــيما مضى أرعى جمالَهُم واليوم أحمي حماهُم كلما نـــُكـــِبُوا[3]

إن أسلوب المقابلة واضح بين الرعي والحماية، وهي مقابلة بين وجهتين يعتبر المجتمع إحداهما سلبية والأخرى إيجابية، وكل هذا وارد من منظور مبدع النص، وهذه رؤية أسلوبية.

---

[1] يعرف: ميشال آريفاي بأن الأسلوبية وصف للنص الأدبي، حسب طرائق مستقاة من اللسانيات، ويعرفها : دولاس وريفاتار: بأن الأسلوبية منهج لساني ينظر: عبد السلام مسدي : الأسلوبية والأسلوب ، ص48.

[2] محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص186.

[3] عنترة بن شداد : الديوان .دار الكتب العلمية بيروت .لبنان .ط1.سنة 1985م.ص10.

2.2- نظرية النظم وعلاقتها بالأسلوبية:

تعد نظرية النظم من أهم النظريات البلاغية، وهي تقيم علاقات جد هامة مع ماهية الأسلوب نظرية و مصطلحا ومفهوما، لأنه مصطلح النظم من أقوى المصطلحات في تكوين هيكل الجملة والنص جميعا، حيث يراعي موقع الكلمة من حيث التقديم والتأخير وموقعها الإعرابي بعد ضمها مع غيرها من الكلمات وهذا ما يعرف في الدراسات الأسلوبية الحديثة بعمليتي الاختيار والتوزيع، مما يفرز انسجاما بين العلاقات الإستبدالية التي هي علاقات غيابية يتحدد الحاضر منها بالغائب"[1]، ولقد استقام مفهوم مصطلح النظم على يد عبد القاهر الجرجاني، حيث أعطاه بعدا مفاهيميا عميقا تجلى من خلال التنظير والتطبيق، ورسمت حدود المصطلح وسماته، حيث عمل على التفريق بين نظم الكلمات ونظم الحروف، لأن «نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، فلو أن واضع اللغة كان قد قال : (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد، وأما نظم الكلام فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء كيف جاء واتفق»[2] لأن البلاغي بصفة عامة والحجاج بصفة خاصة يسعيان إلى إقناع المتلقي أو استدراجه للعدول عن رأيه أو زحزحته عن موقعه.

درج كثير من الدارسين على اعتبار أن النظم هو الأسلوب نفسه عند الجرجاني حيث عرفه أحمد الشايب من خلال منظور الجرجاني قائلا: «إذا سمع الناس كلمة أسلوب فهموا من هذا العنصر اللفظي الذي يتألف من الكلمات فالجمل والعبارات... ومعنى هذا أن الأسلوب معان

[1] عبد السلام مسدي: الأسلوبية و الأسلوب، ص96.

[2] عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ): دلائل الإعجاز، ص28.

مترتبة قبل أن يكون ألفاظا منسقة، وهو يتكون في العقل قبل أن ينطق به اللسان أو يجري به القلم»[1]

إن الأسلوب من عملية إنتاج العقل، وهو يصدر عن قصدية مبدع النص لخلق الإبداع والوصول إلى المراد من مقصدية النظم، فالأسلوب هو صورة النظم والمعاني هي مادته« ذلك أن النص يتحرك ضمن دلالته، ولاشيء يقوى على ضبط هذه الدلالات وتحديد مواقعها أو رسمها وبنائها قدر ما يقوى الأسلوب عليه»[2]. والأسلوب في حد ذاته يستدعي مصطلحات بلاغية يقوم عليها وهي بمثابة « الإجراءات الأسلوبية التي يقوم بها الناظم، فتكسب الأسلوب سمة خاصة، هذه الإجراءات هي التقديم و التأخير، والحذف، والتكرار، والفصل والوصل، والتعريف والتنكير... ومستوى الأسلوب العالي وهو ما حوى الخصائص الأسلوبية من تقديم وتأخير، وتكرار، وحذف، وإضمار، وتعريف وتنكير»[3]

إن نظرية النظم عند الجرجاني، أحدثت تنوعا في مجال البحث البلاغي المعاصر، ومنه استمدت الأسلوبية آليات التحليل و النقد، وإذا أمكن تحديد «الأسلوب على هذا النمط، فإن العمل الأسلوبي لا يعدو أنيكون تفكيكا للعناصر المكونة لجهاز الإبلاغ لتتبع ما يحدث بينهما عند التفاعل وما ينقطع عند الإنفصال، وذلك بطريق العزل و الضم، حتى تتجلى المفارقات والمقاربات اختيارا، على أن هذه الوجهة في عقلنة ماهيات الأسلوب كظاهرة لسانية فنية ما إن تتدبرها في أصولها ومراميها حتى نستكشف السلك الرابط بينها وبين تقديرات المنهج البنيوي في الأدب والنقد... وتبقى التقديرات التاريخية والسيسيولوجية وحتى الأيديولوجية في معزل عن مشاغلها»[4] كما أن الأسلوبية أغنت الدراسات البلاغية المعاصرة، خاصة ما تعلق بقضايا المصطلح و أبعاده

---

[1] أحمد الشايب : الأسلوب-دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية- الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ط3، سنة 1411هـ/ 1991م، ص40.

[2] منذر عياشي : الأسلوبية وتحليل الخطاب، الناشر : دار نينوى، دمشق، ط1، سنة 1436ه/2015م، ص14.

[3] محمد عبابنة: التفكير الأسلوبي –رؤية معاصرة في التراث النقدي و البلاغي في ضوء الأسلوب و الحديث، الناشر : عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، سنة2007م، ص101/100.

[4] عبد السلام مسدي : الأسلوب و الأسلوبية، ص94/93.

الوظيفية لتحقيق جمالية النص أو الإبداع أو التأثير في المتلقي لأن الأسلوب يمثل خاصية فردية متميزة للنص، كما أنه يعتبر كمثال عن شخصية الكاتب وتوجهاته الفكرية، وميولاته العقلية على حد اعتبار (بيفون) بأن الأسلوب هو الرجل نفسه، وقد يتحدد صاحب النص أو قائله من خلال أسلوبه في التعبير ويكون النظم أحد أبرز الآليات البلاغية في سلامة الأسلوب، وبلوغ صاحبه إلى هدفه المنشود، ولعل هذه الدوافع هي التي حافظت على بقاء نظرية النظم واستقلاليتها، دونما إدراجها تحت مصطلح الأسلوبية، مع أن كثيرا من الدارسين المعاصرين، يرون أن النظم لصيق بالأسلوب إلى حد كبير

3- المصطلحات البلاغية وعلاقتها بالأسلوبية :

تحتل الدراسات الأسلوبية منزلة كبيرة فيما يتعلق بالدراسات النقدية المعاصرة والتحليل الأسلوبي للمصطلح البلاغي لتحديد مستويات الكلام، على اعتبار أن الأدب هو فن القول، تبرز قيمته الأدائية في طريقة التعبير ومستوى توظيف المصطلح البلاغي، لتحديد الجنس الأدبي وفق هذه الإختلافات و التباينات في طريقة الأداء و التوظيف، وهذا يجعلنا نقف أمام تساؤل عن ماهية العلاقة بين الأسلوب والمصطلحات البلاغية التي وجدت قبلة، ثم واكبته تلقيا وتوظيفا، وأهمها البلاغة كمصطلح وكعلم.

يقول العمري في ترجمته لكتاب " البلاغة والأسلوبية لهنريش بليث" كإجابة عن هذا التساؤل قائلا: «قال يول غيرلين في كتابه المشهور " الفن الشعري" 1882م أمسك بالفصاحة و ألو عنقها»[1]

إن النص الوارد يوحي هيمنة البلاغة على التفكير الشعري والنثري قديما وحديثا، وأن البلاغة هي من رسمت الخطوط العريضة لبوادر ظهور الأسلوب، وما نظرية النظم مع الجرجاني إلا آلية من آليات بلوغ المستوى العالي من الأسلوب في طريقة الأداء، وقد ركزت البلاغة القديمة على انتقاء

[1] هنريش بليث : البلاغة والأسلوبية : تر: محمد العمري، الناشر: أفريقيا الشرق –المغرب- سنة 1999م، ص21.

الصور الفنية والمصطلحات البديعية واعتبرتها من أهم المحاور الأساسية في تحليل النصوص وفهمها وفق نظام وأسلوب لغوي خاص يحترم قواعد اللغة العربية، ولقد ظل هذا الأمر يتطور تاريخيا في حقل الدراسات البلاغية بين تلقي المصطلح البلاغي و وتوظيفه أسلوبيا إلى غاية ظهور مصطلح الأسلوبية مع بداية القرن العشرين تزامنا مع ظهور الدراسات النقدية الحديثة التي جعلت من الأسلوب علما خاصا يدرس ويستعمل في تحليلالنصوص ليتخذ بذلك مصطلح الأسلوبية، وهو الأمر نفسه مع البلاغة عندما اقتصر دورها على انتاج النصوص، حيث صار المفهوم العلمي الحديث للبلاغة... هو تحليل النصوص، لاإنتاجها فقط[1].

وبالتالي يمكن القول أن البلاغة المعاصرة والأسلوبية هما منهجان لتحليل النصوص، وتتخذ البلاغة نوعية من الأسلوب أداة لتوضح العمل الفكري والبلاغي، والأسلوبية تتخذ من تحليلاتها للمصطلحات البلاغية والصيغة الوظيفية أداة ومستوى من مستويات التحليل الأسلوبي وهو « المستوى البلاغي" وتعتبر " الأساليب البلاغية التي جاء بها القرآن أكثر إبانة عن المعنى من الإستعمال الحقيقي ، وأشد ملائمة لروح الدعوة التي تقوم على الترغيب والترهيب وضرب الأمثال للاعتبار وما إلى ذلك من الطرق التي تقتضي المزج بين صنوف التعبير»[2]

فعلى ضوء ما سبق يمكن استنتاج ما يلي :

1- يعتبر النص هو المحور الأساس الذي يمكننا من خلاله تحديد المعطيات الأسلوبية وفيه يلتقي المرسل مع المتلقي، وأي نص لا يخلو من أسلوب معين، أما التحليل الأسلوبي فهو العلم الحديث الذي بواسطته يمكن تحديد مستويات الخطاب من خلال المكون التصويري لها وهو ما يعرف عند القدماء بمصطلحات علم المعاني وهي التشبيه، والإستعارة ، والمجاز والكناية، وهي مجموعة تحت مصطلح الصورة الفنية في النقد الحديث لأن « الأسلوبية مرتبطة تاريخيا بالبلاغة»[3]

[1] ينظر : هنريش بليث ، البلاغة والأسلوبية، تر: محمد العمري، ص23.

[2] حمادى صمود : التفكير البلاغي، ض572.

[3] صابر الحباشة : الأسلوبية والتداولية –مداخل لتحليل الخطاب_ ص08.

2- تشكل مصطلحات التقديم والتأخير و الذكر والحذف، والتكرار و الالتفات مكونا أساسيا في التحليل الأسلوبي، وهي تمد البلاغة بقوة حجاجية وتفيد الأسلوبية بتحديد كافة أشكال الإنزياحات و الإنحرافات الأسلوبية، للكشف عن المكون التركيبي للأسلوب لحظة إبداع النص على رأي من يرى أن « الأسلوب وليد النص ذاته _لذلك يستطيع الأسلوب أن ينفصل عن المؤلف المخاطب لأن رابطة الرحم بينهما حضورية في لحظتي الإبداع و الإيقاع، وهذا المنظار في تحديد ماهية الأسلوب يستمد ينابيعه من مقومات الظاهرة اللغوية في خصائصها البارزة ونواميسها الخفية»[1]

يقول الشاعر التونسي مصطفى خريّف في قصيدته "راقصة" :

رنّت الأوتار سكرى اللحن،تَخْفَى ثم تظهرْ صوتُها مختلف التوقيع، يعلو ثم يقصرْ

تارةً يمتد كالنور، وطورًا يـــتكـــــسّر تارة كالنار، يبذكو جاحم منه مسعر

وأوانًا سلسل الأنغام، ينساب كككـــــوثر وأوانًا كـــنســـيمٍ، وأوانًا مـــثل صرصَر

كاندفاع البحر في الشاطئ بـــالأمواج يزأر أوكـــيـنـــبوعٍ بدا فوق صخور يـــتفجّر

2.2- التحليل الأسلوبي للصورة الفنية :

وظف الشاعر أداة التشبيه " **الكاف**" لإبراز الصورة الشعرية

-كالنور...، كالنار...، ككوثر...، مثل صرصر

كاندفاع البحر في الشاطئ... كينبوع بدا فوق صخر.

[1] عبد السلام مسدي : الأسلوب و الأسلوبية، ص88-89.

إن هذه الأنواع من التشابيه تمثل صورا فنية خاصة، متناغمة ومتكاملة في الأداء الوظيفي، ولجوء الشاعر إلى هذا النوع من التشبيه فيه نوع من البساطة في الأسلوب وهو التشبيه المرسل عند البلاغيين وهو أوضحها دلالة لبروز مكوناته الأربع : المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه، وكل هذا أدى إلى بروز ووضوح الصورة الواصفة ، والصورة الموصوفة، لأن الغرض هو عرض العناصر وبيان تمازها في الوصف، ولربما كان لهاته العناصر أن تلتبس لو لجأ الشاعر إلى التشبيه العميق عبر علاقة الاستعارة وتوظيف المجاز، حيث كان غرض الشاعر هو إظهار عناصر الطبيعة التي بدت تتفاعل وتتواشج فيما بينها لتكشف عن النزعة الصوفية لأسلوب الشاعر.

3.2- المصطلح البلاغي وأثره في فخامة الأسلوب :

لقد عرف التراث العربي ظاهرة الأسلوب قديما، لأنه متعلق باللغة، واللغة سابقة على البلاغة العربية، وخير دليل على ذلك أن مصطلح البلاغة عرف قديما بمعناه اللغوي بالفصاحة والإبانة، ولذا كان الأسلوب في الدراسات الغربية يعتبر من بصمات صاحب النص ومبدعه، ولذا اختلفت مستويات الأسلوب تبعا لأصحابها، وبقدر توظيفهم لنوعية المصطلح البلاغي، وهو جزء هام في فخامة الأسلوب أو بساطته، لأن « الأسلوب عملية واعية تقوم على اختيار يبلغ تمامه في إدراك كل مقوماته... وفكرة الإختيار هذه تحديد ماهية الاسلوب تمتزج في بعض الأحيان بكل مقتضيات عملية الإبلاغ اللساني، فلا تتميز بالسمة الإبداعية وتظل شعاعا لدائرة الحدث الخطابي عامة، من ذلك أن أحمد الشايب يحدد موضوع الظاهرة الأسلوبية انطلاقا من تحليل الأسلوب إلى عناصر" الفكرة والصورة والعبارة"فيه، فينتهي إلى أنه عملية اختيار تتسلط على تلك العناصر المكونة استنادا إلى تصرف الصياغات»[1]، لأن وظيفة الأسلوب وظيفة لها أبعادها التأثيرية، إضافة إلى ما تنتجه اللغة من معاني، فهو القوة التي بواسطتها يملك مؤلف النص التأثير في المتلقي وخلق الإبداع للتمايز والتغاير بين مختلف النصوص، وإن اتحدت مضامينها وأهدافها، وهذا راجع إلى عدة عوامل يوظفها وينتقيها مؤلف النص في أسلوبه الخطابي ومن أهمها ربط بعض حالات التعبير

[1] عبد السلام مسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص75.

ببعض المصطلحات البلاغية وتوظيفها توظيفا يخدم أسلوبية الخطاب المراد ويصل به إلى المستوى المطلوب على حسب المتلقي له، حتى يجعله مقبلا عليه مدبرا عن غيره مما تشابه من النصوص، ومن هاته المصطلحات البلاغية يذكر الحسين بنو هاشم في كتابه " بلاغة الحجاج الأصول اليونانية" سبع قواعد تمثلت في ربط الأسلوب ببعض المصطلحات البلاغية لأجل فخامته فقال : « 1- في حالة الإطناب (L'ampleur) ينبغي اللجوء إلى شرح الشيء بدلا من إستعمال إسمه، والعكس في حالة الإيجاز (La concision)

2-يرتبط الإختيار بين الإيجاز و الإطناب بطابع البذاءة أو عدم الملائمة في العبارة... وهي معايير أسلوبية

3-استعمال الاستعارة والنعوت مع الحذر من السقوط في الأسلوب الشعري

4-استبدال الجمع بالمفرد... وهذا لأجل مراعاة الأسلوب

5-عدم الجمع بين الكلمات، بل تقديمها متتابعة مستقلة إذا رغبنا في الاطناب والعكس إذا أردنا الإيجاز.

6-التعبير باللجوء إلى الربط، فإن قصدنا إلى الإيجاز استغنينا عنه، لكن مع تجنب الفصل...

7-الحديث عن الأشياء التي لا توجد في الموضوع، وذلك يمكن من فتح مجال لانهائي للإطناب...»[1]

المتأمل يلمس أثر الأسلوب واضحا في توظيف المصطلح البلاغي فقوله :مع الحذر إذا رغبنا ... إن قصدنا ...

يعتبر الأسلوب هو الخاصية المميزة للكاتب، حيث يعتبر الجامع لكيفية التعبير في القول وبين مضامين هذا القول، فالإطناب توظيفه يتطلب ذكاء وخبرة وهكذا توظيف سائر المصطلحات

[1] الحسين بنو هاشم : بلاغة الحجاج _الأصول اليونانية- ص 337/336.

البلاغية للرقي بالأسلوب، فلكل مقام مقال لأننا « حين ننظر إلى القضية الجوهرية في الخطاب الإقناعي، وهي قضية المقام الخطابي وملائمة الخطاب للأحوال إعتمادا على ثقافة اجتماعية ونفسية... والمجاز أكثر من غيره يعطي الوضوح والمتعة والطابع الغريب... لكن يجب علينا أن نستعمل المجازات والصفات الملائمة، ويتحقق هذا بالتزام المناسبة السليمة»[1].

إن تمثيل ومحاولة تجسيد فكرة ما بأسلوب بلاغي، يجعل الأسلوبية تتوسل ببعض المصطلحات البلاغية القديمة تلقيا وتوظيفا، وذلك ما يجعل الباحث في الدراسات البلاغية المعاصرة يلمس تلك العلاقة الواسعة والممتدة بين الدرس البلاغي القديم والأسلوبية المعاصرة، وهذا مادفع بالنقاد إلى دمج بعض المسميات الإصطلاحية مراعين في ذلك إشكالات التلقي والتوظيف لأجل التعامل معها وفق أصل وضعها، واستيعابها للمفاهيم المعاصرة، فمصطلحات : الإستعارة والكناية هي عند القدماء بمثابة مصطلحات منفردة تتم دراستها مجزأة أما الدراسات الأسلوبية المعاصرة احتوت هذه المصطلحات تحت مسمى "الصورة الفنية" ، وهذا راجع لربما إلى أن القدماء اشتغلوا على القضايا الشكلية خلال تحليلاتهم للنصوص، حيث كانت تحليلاتهم مثلا لمصطلح التشبيه تقف على « صفات خارجية لا تتصل بالقيمة النفسية للأشياء أو بالمحتوى العاطفي للكلمات، بقدرما تتصل بالتناسب المنطقي بين الأطراف والتطابق المادي بين العناصر»[2]

فالأسلوب عنده «انحرافا فرديًا بالقياس إلى قاعدة، وكذلك (جيرو) يصفه بأنه "انزياح يعرف كميا بالقياس إلى معيار»[3]

[1] محمد العمري : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص277/278.

[2] جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة 1974م، ص212.

[3] – ينظر: كوهن جان: بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي/ محمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب، 1986، ص 15 ،16.

"الأسلوب التعبيري – إذا جاز القول – علاقة النص بالمنشىء، وعلم الأسلوب التأثيري علاقة النص بمتلقيه وعلم الأسلوب الموضوعي معالجة النص في ذاته، »[1].

إن مصطلح الأسلوبية قد أطلقه الباحث "**فون درجابلنتس** 1875 م" على دراسة الأسلوب عبر الإنزياحات اللغوية والبلاغية والكتابة الأدبية، أو هي ما« يختاره الكاتب من الكلمات والتراكيب وما يؤثره في كلامه عما سواه لأنه يجده أكثر تعبيرًا عن أفكاره ورؤاه»[2]

وقد رد (نور الدين السد) فيما ذهب إليه الباحث (منذر العياشي) خاصة في عدم اعتبار الأسلوبية علمًا قائمًا بذاته له موضوعه المستقل، وهو الخطاب الأدبي وله خصائصه المعرفية وأدواته الإجرائية التي تميزه عن سواه من المعارف،«فهذا لا يعني أن الأسلوبية ليس لها كيانها الخاص بها، وعليها أن تذوب في اللسانيات أو تذوب اللسانيات فيها، ولعل اعتقاد الباحث بأن بحث اللسان هو موضوع اللسانيات والأسلوبية، والواقع أن هناك فرقا بينهما في الموضوع، فاللسانيات موضوعها اللسان بصورة عامة في جميع تجلياته، أما الأسلوبية فموضوعها الخطاب الأدبي وأساليبه»[3].

يتبين من خلال ماسبق ذكره أن الأسلوبية المعاصرة وظفت المصطلح البلاغي وفق قواعد إجرائية يتخذها منتج الخطاب مراعياالقيم المؤثرة كالجانب الإنساني والعاطفي ... وذلك لجل الرقي بالأسلوب ، فمصطلح الصورة الفنية هو من أكثر المصطلحات التي تبنتها الأسلوبية المعاصرة لما يجمع من قيم نفسية وتتناسب مع الوجود الخارجي الذي يعيش فيه الإنسان.

[1] – نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث (تحليل الخطاب الشعري والسردي)ج1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 60.

[2] – نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، مرجع سابق، ص 11.

[3] – نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص 51، 52.

المبحث الثالث: المصطلح البلاغي والبعد التداولي المعاصر

تمهيد:

أثرت التداولية إلى حد كبير في الجوانب الوظيفية للنصوص ، ومن ذلك استجابة المتلقي للخطاب البلاغي ، وعلى هذا الأساس يعرف ياوس مصطلح التلقي على أنه «معنى مزدوج يشمل الإستقبال أو التملك و التبادل معا »[1] ،وعلى هذا الأساس يرى عبد الله صولة أن البلاغة الجديدة هي بلاغات ،حيث يعتبر أن قصر مفهوم البلاغة الجديدة على مصطلح الحجاج و أنها هي الحجاج بنفسه قد يحد من فاعلية التلقي و التأويل ، وهذا لا يعني في نفس الوقت تعارض هذة البلاغات أو تنافرها بل تكاملها و انسجامها لخدمة العملية التأويلية لدى المتلقي ، يقول محمد مشبال : «البلاغة كما يرى معظم المفكرين البلاغيين المعاصرين_ ماثلة في كل النصوص ، بل إنها مكون طبيعي في أشكال التواصل الإنساني ...هذا هو موضوع البلاغة ، الذي قد يتجسد أحيانا في مجموعة من البنيات الإقناعية (البلاغة الحجاجية) ، وأحيانا في مجموعة من الصور و الوجوه الأسلوبية ذات الوظيفة التحسينية (بلاغة المحسنات) و أحيانا أخرى قد يتجسد في مجموعة من الصيغ التعبيرية و التصويرية التي تفرزها مختلف الأجناس و الأنواع و الأشكال و النصوص الأدبية ...(البلاغة الأدبية)»[2]

1- مفهوم التداولية

1.1- لغة :

وردت كلمة التداولية لغة على معنيين اثنين أحدها التحول والثاني الاسترخاء يورد ابن فارس الجذر اللغوي لمادة: (دول) الدال والواو واللام أصلان: أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدل على ضعف واسترخاء.

---

[1] هانز روبرت ياوس : جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي ، تر :رشيد بنجو ، الناشر :المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ط1،سنة2004م ، ص101.

[2] ينظر: محمد مشبال، البلاغة و الأصول ، أفريقيا الشرق، المغرب ،سنة2007، ص07.

أما الأول فقال أهل اللغة: اندال القوم، إذا تحولوا من مكان إلى مكان. ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدولة والدولة لغتان. ويقال بل الدولة في المال والدولة في الحرب، وإنما سميا بذلك من قياس الباب; لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا.[1]

وتداولوه: أخذوه بالدول. ودوليك، أي: مداولة على الأمر، أو تداول بعد تداول.[2]

ونجد المعنى متقاربا للتحول والاسترخاء عند الزمخشري المفسر البلاغي في كتابه أساس البلاغة قائلا: «د ول دالت له الدولة. ودالت الأيام بكذا. وأدال الله بني فلان من عدوّهم: جعل الكرّة لهم عليه. وعن الحجاج: إن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها. وفي مثل " يدال من البقاع كما يدال من الرجال « وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد. واستدلت من فلان لأدال منه. واستدل الأيام: استعطفها. قال: إستدل الأيام فالدهر دول والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم. والدهر دول وعقب ونوب. وتداولوا الشيء بينهم. والماشي يداول بين قدميه: يراوح بينهما. وتقول دواليك أي دالت لك الدولة كرة بعد كرّة. وفعلنا ذلك دواليك أي كرات بعضها في إثر بعض»[3]

1.2- التداولية اصطلاحاً:

تعدّ التداولية المقابل العربي للمصطلح الإنجليزي (Pragmatics)، الذي يعود إلى الفيلسوف تشارلز موريس. وفي هذا المقام يجب أن نفرّق بين مصطلحين هما: "براجماتكس" الذي

---

[1] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ): معجم مقاييس اللغة. المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر. عام النشر: 1399هـ - 1979م.ج2.ص314.

[2] مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ): القاموس المحيط،تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي،الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. ط: 8، 1426 هـ - 2005 م.ص1000.

[3] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ): : أساس البلاغة،تح: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م،ج1.ص303.

يستخدم في المجال اللساني ويشيع ترجمتها إلى العربية بالتداولية؛ لأنها توفي المطلوب حقّه، بوصف دلالته على معنيي الاستعمال والتفاعل معاً[1]وهكذا تعددت تسمياتها مقابل المصطلح الغربي«البراغماتية والبراغماتيك،البرجماتية والبراجماتيك، وليس بين هذه الاصطلاحات فرق، بعدّها نقلا حرفي ا للكلمة الأجنبية، وقيل: التّداوليّة، المقامية، الوظيفيّة، السياقيّة، الذرائعيّة، النّفعية ... وبين هذه التعبيرات في الواقع فروق لا تسمح باستعمالها مترادفة، لتكون مقابلة للمصطلح الأجنبي... »[2]وفي تراثنا اللغوي والنحوي ما يؤكد اهتمام النحاة بالبعد التداولي للظاهرة اللغوية، وذلك من خلال إشارات كثيرة وردت هنا وهناك مبثوثة في بطون الكتب[3]

1.1.2- التداولية في اصطلاح الغربيين:

يعود أصل اشتقاق مصطلح التداولية عند الغربيين إلى الكلمات الاغريقية التي تعني : الفعل، التنفيذ، الإنتهاء ، إتمام الفعل، التأثير في الآخرين، نتيجة الفعل

ويعرفها فان ديك تون قائلا « إن التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات و مستعملي هذه العلامات».[4]

3 – جذور التداولية في التراث العربي

يشير طه عبد الرحمان إلى أصول النظرية التداولية في التراث العربي وإلى تأصيل هذا المصطلح قائلا:«إني وضعت هذا المصطلح – يعني التداولية - منذ سنة (1970)، في مقابل (pragmatique)ولو أن التداوليين الغربيين علموا بوجود هذه اللفظة في العربية لفضلوها

---

[1] عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، سنة 2000، ص 28.

[2] خليفة بوجادي :في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، دار الحكمة، سطيف، ط 1 : 200:659

[3] انظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند علماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.

[4] ينظر فان ديك تون أ ، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، تر سعيد حسن بحيري، دار القاهرة ،القاهرة، ط2، 2005،ص115

على لفظة(pragmatique) ، لسبب واحد، وهو أنها لا توفي بالمقصود من علم التداول، فلفظة التداول تفيد في العلم الحديث الممارسة... وتفيد أيضا التفاعل في التخاطب... ثم بالإضافة إلى ذلك أنها من مادة واحدة ولفظة الدلالة نفسها، يعني أن التداول سوف يرتبط بالدلالة, فإذن هذا هو التبرير العلمي الأولي لمصطلح التداول»[1]

نجد في تراثنا العربي مايوحي بالبعد التداولي ، في بعض العلامات اللغوية ومستعميلها كالنحو مثلا للوقوف على الأساليب الاقناعية "وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها، فإنّ العلم بقوانين الإعراب، إنما هو علم بكيفية العمل بتلك القوانين..... فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل، وبَعُدت عن مناحي اللسان وملكته، وما ذلك إلا لعدولهم عن البحث في شواهد اللسان وتراكيبه وتمييز أساليبه، وغفلتهم عن المران في ذلك للمتعلم، فهو أحسن ما تفيده الملكة في اللسان، وتلك القوانين إنما هي وسائل للتعليم،

لكنهم أجروها على غير ما قُصد بها، وأصاروها علما بحتا، وبَعُدوا عن ثمرتها "[2]

ويؤكد هذا البعد اللغوي التداولي في تراثنا العربي عبد القاهر الجرجاني رائد البحث البلاغي وإعجازه في الخطاب القرآني«مما يعلم به ضرورة أنه لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم أنك تقول: "أقلت شعرا قط؟ "، "أرأيت اليوم إنسانا؟ "، فيكون كلاما مستقيما. ولو قلت: "أأنت قلت شعرا قط؟ "، "أأنت رأيت إنسانا"، أحلت، وذاك أنه لا معنى للسؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا، لأن ذلك إنما يتصور إذا كانت الإشارة إلى فعل مخصوص نحو أن تقول: "من قال هذا الشعر؟ "، و "من بنى هذا الدار؟ " و "من أتاك اليوم؟ "، و "من أذن لك من الذي فعلت؟ "، وما أشبه ذلك مما يمكن أن ينص فيه على معين. فأما قيل شعر على الجملة، ورؤية إنسان على

---

[1] طه عبد الرحمن: الدواليات والتداوليات، البحث اللساني والسيميائي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، ط1، المغرب، 1984، ص 299.

([2]) ينظر:ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تح: خليل شحادة،الناشر: دار الفكر، بيروت. الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.ص774.
ص160 وص561.

الإطلاق، فمحال ذلك فيه، لأنه ليس مما يختص بهذا دون ذاك حتى يسأل عن عين فاعله. »[1]
كما نجد أبعادها وأصولها عند السيوطي وهو من العلماء المنشغلين بالدراسات اللغوية المتعلقة بالخطاب القرآني مبينا قيمة البعد التداولي في التفسيروعلى أنها عديدة ومتنوعة لتحقيق الإقناع فقال « وأما القرائن المعنوية فلا تنحصر»[2]

ونجد جذور التداولية عند الجاحظ من خلال تقسيمه للبيان إلى عدّة وظائف أهمهاالوظيفة التأثيرية التي تحمل جانبا مهما في التداوليات الحديثة إذ يقول محمد العمري «إنّ هذاالبعد هو أحد الأبعاد الأساسية في البلاغة العربية ،و هو بعد جاحظي في أساسه ، وانّ تخلي البديعيين عنه في مرحلة لاحقة أدى إلى اختزال البلاغة العربية وتضيّق مجالها ، وتحظى نظرية التأثير و المقام حاليا بعناية كبيرة في الدارسات السيميائية ،ومن ثمّ الشروع في إعادةالاعتبار إلى البلاغة العربية تحت عنوان جديد هو" التداولية "»[3] ، أما الخطاب القرآني فهو غني في هذا المجال بتعدد أساليبه في شتى أنواع القصص والمحاورات التي جرت بين قوى الإيمان المؤيدة يالوحي وقوى الطغيان التي خرجت عن طريق الايمان ، لتبرر طغيانها واتباعها طريق الغواية والضلال يقول الحق سبحانه﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾[4].
وتصريف الآيات يشمل تنويع الحجج والبراهين على قضية واحدة، فيؤتى للقضية الواحدة بأكثر من دليل وبرهان، فتتابع عليهم الحجج وتُصرَّف لهم الأمثال والعبر. ويشمل تصريف الآيات تنويع الأساليب، فيؤتى بالدليل الواحد بأكثر من أسلوب: فتارة بالخبر، وتارة بالاستفهام، وأخرى بالنفي والإثبات، وأحيانا بضرب الأمثال أو القصص، ونحوها. وكل ذلك وارد في القرآن. »[5]

---

[1] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـ):دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر،الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة،الطبعة: الثالثة 1413هـ - 1992م،ص112.

[2] جلال الدين السيوطي : التقان في علوم القرآن ، الناشر : المكتبة الثقافية ،بيروت ، سنة1973، ج02.ص214.

[3] محمد العمري :البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،إفريقيا الشرق،المغرب ،د ط ، 1999 م.ص293.

[4] سورة الإسراء آية 89 .

[5] عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع :الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط: 1، 1424هـ/2003م ج1.ص12.

1.3 المصطلح البلاغي في ضوء المقاربة التداولية للخطاب القرآني عند المفسرين

عرفت اللسانيات الحديثة اليوم تفتحا كبيرا شمل معظم المعارف والعلوم ، ولذا كان لزما على الفكر العربي المعاصر أن ينفتح على مجمل النظريات العلمية التي نادت بها اللسانيات التي نجد بعدها التاريخي ضاربا في أعماق التراث العربي ، ضمن أنساق لغوية وبلاغية ونحوية وعلم الكلام والأصول ...إن« الحداثة والمعاصرة توأمان يتجاذبان الفكر العلماني الحديث حتى لكأن عصر البدائل . عصرنا، لا أن المنحى التطوري قد عدمته حضارة السالفين ، وإنما تفاوت ما بين تسارع الحركة الماضية وتسارع المفارقات. الحركية يومنا . ولئن تمثل الفكر الغربي هذين التوأمين منذ أحقاب حتى صُهِرا في بوتقة تاريخيته . فإن المنظور العربي لا يزال يتصارع وإياهما . لذلك ولغيره كانت القضية أشد ملابسة بالعربي في تحسسهم سبل المناهج المستحدثة وأبعد تعلقا بمشاغل اتصالهم بغيرهم أو انفصادهم عنه»[1]

إن البعد التداولي يجسد بحق الأوصاف العملية لتوظيف المصطلح البلاغي التي يتجلى بها الخطاب لأجل بيان الأغراض المقامية لمرسله، ولعل الخطاب القرآني قد حظي بنصيب وافر من الدراسات والتفسيرات في بعدها اللساني المعاصر ،كونه نزل بلسان عربي موافق لقواعد اللغة وأصولها ، وبالتالي فهو خطاب مقدس تجلى فيه المصطلح البلاغي بأبعاده الحجاجية التداولية ، حيث تحاورت فيه الذات مع نفسها أحيانا ومع غيرها أحيانا أخرى في قالب لغوي عجيب ،بغية الإقناع والتأثير ،لإبراز حقيقة العلاقة بين الخالق والمخلوق المبينة أساسا على الاختيار ورفع الرفع في أفعال كلامية تراوحت بين الترغيب والترهيب.بمعان خاصة كالتحسر والتهديد والتهويل والتشويق.فكانت التداولية«هي أحد المناهج اللغوية الحديثة التي صححت مسار علم اللغة الحديث ، متداركة بذلك العديد من نقائصه،وتنطلق التداولية من أن الوقوف بالدراسة اللسانية عند حدود بنية لا يمكن من فهمها والوقوف على أكبر قدر من حقائقها ، لذلك تدعو إلى ضرورة أن تشمل

[1] عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب الناشر: الدار العربية للكتاب، ط3،ص17

الدراسة وظيفتها أيضا، وهو ما يعني الدعوة إلى دراسة اللغة في الاستعمال أي دراستها وهي تؤدي وظيفتها التواصلية »[1]

لقد عمد المفسرون خاصة المشتغلين بالدرس اللغوي والبلاغي المعاصر بالوقوف على جملة من الخصائص التداولية التي تميز بها الخطاب القرآني في بعده الحجاجي ، هذه الميزات والخصائص انفرد بها دون غيره من الخطابات البشرية لتحقيق الحجاج الذي هو حقيقة الإعجاز ، فكان« الخطاب القرآني بوصفه خطابا لفظيا متعاليا يمتلك فضاء داخليا ذومقومات وأسس تتمثل في حركة الحوار بين أصناف شتى من المتخاطبين ، فقداحتوى على كثير من الأفعال الكلامية التي أنجزها هذه الشخصيات على اختلافها سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة، إضافة إلى أن الخصوصية الجوهرية(الاستمالة –التأثير – الإقناع) التي توافرت في القرآن جعلت منه خطابا حجاجيا بالدرجة الأولى ، ولذلك استعان القرآن بجملة من الأساليب الحجاجية التي تؤمن له هذه الغاية ، كالآليات اللغوية والبلاغية ،ذلك أنهاتنصهر فيمابينها لتحقق الهدف المقصود وهو تحقيق استمالة في المتلقي والتأثير فيه»[2]

ولقد تعددت أساليب الخطابات الدينية ، محافظة في نفس الوقت مع ماجاء به الخطاب الإلهي ،وهذا يعتبر مزية كبرى في تحقيق حجاجيته كونه لم يصطدم مع حقائق العلم ، إذ أن :«أساليب الدعوة في القرآن على تعدد صورها وألوانها ... لم تصطدم مع العلم قديمه وحديثه، العلم الصحيح القائم على المنطق السليم، وأن ما في أحدث نظريات العلم من حقائق عن الكون ومظاهر الحياة المادية والإنسان، والحيوان، والنبات ... لا يتناقض مع ما في القرآن الكريم من أساليب، بل هذه الأساليب. بمعانيها العميقة لا زالت ولن تزال تؤيد العلم في اتجاهاته السليمة،

[1] الصبيحي محمد الأخضر :المناهج اللغوية الحديثة وأثرها في تدريس النصوص بمرحلة التعليم الثانوي شعبة العلوم الإنسانية ،مخطوطة أطروحة دكتوراه دولة ، جامعة قسنطينة ، 2005/2004م، ص91.

[2] إيمان جربوعة :آليات القرآني في ضوء المناهج اللسانية الحديثة قراءة في بعض إجراءات المنهج التداولي، مجلة : رفوف ، جامعة أدرار ،ع09.سنة 2016.ص347.

واكتشافاته لمظاهر الكون لمعرفة أسراره، وذلك بعكس الأديان الأخرى التي عاشت في صراع مرير مع العلم حتى الآن»[1]

وإن أساس نجاح العملية التواصلية في بعدها التداولي الحجاجي اللغوي والبلاغي خاصة إذا تعلق الخطاب بالمجال الديني فلا بد من التركيز على الجانب العقدي للمخاطبين وهذا ماأشار إليه الخطاب القرآني في بداية دعوة كل الأنبياء جميعا حيث يقول تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [2]

2.3- تداولية المصطلح البلاغي والبعد الحجاجي

لقد اهتم الفلاسفة والبلاغيون الغربيون المحدثون ببلاغة الخطابة ،وذلك راجع الى قناعاتهم بالدور الخطير الذي تلعبه في توجيه الرأي وبلورة الفكر المعاصر.

يطرح محمد العمري سؤالا لماذا البحث في بلاغة الخطاب الإقناعي ويقدم بيرلمان جوابايبين فيه وظيفة الحجاج وهي «حمل المتلقي على الإقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع» [3] إذ يرى طه عبدالرحمان أن كل خطاب هو حجاجي بالدرجة الأولى فيقول: «الأصل في تكوثر الكلام هو صفته الخطابية بناء على أنه لا كلام بغير خطاب إذ حقل الحجاج هو الخطاب ...إذ الحجاج يوصف بأنه طبيعة في كل خطاب»[4] ، وهذا بعد إقناعي لايخفى على الناظر في تاريخ الإسلام والمسلمين خاصة وأن الأثر البلاغي في الخطاب القرآني تجلت فيه عناصر بناء الخطابة الثلاثة عند أرسطو

1- وسائل الإقناع أو البراهين

---

[1] أبو المجد سيد نوفل: أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم. الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ع49.ص130.129.

[2] سورة الأنبياء الآية 21.

[3] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنياته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط، 2001.1 م، ص. 21

[4] طه عبد الرحمن في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط 1 ،. 1998 ص2

2- الأسلوب أو البناء اللغوي

3- ترتيب أجزاء القول.

3.3- المصطلح البلاغي في الخطاب القرآني قراءة تداولية في تفسير الطاهر بن عاشور

بدأ الاهتمام في الدراسات التداولية المعاصرة في الثقافة العربية على يد الأستاذ طه عبد الرحمن وهو أحد الفلاسفة المغاربة والمفكرين العرب ،حيث تطرق لتعريف المنح التداولي وتطبيقه في بعض مجالات الفكر العربي، ومن هذا المنطلق يمكن القول بصورة جلية أن الملمح التداولي في تفسير الشيخ الطاهر بن عاشور يبدوجليا كونه اعتنى بعلوم البلاغة وتوظيف مصطلحاتها توظيفا حيا يتواءم والدراسات البلاغية المعاصرة، حيث استطاع ابن عاشور أن يميز بين مستويات الدلالة حين تفرقته بين التفسير الباطني والتفسير الإشاري ، فتحدث عن بعض أنواع الدّلالات ذكر منها: دلالة العبارة مقابل دلالة الإشارة، ودلالة المخالفة ،ودلالة الرمز، ودلالة التضمين، ودلالة الالتزام ، ودلالة الاقتضاء ، ودلالة لحن الخطاب، ودلالة فحوى الخطاب والدلالة العرفية،والدلالة الأصلية ، والدلالة التبعية. وهذا يبدو منه وعيا كبيرا في التحليل التداولي للمصطلحات البلاغية الواردة في الخطاب القرآني رغم تفاوت مفاهيمها حسب توغل المعنى وغموضه. فتتكلم عن دلالات بعض المصطلحات كالتمثيل ،والإيجاز، والتلميح ،والمبالغة ، والاستطراد ،والاشتراك،والتسامح، وهي مصطلحات وظيفت توظيفا بلاغيا ،لا يمكن الوقوف على معانيها البليغة، وفهمها فهما عميقا يخدم مقصدية الشارع الحكيم، إلا وفق التحليل التداولي المعاصر،عن طريق استجلاب طرفي الخطاب (المتكلم والمخاطب) يقول ابن عاشور: «إن العرب أمة جبلت على ذكاء القرائح وفطنة الأفهام، فعلى دعامة فطنتهم وذكائهم أقيمت أساليب كلامهم، وبخاصة كلام بلغائهم، ولذلك كان الإيجاز عمود بلاغتهم لاعتماد المتكلمين على أفهام السامعين كما يقال: لمحة دالة، لأجل ذلك كثر في كلامهم المجاز، والاستعارة، والتمثيل، والكناية، والتعريض، والاشتراك والتسامح في الاستعمال كالمبالغة، والاستطراد ومستتبعات التراكيب، والأمثال، والتلميح، والتمليح، واستعمال الجملة الخبرية في غير إفادة النسبة الخبرية، واستعمال الاستفهام في التقرير أو الإنكار، ونحو ذلك.

وملاك ذلك كله توفير المعاني، وأداء ما في نفس المتكلم بأوضح عبارة وأخصرها ليسهل اعتلاقها بالأذهان»[1]

يحسن بالمفسر البلاغي إلى تتبع عناصر بناء الخطاب الحجاجي ومصطلحاته البلاغية في بعدها التداولي ليقف على الهدف المقصود من حجاجية القرآن الكريم إذ أن الباحث في« نظريات الحجاج في الدرسات العربية الحديثة يحتاج إلى وقفة تأمل تظبط الحدود الزمانية لبداية الاهتمام بهذه النظريات ، وإلى نظرة نقدية لممارسات هذه النظريات وتطبيقاتها على النصوص العربية المختلفة . ولعل الإقناع ، وهو مقصد أساسي في الخطب والنصوص ذات المترع التأثيري ، قد شكل نواة البحث الحجاجي والقلب الرابط بين البلاغة القديمة (الأرسطية وفي صيغتها العربية القديمة)والبلاغة الجديدة (نظريات الحجاج والتداولية ونظرية الأعمال اللغوية .فالإقناع هدف يتحقق عبر توسل أدوات وأساليب بلاغية (أي لغوية ، تركيبية ، بيانية...) »[2]

فنجاح أي خطاب بتوظيف مصطلحات بلاغية ذو أبعاد تداولية ذو غرض حجاجي مهما تعددت وسائله يرجع نجاحه أساسا للمقومات والملكة اللغوية والبلاغية واختيار المناسب من القول والإشارة...التي يمتلكها المرسل واستحضار قراءة مايدور في ذهن المتلقي من تأويل وتفسير لما يتلقى من مصطلحات في الخطاب حيث « إن استعمال العقل ليس أمرا ذاتيا خالصا ،بل هو يستحضر الآخر المخاطب ويقرأ له حساب »[3]

إن عقد المقارنة بين الشيء وضده واستحضار صور الحجاج التي تضفي على مخيلة المتلقي صورا قائمة يمكن له تحليلها وتفسيرها ،لتمكن المرسل من عرض حججه وبراهينه الإقناعية أوالتأثيرية لأن«الصلة بين صورتين تمكن المرسل من الاحتجاج ، وبيان حججه »[4] أساس ذلك كله في التداوليات المعاصرة هوالابتعاد عن الخلفيات واعتماد المنطق ، وتتبع الأفعال الكلامية

---

[1] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : 1393هـــ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس.سنة النشر: 1984 هـــ.ج1.ص93.

[2] صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، الناشر :صفحات ،دمشق 2008م،ص45.

[3] صابر الحباشة .التداولية والحجاج مداخل نصوص ، دار صفحات دمشق ،ط1 .2008.ص 70

[4] طه عبد الرحمن في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ،المركز الثقافي العربي ،الرباط ،ط1 ،1998.ص123

ومقامات الخطاب إذ أن:« الحجاج عملية اتصالية،تعتمد الحجة المنطقية بالأساس وسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم»[1]

اعتمد هذا المنطق خليل الرحمان إبراهيم في وقوفه على آيات الحجاج مبينا أن من «المحاججة ما ورد في القرآن الكريم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۖ ﴾ [2] .يقول الطاهر بن عاشور «فالحجة لا تطلق حقيقة إلا على البرهان والدليل الناهض المبكت للمخالف، وأما إطلاقها على الشبهة فمجاز لأنها تورد في صورة الحجة»[3]

أ- مصطلح الطباق

اعتماد مصطلح الطباق بيّن وواضح، وهو سلم حجاجي في مشهد حواري في الآية الكريمة (**يحي يميت ،أحيي أميت ، المشرق المغرب**) فيه تقنية ربط الصور والمصطلحات الحجاجية بعضها بعض لأن الوصل في السلم الحجاجي هو:«تحديد الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم » [4]

يبدو وقوف الطاهر بن عاشور على مدى القوة الإنجازية للفعل الكلامي[5] جليا في تفسيره للفعل الكلامي (أن آتاه الله الملك) حين وقوفه على مجاز الآية «قوله: أن آتاه الله الملك تعليل

---

[1] فرحان بدري الحربي،الأسلوبية في النقد العربي الحديث ،دراسة في تحليل الخطاب ،بيروت لبنان ،ط1،2003،ص32

[2] سورة البقرةالآية 258

[3] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : 1393هـ): التحرير والتنويرن ج2،ص46

[4] محمد خطابي ،لسانيات النص ،مدخل إلى انسجام النص ، الدار البيضاء، ط 1،1991،ص22

[5] **مفهوم الفعل Acte**: يقصد بالفعل الكلامي مايقصده المتكلمون أثناء استعمالهم اللغوي لبعض الملفوظات أثناء العملية التواصلية ،ومنها توظيف بعض المصطلحات البلاغية ،حيث ينظر إلى اللغة على أنها عامل أساسي يؤثر في المتلقي، فهو إذا ذلك«التصرف أو العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام ، ومن ثم فالفعل الكلامي يراد به الانجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بلمفوظات معينة ، ومن أمثلته الأمر والنهي والوعد والسؤال ...فهذه كلها أفعال كلامية .ينظر:مسعود صحراوي :التداولية عند العلماء العرب، الناشر :دار الطليعة بيروت لبنان ،ط1.سنة2005.ص10

حذفت منه لام التعليل، وهو تعليل لما يتضمنه حاجّ من الإقدام على هذا الغلط العظيم الذي سهله عنده ازدهاؤه وإعجابه بنفسه، فهو تعليل محض وليس علة غائية مقصودة للمحاجّ من حجاجه... فاللام استعارة تبعية لمعنى يؤدى بحرف غير اللام، والداعي لهاته الاستعارة التهكم، أي أنه وضع الكفر موضع الشكر ... وإيتاء الملك مجاز في التفضل عليه بتقدير أن جعله ملكا وخوله ذلك»[1]

ويمكن الترميز للملمح التداولي وطريقته في تحليل المصطلح البلاغي عند الطاهر بن عاشور على النحو التالي :

التحليل التداولي ⟵ تحديد المعنى النصي للسياق ⟵الاستدلال على الانسجام النصي.

إن المرسل المحاجج يتصور الآخر المتلقي يحاوره حتى يستطيع الإقناع فالمحاججة: «نوع من المحاورة، وهى تتميز بوجود عنصر الإلزام والافحام، واضحا بارزاً بينما يكثر في المحاورة أسلوب العرض والوصفِ.. وقال العلماء: إن المحاجة أسلوب قدم الله فيه مخاطباته مع مخلوقاته في أجلى صور ليفهم العامة من جليها ما يقنعهم وتلزمهم الحجة، ويفهم الخواص من أثنائها ما يرمي على ما أدركه فهم الخطباء وقد اتخذ الأنبياء والمرسلون، والأئمة الهداة.. هذه الأساليب كثيرا في دعوتهم الناس إلى العقيدة والإ يمان بالله سبحانه تعالى. ولقد عرض القرآن الكريم الكثير من هذين اللونين لاشتمالهما على ما ينشط الذهن ويهيء الفكر للوقوف على الحقيقة والإيمان بالحق».[2]

إن الاستدلال الطبيعي لخليل الرحمان إبراهيم (**يحي يميت ،أحيي أميت ، المشرق المغرب**) هو استدلال ذو «فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي، لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، وهو أيضا جدلي، لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة، فالانتقالات فيه لاتبنى على صور القضايا وحدها، كما هو شأن البرهان، بل على هذه الصور مجتمعة إلى مضامينها أيما اجتماع، وأن يُطوى في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات والكثير من النتائج، وأن يُفهمَ ا لمتكلمُ المخاطَبَ معاني غير تلك التي نطق بها،

[1] الطاهر بن عاشور التونسي (ت : 1393هـ): التحرير والتنوير ،ج3.ص32.

[2] أبو المجد سيد نوفل: أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم. الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .ع52.ص106.

تعويلا على قدرة المخاطب على استحضارها إثباتا أو انكارا، كلما انتسب إلى مجال تداولي مشترك مع المتكلم... »[1].

ب- مصطلحي الحقيقة والمجاز والتفسير التداولي

لقد وفق الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره لمصطلحي الحقيقة والجاز وفق بعد تداولي يجمع بين مفهومين دأب البلاغيون على على عدم اجتماعهما ، لأن قرينة المجاز مانعة من وورود المعنى الحقيقي ، ولكن الذي ذهب إليه الطاهر بن عاشور ، هو ما تحقيق القوة الإنجازية لفعل (السجود) وفق السياق الوارد فيه،لأن التحليل التداولي يقتضي الكشف عن العلاقة بين الدلالات ومستعمليها ، فحمل المعنى على على الحقيقة والمجاز في نفس الوقت هومن قبيل دلالة المشترك، مالم يرد صارف لفظي يقصر المعنى على دلالة واحدة ومثل لذلك في قوله تعالى﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ** ﴾ [2]

التفسيـــر:

«فالسجود له معنى حقيقي وهو وضع الجبهة على الأرض ومعنى مجازي وهو التعظيم، وقد استعمل فعل يسجد هنا في معنييه المذكورين لا محالة. وقوله تعالى: ﴿ **وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ** ﴿2﴾ ﴾ [3]فبسط الأيدي حقيقة في مدها للضرب والسلب، وبسط الألسنة مجاز في عدم إمساكها عن القول البذيء،وقد استعمل هنا في كلا معنييه»[4].

---

[1] طه عبد الرحمن : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000، ص65.

[2] سورة الحج الآية18

[3] سورة الممتحنة: الآية2.

[4] الطاهر بن عاشور التونسي (ت : 1393هـ): التحرير والتنوير،ج1.ص100.99.

لقد تعددت صور الخطابات في القرآن الكريم لتحقيق القوة الفاعلة في الواقع والمؤثرة فنجد من أنواع الخطاب القرآني يتجلى فيه « خطاب الأذكياء غير خطاب الأغبياء ، وموضوع العقائد التي يتحمس لها الناس غير موضوع القصص ، وميدان الجدل الصاخب غير مجلس التعليم الهادئ ، ولغة الوعد والتبشير غير لغة الوعيد والإنذار»[1]

اعتمد المفسرون في تفسير المصطلح البلاغي على جانب السياق في تحليل الخطاب القرآني والوقوف على على أبعاده الحجاجية ، حيث اعتبرو الآية هي جزء من نص كامل لايمكن تأويلها بمعزل عن سياقها الكلي للسورة وللقرآن بمجموعه، إضافة بالنظر إلى مجموع القرآت القرآنية المتواترة ، يقول الزركشي:« ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز ولهذا ترى صاحب الكشاف يجعل الذي سيق له الكلام معتمدا حتى كأن غيره مطروح»[2]

خلاصة

حققت الدراسات البلاغية المغاربية ، جهودا معتبرة في مجال الدراسة البلاغية المصطلحية، إذ دعت إلى القراءة الواعية النقدية في مجال تلقي المصطلح بغية توظيفه في الدرسات المعاصرة، لأن البلاغة كعلم لم تتبوأ مكانتها العلمية إلا في بدايات القرن الخامس هجري ، وذلك للمؤثرات التي ساهمت في تداخل بعض المفاهيم العلمية والدلالية لمصطلحاتها نظرا للبيئات الفكرية واختلاف مقاصد الدرس البلاغي عند البعض منهم، واختلاط العرب بالعجم وتأثير الفلسفة بشكل عام في بدايات هذه العصور التي صاحبت نشأة علم البلاغة، مما خلق اليوم اشكالا قائما في عملية التلقي والتوظيف للمصطلح البلاغي، وبذلك تكون دعوة الباحثين المغاربيين كالعمري وصمود إلى إعادة

[1] عبدالعظيم الزرقاني:مناهل العرفان في علوم القرآن،دارالمعرفة،بيروت،ط2.2001م،ج1،ص188

[2] أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ): البرهان في علوم القرآن،تح : محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.ج1.ص317.

قراءة التراث قراءة واعية ، تأخذ بعين الاعتبار التقسيم الثلاثي لمصطلحات علم البلاغة ، على أنها تصورات لمدرسة ،لا كتقسيم نهائي لعلوم البلاغة.

الفصل الرابع:

المصطلح البلاغي بين مراعاة التلقي ووعي التوظيف في الدراسات المغاربية المعاصرة

المبحث الأول : إشكالية الدراسات البلاغية المغاربية في مجال المصطلح تلقيا وتوظيفا

المبحث الثاني :الإستمداد الحجاجي للمصطلح البلاغي – رؤية مغاربية –

المبحث الثالث: المصطلح البلاغي رؤية معاصرة:توجيهات حمادي صمود ومحمد العمري

المبحث الأول : إشكالية الدراسات البلاغية المغاربية في مجال المصطلح تلقيا وتوظيفا

تمهيد:

إذا تطرقنا لتاريخ البلاغة العربية ، وجدنا بوادر استقلالها وانفصالها عن مختلف العلوم الأخرى ، وخاصة العلوم لمجاورة لها ، كعلم النحو والمنطق ...يبدو جليا مع بداية منتصف القرن الثالث هجري ، وهو التاريخ الذي بدت فيه ظهور معالم هذا الفن في نشأة مصطلحاته العلمية وتطورها ، وفق عوامل مؤثرة تجلت في بيئات سواء الثقافية أوالاجتماعية أوالدينية ...الخ.

1- المصطلح البلاغي بين إشكاليتي التلقي والتوظيف

1.1- مفهوم مصطلح التلقي

جاءت نظرية التلقي كرد فعل على الاتجاهات النقدية المعاصرة ،التي ركزت على منتج النص البلاغي ، في حين أغفلت عنصرا مهما في الدراسات المعاصرة وهو المتلقي لهذا الإنتاج الفني و الأدبي ، حيث لم يكن للمتلقي أي إهتمام إلا بعد ظهور مدرسة كوستانس Constance الألمانية في بداية السبعينات على يد مؤسسيها هانز روبرت ياوس (Hans Rebert yauss)) و فولفجانج ايزر (Wolfgang izer) ،حيث قامت المدرسة على أساس منهجي يحدد العلاقة بين المتلقي و المنتج على أساس التأثير و الفاعلية أو ما يسمى باستجابة القارئ و المتلقي للخطاب ، وعلى هذا الأساس لو تأملنا قليلا في كتابات القدامى ،أنهم راعوا هذا الجانب و على رأسهم مؤسس البلاغة الجاحظ قائلا «مدار الأمر على البيان و التبين ، و على الإفهام و التفهم ،وكلما كان اللسان أبين كان أحمد ، كما أنه كلماكان القلب أشد استبانة كان أحمد ، والمفهم لك و المتفهم عنك شريكان في الفضل»[1]

[1] الجاحظ (255هـ): البيان و التبين ، تح : عبد السلام هارون ، ص 11.

يشير الجاحظ إلى أهمية التلقي و دوره في فاعلية الإقناع و التأثير في المتلقي مؤكدا مرة أخرى بقوله : «يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع »[1]

لقد أولت نصوص الجاحظ هذة و غيرها ،اعتبارا للمتلقي ، في حين أنها أثرت على المدونات البلاغية التي أنتجت بعده ،ليستلهم هذه الرؤية العسكري (ت395هـ) في تعريفه للبلاغة العربية ، وعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) في إشاراته الدقيقة و الفروق المتقاربة صياغتها نحو«زيد المنطلق » و «المنطلق زيد » وتركيزه على قضية مصطلح النظم ، و أنه لا يفيد ولا يكون له أي أثر في المتلقي ، إلا إذا انسجم الخطاب و تآلف في سياق منظم ، وبهذا المفهوم يكون استحظار المتلقي في العملية الإنتاجية للنص ضرورة حتمية ، وهذا الذي نادت به مدرسة كوستانس المعاصرة.

2_المصطلح البلاغي و إشكاليتي التلقي والتوظيف:

أثبتت الدراسات المعاصرة بأن العلوم الإنسانية عامة والبحث البلاغي خاصة ، يعاني من إشكالية المصطلح تلقيا وتوظيفا ،لأن المصطلح وليد بيئة معينة زمانا ومكانا فهو بالدرجة تالأولى يخضع لثقافة الغير « رغم إخلاص الباحث العربي للحقل المعرفي الذي نقل منه مصطلحه، فانه لا يعنى بتأصيله في الفكر والنقد العربيين مما يعطي الانطباع بانفراد المصطلح و جدته بل وأن فقدان أصوله في الموروث العربي،تلك إذن صورة ناقمة على المثقف العربي الذي يسعى وراء نقل المصطلح أو المعرفة العلمية دون تأصيلها.ولقد أدى هذا التوظيف الاصطلاحي المضطرب غير المؤصل إلى تشاؤم بعض النقاد العرب »[2]وهناك أسباب عديدة تدخل في سياق تلقي المصطلح وتؤثر على عملية التوظيف منها « تباين مستويات التلقي والتأصيل ،ونقصد تفاوت المدارك من

[1] الجاحظ (255هـ): البيان و التبين ، تح : عبد السلام هارون.ص 87

[2] بن معمر بوخضرة: إشكالية معالجة المصطلح في الترجمة،مجلة :مقاليد ، ع1، سنة2011م،ص29.

باحث إلى آخر ، ومن بلد إلى آخربسبب اللغة والتكوين»[1] ولذلك أدى هذا التلقي غير الملم بحيثيات تكوين المصطلح البلاغي وظروف نشأته وتعلق معانيه ودلالاته بحروفه ناهيك عن الكلمة نفسها ، أدى هذا النقل إلى سوء توظيفه في الدراسات البلاغية المعاصرة ، حتى أصبح هذا «الاضطراب في استخدام المصطلح النقدي آفة فاشية يعاني منها النقد العربي معاناة قاسية»[2].

يؤكد هذا المواقف الرافض الباحث والروائي الأديب عبد العزيزحمودة قائلا: «حينما ننقل نحن الحداثيين المصطلح النقدي الجديد في عزلته عن خلفيته الفكرية والفلسفية فانه يفرغ من دلالته ويفقد القدرة على أن يحدد معنى،فإذا نقلناه بعوالقه الفلسفية أدى إلى الفوضى والاضطراب ،إذ أن القيم المعرفية القادمة من المصطلح تختلف بل تتعارض أحيانا مع القيم المعرفية التي طورها الفكر العربي المختلف»[3]

رأى بعض النقاد المتبصرين أن إشكالية فوضى المصطلح التي يعاني منها الدرس البلاغي المعاصر تلقيا وتوظيفا،تكمن في الاضطراب الناشئ عن هذا النقل ، فكانت دعوتهم لإيقاف قطار النقد الجديد لأن الفوضى من أمامه والفوضى من ورائه[4]

[1] السعيد بوطاجين :الترجمة والمصطلح ، الناشر : منشورات الاختلاف ،الجزائر العاصمة ،ط1.سنة2009م.ص28.

[2] وهبة رومية: شعرنا القديم والنقد الجديد ،الناشر :عالم المعرفة الكويت،ط4،سنة1996م.ص40

[3] عبد العزيز حمودة :المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة الكويت، 2001 م ،ص6 .

[4] ينظر يوسف وغليس :إشكالية المصطلح، منشورات الاختلاف الدار العربية للعلوم ناشرون-بيروت-ط1/سنة2008م.ص55.

1.2- المصطلح البلاغي في بلاغة النادرة لمحمد مشبال:دراسة لإشكاليتي التلقي و التوظيف

تمهيد

يعتبر محمد مشبال أن لحظة الوعي بالتراث النثري ،أصبح يعتبر إشكالا قائما و هاجسا يقلق النقاد و الدارسين المعاصرين في الحقل البلاغي ،لأجل قراءة التراث قراءة معاصرة ،حيث إن إشكالية «النثر العربي القديم هو إشكال قراءته ... و إشكال هذا النثر هو أيضا أحد أوجه الحضارة ،كيف السبيل إلى فهم طبيعته»[1]

2.2- مميزات الشعر و النثر عند محمد مشبال

نظرا لأهمية موضوع إشكاليتي التلقي و التوظيف للمصطلحات البلاغية في الدراسات المعاصرة، نجد الباحث المغاربي محمد مشبال يولي أهمية فائقة للبلاغات الخاصة كبلاغة المسرح و بلاغة الرواية إذ أن « أهم سمة بلاغية يمكن رصدها في المشروع البلاغي لمحمد مشبال هي تلك المتعلقة بالكشف عن المكون الحجاجي في النثر العربي القديم ، حيث قام باختبار المقومات الحجاجية في دراسة انواع أدبية متعددة ، كالنادرة والرسالة والخطابة. انطلق في ذلك من أن النص الأدبي متعدد المستويات والأبعاد»[2]ولأن كل نوع من هاته البلاغات يفسر مصطلحاته لدى المتلقي على اعتبار الجنس الذي ينتمي إليه كما قدم ذلك مشبال في بلاغة النادرة بحيث يمكن استخراج دلالات المصطلحات من خلال النصوص الواردة عبر سياقاتها التي جاءت فيها.[3]

3.2- المصطلح البلاغي ومعايير قراءة التراث عند محمد مشبال

يتساءل محمد مشبال عن المعايير النقدية التي يمكن بها قراءة الموروث قائلا في مقدمة كتابه بلاغة النادرة « إن اشكال النثر العربي القديم هو إشكال قرائته . وهانحن مرة أخرى في قلب

---

[1] محمد مشبال: بلاغة النادرة، الناشر: دار جسور ، المغرب ،ط2، سنة2001 ص 05

[2] عبد الواحد المرابط.رشيد أعرضي .حسين كتانة. حسين درير.عبد الحميد زاهيد.من البلاغة المختزلة إلى البلاغة الرحبة ، قراءات في أعمال الدكتور محمد مشبال، الناشر :عالم الكتب الحديث ،إربد الأردن .ط1.، سنة2017م .ص13.

[3] ينظر محمد مشبال :بلاغة النادرة ،أفريقيا الشرق ،المغرب،2006

الجدل الثقافي وما يستتبعه من مشكلات المنهج والرؤية ، والتراث والحداثة ، والذات والآخر ، والتقليد والتجديد . وإشكال هذا النثر هو أيضا أحد أوجه الحضارة : كيف السبيل إلى فهم طبيعته؟»[1] وها نحن اليوم أمام مناهج غربية وعربية معاصرة لتحليل النصوص الأدبية و الشعرية ، يقف أمامها الباحث مندهشا بين إشكاليتي الإستلام لهاته المناهج و توظيفها ، أو يتجاهلها ، وقد حققت في نفس الوقت مقومات للبناء النثري المعاصر في شتى المجالات.[2]

توصل مشبال في قرائته للتراث و الوقوف على مميزات الشعر و النثر إلى جملة من المواصفات نوردها كما يلي:

أـ أن النص النثري القديم متنوع ، فمنه النوع الذي ينفصل عن الشعر له مصطلحاته الخاصة ، ومنه النثر الذي التقت مصطلحاته البلاغية ببلاغة الشعر ، و إن احتفظ بخصوصيتة النثرية.

ب- تلقي المصطلح البلاغي لم ينظر إليه في النثر كما الشأن بالنسبة للشعر ،خاصة مصطلحات البديع وهو عند المعاصرين يعبر عنه بالكفاية الأجناسية وهو مفهوم استخدمه غلوينسكي (Glowinski) قياسا على المفهوم اللساني التوليدي ،هذا المصطلح المعاصر –الكفاية الأجناسية- القصد منه كما يرى مشبال هو«إعادة الاعتبار للصياغة النثرية ، هذة الأداة التعبيرية الإنسانية و الحضارية المتميزة... و أن إنشاء بلاغة خاصة لقراءة النادرة مختلفة عن بلاغة قراءة الشعر هو وعي عميق يروح الحضارة الإنسانية المبدعة»[3]

ج- قد يعود هذا الإشكال في تلقي المصطلح البلاغي التراثي و توظيفه في الدراسات و الإنتاجات البلاغية المعاصرة إلى قصور يعود «إلى غياب جدلية التراث و الحداثة في هذة المؤلفات ،و تصديها لدراسة التفكير البلاغي، في الغالب ، من منظور أحادي البعد»[4]

[1] محمد مشبال ، بلاغة النادرة،ص5

[2] ينظر محمد مشبال ، بلاغة النادرة: ص06

[3] المصدر نفسه :ص8.

[4] حمادى صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه و تطوره إلى القرن السادس، ص11.

د- تلازم مصطلحات البلاغة وظيفيا بين الشعر والنثر في بعض محطات مساره التاريخي ، بحيث «صار الشكلان يعالجان نفس الأغراض ويستجيران بنفس المحسنات...فقد تميز النثر في القرن الرابع باستخدام أدوات البديع من استعارة وتشبيه وسجع وازدواج»[1]

3- الأجناس الأدبية وإشكالية تلقي المصطلح البلاغي و توظيفه:

يرى مشبال أن تلقي المصطلح البلاغي للدارسين المعاصرين،يحمل أكثر من مدلول لأجل اختلاف مقصدية كل جنس أدبي ، ولذا يقع الإشكال في التوظيف لأجل تحقيق الدلالة المقصودة منه، حيث إن الجاحظ في مؤلفه البخلاء و الحيوان يطلق على حكاياته تسميات عديدة: «النوادر و الملح و الطرف و القصص و الأحاديث » ، في حين أن هذه التسميات لا تؤدي غرضها البلاغي إلا إذا صنفت تحت مصطلح جامع هو مصطلح النادرة الذي يرى مشبال«أنه لا يلغي التسميات الأخرى ولكن يحتويها بوصفها مرادفات لها »[2]

يرى مشبال أن التسميات المتعددة لنوع واحد من فن القص ، لا تحقق نتائج منشودة ، إذ على الناقد المعاصر أن يجد اسما جامعا يمكن من خلاله تحديد اطار جنسي عام يضم مصطلحات بلاغية تساعده على مهمة التحليل و التوظيف ، بدل الإشتغال في الفروق بين مصطلحات كل نوع من الحكي و القص ، و بالتالي لا ينتج أي فائدة ،وعلى هذا الأساس يرى مشبال أن لا يقلل الباحث المعاصر من التسميات التي استعملها القدامى و على رأسهم الجاحظ في قصصه، في حين أنها تجتمع تحت جنس واحد ، هو مصطلح النادرة يساعد على التحليل المعاصر ، وهو الأكثر شيوعا.[3]

[1] محمد مشبال: بلاغة النادرة.ص16.

[2] ينظر المصدر نفسه . ص09

[3] المصدر نفسه : ص10

ولعل القدامى اشتغلو على البحث البلاغي، دون مراعاة للجانب المصطلحي العلمي الخاص بكل نوع أو جنس ، فأصبحت الدراسات المعاصرة اليوم تتخبط في إشكالية تلقي هاته المصطلحات ، و الوقوف على دلالاتها المختلفة أحيانا مع اتفاق مسمياتها و الأمر الذي جعل مشبال يرى بضرورة توحيد الجنس تحت مصطلح النادرة الذي يضم جميع الأجناس، لأن الذي حدث في تصنيفات القدامى راجع إلى أن «التلخيصات البلاغية التي صنفوها كان يشوبها الغموض، فكثرت عليها الشروح و الحواشي، وأصبحت جميع هذه التلخيصات تخدم مصادر البحث البلاغي، لا البلاغة نفسها، وعلى هذا الأمر« اجتمع عليها في آن واحد علتان التمجيد والتجميد...من ذلك مثلا ادعاء أن السكاكي هو الذي قتل البلاغة العربية ، أو جمدها، لأن كتابه مفتاح العلوم عكف عليه الخلف شرحا وحشوا و تلخيصا وتدريسا وتكرارا و ترتيلا»[1]

يعترض محمد مشبال على الباحث أحمد بن محمد بن امبيرك في دراسته المعنونة «صورة تخيل الجاحظ الفنية من خلال الأسلوب في كتاب البخلاء»،حيث اعتمد على بلاغة عامة، أو بلاغة الخطاب ،حيث لخص مشبال مجمل اعتراضاته على الباحث في مايلي:[2]

أ- اعتبر مصطلح المقابلة مصطلحا أسلوبيا، لم يخرج في التحليل عن معايير بلاغة الشعر ،وهو اشكال في تلقي المصطلح على أساس بلاغة عامة تراعي أسلوب الخطاب البلاغي،و تهمل الوظائف المتعددة للمصطلح .[3]

ب- لم يتخلص الباحث من سيطرة موضوع البخل على منهج تحليله بدل الصورة بفهومها الجمالي و البلاغي[4] وهذه تحليل يبدو فيه إهمال مصطلح الصورة وعدم توظيفه في القراءة النقدية ،وذلك راجع للإشتغال على الجانب الأسلوبي و اعتماد نصوص سردية مجتثة من سياقاتها البلاغية.

[1] لونيسي علي : التداخل و التضارب في المصطلح البلاغي ، مجلة : الصوتيات ص19

[2] ينظر محمد مشبال ،بلاغة النادرة ص 12

[3] محمد مشبال بلاغة النادرة ص11

[4] المصدر نفسه ص12

1.3- المصطلح البلاغي بين الشعر و النثر عند محمد مشبال:

يرى بعض البلاغيين أن الخطاب النثري، يفتقد لكثير من المصطلحات البلاغية، ولذلك لعدم توسله في الصناعة النثرية على الصناعة الشعرية لتحقيق كم هائل من المصطلحات البلاغية و توظيفها ،ولقد طرح مشبال هذه الإشكالية ، من أن كون بعض القدامى اهموا نثر الجاحظ بالتقليل في توظيف المصطلحات البلاغية، يقول أبو الفتح الإسكندري واصفا نثر الجاحظ على أنه:« في أحد شقي البلاغة يقطف ، وفي الآخر يقف، والبليغ من لم يقصر نظمه على نثره، و لم يزر كلامه بشعره، فهل ترون للجاحظ شعرا رائعا ؟ قلنا لا. قال فهلموا إلى كلامه فهو بعيد الإشارات قليل الاستعارات ، قريب العبارات ، منقاد لعريان الكلام يستعمله ، نفور من معتاصه يهمله»[1]

وعلى هذا الأساس يقف الناقد المغاربي أمام هذا الإشكال في تلقي المصطلح البلاغي من نثر الجاحظ متسائلا : « هل تتوقف قيمة النثر على استجارته بمقومات الشعر؟ هل النثر ملزم باجتلاب كساء الشعر لستر عريه ؟ و بصيغة تعبيرية أخرى : ألا يوهمنا أبو الفتح –كما يقول محمد أنقار "بحتمية تحقيق " الشعرية كي تصلح النثرية"»[2]

إن هذا الأمر لعمرى يجعل العمل النقدي في تلقي المصطلح التراثي و توظيفه في العصر الحديث أمر صعب المراس، لأن للمصطلح سلطته وهيبته العلمية التي توارثها عبر هذا الزمن الطويل، خاصة و أن المصطلح البلاغي في حد ذاته يعاني من الغموض الدلالي في الدراسات المعاصرة والتداخل المعنوي، لأن فائدة المصطلح هو تحقيق التقارب الدلالي بين المبدع و المتلقي أو السامع إذ أنه « ما أن نتفوه بلفظ المصطلح حتى يقوم في الذهن طرفان آخران هما فعل الإصطلاح

[1] أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بديع الزمان الهمذاني (ت: 398هـ): مقامات بديع الزمان الهمذاني،تح: محمد محيي الدين عبد الحميد،الناشر: المكتبة الأزهرية،عام النشر: 1342 هـ - 1923 م،ص83.82.

[2] محمد مشبال : بلاغة النادرة ص 16/15

و فاعله الذي هو الإنسان الذي يصطلح، فإذا دققت الأمر تبين لك أن وراء ذلك طرفا آخر هو الطرف الرابع وهو الذي لفائدته نقوم بفعل الإصطلاح و لنسمه المصطلح إليه »[1]

إن ثنائية الشعر و النثر، ولدت إشكالية في القراءة المعاصرة للمصطلح البلاغي، ولقد عمل القدامى على ملء هاته الهوة بين الجنسين (الشعر،النثر) ،كون العصور القديمة حظي فيها الشعر بما لم يحض به النثر، ولذا يرى مشبال أن « جنس المقامة لم يكن يشبت وجوده وينتزع الإعتراف بكيانه لولا مراعاته لمكانة الشعر في الثقافة العربية، و لأجل ذلك لم تكف نصوص هذا الجنس السردي خالصة لوجه النثر، بل كانت مفعمة بروح الشعر، ولعل هذا الستار الشعري الذي تدثرت به المقامة هوما لا نجده في حكي الجاحظ الذي بدا عاريا، وكان إمام البيان لم يستشعر سيادة الشعر و لم يحفل بتأثيره في صياغة الأذواق »[2]

لقد دعا في نفس الوقت محمد مشبال الذين توسلوا بمصطلحات الشعر ووظفوها في نثرهم، ودعى الشعراء أنفسهم على العمل في تكثيف المصطلحات البلاغية وتوظيفها فقال : « كان على النثر المندثر بستار الشعر أن يتوسل بالعبارات القصيرة والتسجيع و الموسيقى اللفظية، و أن يستقدم التشبيهات و الإستعارات ، فهذه المكونات من شأنها أن تخلخل استرسال لغة النثر وتقربها من لغة الشعر بصياغته البديعية التي تعمد إلى تكثيف الدال لحجب المدلول و إغراقه في الغموض، هكذا كان صنيع أبي تمام و أضرابه من الشعراء المحدثين يصطدم بحجاب كثيف منصور البديع... كان الشعر الذي صاغه أبو تمام يستوقف القارئ لتأمل أسرار الصنعة و الإلتذاذ ببدائعها قبل أن ينشغل بطلب المعنى... »[3]

إن المصطلح البلاغي لم يعد اليوم في الدراسات المعاصرة بتلك القوة التي تم توظيفه بها في جميع الخطابات ، وعلى هذا الأساس تتولد إشكالية تلقي المصطلح و توظيفه في الخطابات البلاغية

[1] عبد السلام المسدي ، الأدب و خطاب النقد ، الناشر: دار الكتب الجديد المتحدة ، بيروت لبنان،ط1 ،2004م ، ص145.

[2] محمد مشبال : بلاغة النادرة، ص.16.

[3] المصدر نفسه ، ص17

فمصطلحات « البديع لم تعد قادرة على ضمان هذةالحقوق في جميع المواقف، ففي الخطاب الفكاهي تفتقد الفصاحة و الجزالة كل ما تحوزانه من قوة التأثير، كما أن المحسنات البديعية التي اعتبرت علامة بلاغة أنماط خطابية كثيرة ، تتعطل وظيفتها الجمالية في خطاب يتوخى الضحك و التسلية »[1]

لأننا في الدرس البلاغي المعاصر اليوم ، حينما نتلقى مصطلحا تراثيا يفرض توظيفه فإننا نستحضر تلك المفاهيم البلاغية التراثية، وأثرها دلاليا في الدراسات الحديثة، وعلى هذا الشأن نشأ الدرس اللساني المعاصر ليرتكز على علاقة المصطلحات بمدلولاتها وهذا ما جعل الباحث المغاربي محمد العمري يعود متسائلا من جديد : « ماهي البلاغة ؟ هل هناك بلاغة واحدة أم بلاغات متعددة؟ »[2]

إن المصطلح البلاغي في التراث لا يطرح هذا الإشكال ، فقد ظل علم البلاغة موحدا، أما في الدرس المعاصر، فإن تلقي المصطلح وتوظيفه صار يحمل عدة دلالات ومفاهيم كبرى، يراها العمرى على النحو التالي:

« 1/ المفهوم الأرسطي الذي يخصصها لمجال الإقناع وآلياته... وبهذا المفهوم تقبال بيوتيك (poétique ;poetig) التي تعني بالخطاب المحاكي المخيل أي الشعر حصرا.

2/ المفهوم الأدبي الذي يجعلها بحثا في صور الأسلوب...رسم بارت خطوطه.

3/ المفهوم النسقي الذي يسعى لجعل البلاغة علما أعلى يشمل التخييل و الحجاج معا، أي يستوعب المفهومين الأولين من خلال المنطقة التي يتقاطعان فيها »[3]

[1] محمد مشبال: بلاغة النادرة ، ص19

[2] محمد العمرى : البلاغة بين التخييل والتداول، ص05

[3] المصدر نفسه. ص12.

4- المفهوم النسقي العام و إشكالاته في المصطلح البلاغي تلقيا و توظيفا :

إن أول إشكال ظهر في المصطلح البلاغي ، هو مصطلح علم البلاغة نفسها ، ولذا يقترح العمري ومن ذهب وجهته حلا لهاته الإشكالية مراعاة للأنساق المعرفية التي ساهمت في إنتاجه على النحو الآتي:

المصطلح البلاغي	إشكالية تلقي المصطلح	إشكاليةتوظيف المصطلح	الرؤية المعاصرة في الدرسات البلاغيةالمغاربية
بلاغة	ريطوريك أو الريطورية:ترجمة عامة دون تقييد إلى: بلاغة – خطابة	التشويش والخلط بين المفاهيم والدلالات، بين معنيين في التراث العربي والغربي :1- معنى مرتبط بإبداع الخطاب 3-معنى مرتبط بالعلم الذي يدرس وينتج هذا الخطاب	اقتراح العمري ترجمة rhetorique الأرسيطية بكلمة خطابية ، قياسا على كلمة شعرية ينظر:العمري : البلاغة بين التخييل والتداول

الإنشاء	استقراره على المعنى القديم بين الطلبي وغير الطلبي	نحوية موضوعاته في التوظيف، وخلوها من قصدية التأثيروالإقناع	يرى العمري ضرورة الانزياح بالمصطلح على معنى إنتاج الخطاب سواء الشعري أو الخطابي ببعديه التخييلي أو الحجاجي بغية التأثير أو الاقناع العمري : البلاغة بين التخييل والتداول
الشعرية	– الشعرية.الخطابية :كلاهما يعالج نصوصا مفادها الاحتمال ،مع اختلاف الهدف		اختصاص الخطابية بفن الحجاج اختصاص الشعرية بتوسيع الخيال لدى المتلقي
الكناية	الكنايةوالتعريض كلاهما ورد بتعريف موحد عند القدامى ابن المعتز- العسكري –الجرجاني- وهو نوع من أنواع الكناية عند السكاكي	تداخل الكناية مع كثير من المصطلحات وخاصةالتعريض والتركيز على الوظيفة الجمالية	ضرورة الوعي بتصور معنى المصطلح لتحقيق الامتاع والاقناع ،وعدم طغيان الجمال والبيان
المجاز	أصوله من الفلسفة اليونانية ويعني عندهم الكلام بطريقة أخرى Allegorein وأطلق عليها مسمى المجاز	عند الغرب :1- طريقة في القول والأسلوب 4- نظرية في التأويل	الانعتاق من التصور الفلسفي الغربي والقفز به لحيز البلاغة ، مع أن هناك جذور عربية

		ومنهج قراءة	للمصطلح في الشعر العربي القديم هاجر مدقن :سؤال المصطلح البلاغي
الحجاج	ثلاثة مفاهيم:1- مرادف للجدل عند القدامى وبعض المحدثين من العرب 2- له قاسم مشترك بين الجدل والخطابة عند اليونان – أرسطو- 3- هو مبحث فلسفي ولغوي في نفس الوقت .	1- حجاج ضيق المجال مرادف للاستدلال والبرهنة 2- حجاج واسع المجال يقوم على تقنيات التأثير والاقناع	التفريق بين المفاهيم: الحجاج عام والاستدلال خاص 1تعريب مصطلح (argumantation) لمصطلح الحجاج .تقوم عليه النظرية الحديثة. 2 تعريب مصطلح la (demonstration) إلى الاستدلال

تعليق

لقد تفتح الفكر العمري إلى إعادة النظرة المعاصرة للمصطلح البلاغي في مجال توظيفه وما يتناسب مع المسعى العام لقصدية التأثير و الإقناع فيقول في مصطلح الإنشاء « تراودني رغبة إزاحة

كلمة إنشاء قليلا عن المعنى الذي استقر لها في الكتب المتأخرة لتدل على كل خطاب يحمل جهدا تحليليا أو حجاجيا، أي الخطاب الذي فيه صنعة قصدية التأثير و الإقناع، الخطاب الذي يوجد بين البرهنة و الإعتباط »[1]

يمكن الترميز لهذه التربوية المغاربية المعاصرة كالتالي:

إن الواقع في الثقافة العربية يشهد فوضى، أو على الأقل تشتتا مصطلحيا خاصة ما تعلق بالعلوم الإنسانية و الإجتماعية، في حين نجد أن هناك متخصصين في هذا المجال من العلوم تعددت أراؤهم و لم تتحد جهودهم، خاصة في نظرهم للتراث و المعاصرة، والموازنة بينهما برؤية تقتضي تلقي المصطلح البلاغي من التراث بقراءة جديدة، وتوظيفه في الدراسات البلاغية المعاصرة في موازنة منفتحة على معنى المصطلح البلاغي التراثي، وقدرته التوظيفية لاستيعاب المنجزات المعاصرة، غير أن هناك « مجموعة أخرى تصر على التغاضي عن هذين المسارين بدعوات تتراوح بين الخطاب الهوياتي (أيرو التراث)، وبين الإنكار الصريح أو المبطن لقدرة التراث على استيعاب مستجدات البحث العلمي بعد بعث مثور /مجدد للتراث العربي... باعتبار الإجتهاد و الإجهاد المصطلحي اللذين يشهدهما البحث البلاغي في السنين الأخيرة مع توالي المنجزات التي يعرفها الحقل المعرفي إيذانا بدخواه إلى وضع فكري جديد تجددت فيه دماء البلاغة و دخلت مرحلة التشميل »[2]
ويبدو أن فوضى المصطلح البلاغي المعاصر، يعتريها عدة أسباب يمكن التمثيل لها بهذا المخطط:

[1] العمري : البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول ص14.سؤال المصطلح ص223)

[2] امحمد و احميد ،سؤال المصطلح البلاغة والاجتهاد المصطلحي بين الوضع والإحياء دراسة لنماذج .مجلة البلاغة و تحليل الخطاب، ع9، 2016 ،مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، ص217،218.

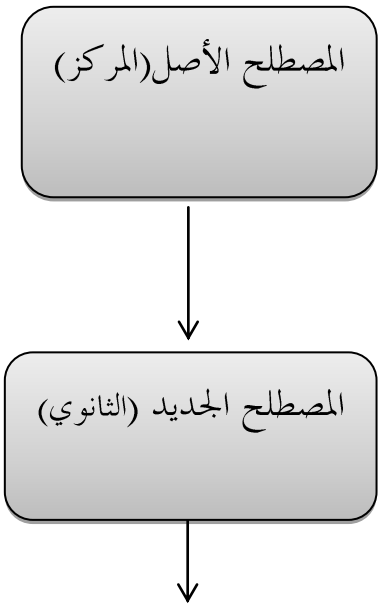

الخطأ في التعريف	← **النتيجة** →	جعل المركز ثانوي/ والعكس

3.3- المصطلح البلاغي وثنائية الدال والمدلول

على ضوء هذا يطرح السؤال التالي:

هل المصطلح البلاغي ودعوى التجديد خاص بحقل البلاغة أم له امتدادات معرفية تشمل حقولا وتخصصات أخرى؟، وهل مكون المصطلح البلاغي يبقى لغويا عربيا محضا أن له امتدادات للغات أخرى غير العربية،حتى يحقق مقصديه الخطاب المراد، أو يبقى المكون عربيا محضا يضاف إليه المكون الأجنبي تلازما في عملية التوظيف؟، وقد أشار العمرى باحث البلاغة المعاصرة إلى أن مشكلة المصطلحات البلاغية ،هي مشكلة تخص البلاغي دون غيره، إلا أن « إمتداد العلوم المجاورة للبلاغة بالعتاد الذي تحتاج إليه ... ثم استفادتها من هذه البلاغة في حل معضلاتها الخاصة في كل مجال »[1]

[11] محمد العمرى، أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة، دراسات و حوارات، أفريقيا الشرق، ط1، 2013، ص12.

ونظرا لما سبق يقتضي البحث في المصطلح البلاغي المعاصر أمرين هامين :

1/ منشئ المصطلح يجب أن تتوفر فيه السمات اللغوية و البلاغية لإنشاء الدال (المصطلح به).

2/ الاستعانة في العلوم غير الإنسانية بمتخصص في مجاله لتصوير المدلول (المصطلح عليه).[1]

وعلى هذا يمكن لتلك الفوارق العقلية المتخصصة أن تتلائم وتتحد ولو نسبيا في التقاء الذات تصورا، وإنشاء للمصطلح البلاغي المعاصر و توظيفا له في شتى الحقول المعرفية المختلفة، حتى نتجنب إشكال يوحي بغياب الوعي بالانشطار الوظيفي بين مصطلح به ومصطلح عليه[2]

غير أن ادعاء التطابق بين المتخصص البلاغي و غيره يولد إشكالية أخرى هي طريق التمييز بين صاحب الخبرة اللغوية و المتخصص في الحقل المعرفي غير اللغوي، هذين الموقفين نتجت عنهما إشكالية اعتبار التدخل في المصطلح البلاغي من غير المتخصص لا ينتج عنه سوى الفضول و الإدعاء

[1] ينظر عبد السلام المسدى: الأدب و الخطاب النقد المباشر، دار الكتب الجديد المتحدة، ط1، سنة2004، ص.147.

[2] ينظر عبد السلام مسدى: الأدب و خطاب النقد، ص148.

المبحث الثاني :الإستمداد الحجاجي للمصطلح البلاغي – رؤية مغاربية –

يعاني المصطلح البلاغي أساسا من إشكاليتي التلقي و التوظيف، سواء على البعد المفاهيمي للمصطلح، أو قصدية الدلالة فيه عند نشأته، إذ يرى الباحث : الحسين بنو هاشم[1] أن مصطلح –بلاغة الحجاج– هو نفسه مصطلح البلاغة و لكن في جانب الآليات و الوسائل التي تحقق عملية الإقناع، ينتج عن هذا الفهم تلقيا من الأصل اليوناني له المعبر عنه باللغة الأجنبية Rhétorique هذا التلقي يتولد عنه إشكال في عملية توظيف المصطلح في الدرس البلاغي العربي، فترجمت الريطوريقا إلى خطابة، ربما كونها مصطلحا ذو أبعاد مفاهيمية واسعة، و هذا الأمر نفسه جعل العمري يتسائل : « لماذا البحث في بلاغة الخطاب الإقناعي »[2] ، ويجيب نفسه أنه تقرر بداية « الحنين من جديد إلى "ريطورية أرسطو" التي تتوسل إلى الإقناع في كل حالة على حدة بوسائل متنوعة حسب الأحوال، ونظرا للدور الذي تلعبه بلاغة الخطابة في التأثير في الرأي العام الوطني و الدولي... »[3]

على ضوء ما سبق الحديث عنه في بلاغة الحجاج ،نرى أن إشكال التلقي والتوظيف يتمثل في :

- دلالة المصطلح تأثرت بجملة من العوامل البيئية و الثقافية، والتيارات الفكرية، و بهذا تكون المرجعية البلاغية في مجال المصطلح تحكمها و تؤثر فيها البيئة مكانا و زمانا، و يتولد عن ذلك

---

[1] الحسين بنو هاشم في رسالته التي أشرف عليها الباحث اللغوي و البلاغي محمد العمري و الموسومة ب– **بلاغة الحجاج الأصول اليونانية**– و قد طبعت هذه الرسالة إلى كتاب سنة 2014م، مبينا فيها بلاغة الحجاج « و المقصود ببلاغة الحجاج هو البلاغة في شقها المتعلق بدراسة و سائل الإقناع، و الذي يدل عليه مصطلح Rhétorique في أصله اليوناني، و نظرا لتعذر استخدام مصطلح عربي مقابل في عبارة "بلاغة الحجاج"، أشرنا أن نستخدم مصطلح "خطابة" للدلالة على كل المعاني التي تدل عليها بلاغة الحجاج، أو مايسمى بصناعة الخطابة أو ب "فن الخطابة"أو ب "علم الخطابة"»ينظر: الحسين بنو هاشم : بلاغة الحجاج، الأصول اليونانية، تقديم : محمد العمري، الناشر : دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2014، ص11.

[2] محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري و تطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الناشر : افريقيا الشرق، المغرب، سنة 2002 ، ص07.

[3] المصدر نفسه : ص14.

إشكال التلقي في استصحاب دلالة المصطلح البلاغي مفرغا من المفهوم التراثي له المتأثر بما سبق من العوامل، و لذا عد العمري أن مكونات الخطابة هي نفس المكونات عند أرسطو، و لذا ترجمت الريطوريقا إلى خطابة لا تحاد المكونات قديما و حديثا.[1]

– تحقق الخطابة بعدا حجاجيا لما تشتمل عليه من مصطلحات هي كالآليات والإجراءات ،تتوحد فيها البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة أو نظرية الحجاج كما يراها بيرلمان ، حيث «كان الحجاج في الدرس العربي القديم أحد المقامات البلاغة المختلفة،مثل مقام الفخر ومقام المدح ومقام الحذف ومقام الذكروغيرها ، دون تفريق بين الشعر و الخطابة .لكن سرعان ما تأثر العلماء العرب بالبلاغة الأرسطية التي تفصل بين الخطابة والشعر، وقصرت الحجاج على الخطابة ، والخيال على الشعر »[2] هذه الآليات التي توفرها الخطابة هي ذلك« الفعل في المتلقي عل نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه للقيام بالعمل»[3] ونمثل لهذا الفعل المؤثر على المتلقي – الإقناع- وأنواعه كما يلي :

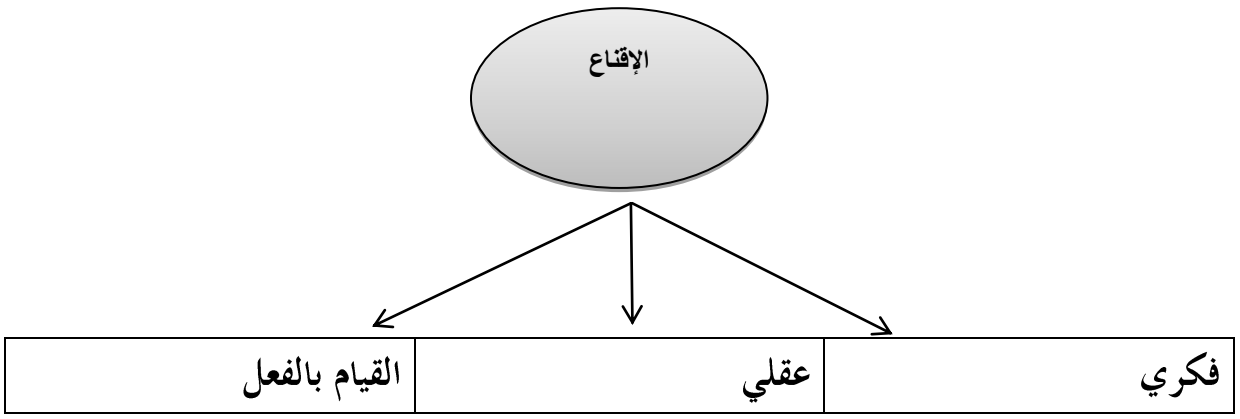

وعلى هذا يمكن القول: أن البحث البلاغي المغاربي ، استمد قوته ونضجه النقدي المعاصر من الدراسات البلاغية الغربية ويؤيد هذا أن معظم الدراسات البلاغية المغاربية صبت جلها في مجال

[1] ينظر محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص20 للمقارنة.

[2] عمر بوقمرة: العلاقة الدلالية بين مصطلحي البلاغة والحجاج- دراسة مقارهة– مجلة : دراسات لسانية .م3.ع2. جوان 2019م،ص132.

[3] سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة – بنيته و أساليبه – عام الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، الأردن ،2111 .ط1. 2008م. ، ص21.

البلاغة الجديدة مثلها نقاد مغاربة، من أمثال محمد مشبال ومحمد العمري وحمادي صمود ومحمد الولي....

سعت الدراسات البلاغية المغاربية المعاصرة في مجال المصطلح إلى تتبع آلياته الحجاجية الأولى، لأجل إضفاء الشرعية البلاغية في بعدها الإقناعي المعاصر،وقد أشار العمري إلى بعض ما يشوب مصطلحي البلاغة والحجاج من تداخل في أصلها تكوينهما ابتداء فقال : «من الطبيعي أن كل شيء رهين بالتعريف .فماذا نعني بالحجاج، وماذا نعني بالبلاغة؟ يجب أن نعطي الكلمتين معنى دقيقا، لكي نستطيع حل مشكلة العلاقة بينهما ،بل إن ذلك ضروري لوجود المشكل من أساسه »[1]

- المصطلح البلاغي تعددت تعريفاته بحسب الوظيفة البلاغية المقصودة منه ، وهذا ناتج للتطور الذي مرت به البلاغة العربية في جميع مراحلها انتهاء عند القدامى بتعريفات السكاكي وتقسيماته لعلومها

- إشكالية تلقي المصطلح البلاغي وتحديد مفهومه الوظيفي ، نابع من أصل تكوينه ونشأته .

1- المصطلح البلاغي بين وعي التلقي والوظيفة الحجاجية عند العمري

تمهيد:

إن المتأمل في الدرس البلاغي المعاصر الذي يدعو إلى ضرورة تلمس مواقع الحجاج فيه ،يجب أن ينظر نظرة تعمق واهتمام ، إذ أن البحث في « نظريات الحجاج في الدرسات العربية الحديثة- يحتاج - إلى وقفة تأمل تظبط الحدود الزمانية لبداية الاهتمام بهذه النظريات ، وإلى نظرة نقدية لممارسات هذه النظريات وتطبيقاتها على النصوص العربية المختلفة . ولعل الإقناع ، وهو مقصد أساسي في الخطب والنصوص ذات المترع التأثيري ، قد شكل نواة البحث الحجاجي والقلب الرابط بين البلاغة القديمة (الأرسطية وفي صيغتها العربية القديمة)والبلاغة الجديدة

[1] محمد العمري : البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول .ص213.

(نظريات الحجاج والتداولية ونظرية الأعمال اللغوية .فالإقناع هدف يتحقق عبر توسل أدوات وأساليب بلاغية (أي لغوية ، تركيبية ، بيانية...) »[1]

1.1- البلاغة والحجاج

اتجهت الدراسات البلاغية المغربية المعاصرة لاستكسشاف المنحى الحجاجي للمصطلح البلاغي تلقيا من تراث القدامى ووقوفا على على مستجدات البحث البلاغي المعاصر ، حيث« كان أهم ما كشفته القراءات الجديدة للبلاغة العربية ، هو ما انطوت عليه هذه الأخيرة من أبعاد تداولية حجاجية . وفي هذا النطاق ظهرت مجموعة من الأعمال البلاغية التي حاولت تأصيل المبحث الحجاجي كمبحث بلاغي انطلاقا من ثلاثة مصادر أساسية هي :

- التراث اليوناني الأرسطي من خلال كتابي الخطابة والجدل
- التراث البلاغي العربي ، الذي انطوى على مباحث حجاجية كانت بحاجة غلى من ينفض عنها الغبار ، ويخلصها من قيود بلاغة المحسنات.
- منجزات البلاغيين الغربيين الجدد، وخاصة تصورات بيرلمان وتيتيكا وأوسكمبر وديكرو وتولمين... »[2]

2.1- إجابات العمري

نجد هذه الرؤية عند العمري ، ليجيب عن هذا الإشكال الوارد قائلا : «يقتضي الجواب عن هذا السؤال –في المجال العربي– وضع الكثير من النقط على الكثير من الحروف، ذلك أن مفهومي "بلاغة وحجاج" عرفا تطورا كبيرا في الدراسات الحديثة في حوار نقدي مع البلاغة القديمة الخصبة، تطورا ظللنا بعيدين عنه بنفس المسافة التي تفصل بيننا وبين التقدم العلمي في كل المجالات»[3].

---

[1] صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، الناشر :صفحات ،دمشق 2008م،ص45.

[2] عبد الواحد المرابط.رشيد أعرضي .حسين كتانة. حسين درير.عبد الحميد زاهيد.من البلاغة المختزلة إلى البلاغة الرحبة ، قراءات في أعمال الدكتور محمد مشبال، ص12.

[3] محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة، ص 26.

يطرق الباحث المغاربي محمد العمري مسألة الوظيفة الحجاجية للمصطلح البلاغي في الدراسات العربية معلقا ذلك بعدة أسباب بقضية تطور المصطلح ،حيث يرى أن حجاجيته تستمد من التراث البلاغي القديم العربي منه أو الغربي .

يرى العمري أن عملية تحقيق الحجاج تكمن في عملية التواصل بين الأشخاص كل هذا موجود ومحقق في البلاغة القديمة العربية والغربية ، غير إن إشكال تلقي المصطلحات البلاغية وتوظيفها في الدراسات المعاصرة بقي رهين النظرة الضيقة إما تعصبا للتراث أو للحداثة ، إذ «يحتاج الناظر إلى مترلة نظريات الحجاج في الدراسات العربية الحديثة إلى وقفة تأمل تضبط الحدود الزمانية لبداية الاهتمام بهذه النظريات ، وإلى نظرة نقدية لممارسات هذه النظريات وتطبيقاتها على النصوص العربية المختلفة .ولعل الإقناع ، هو مقصد أساسي في الخطب و النصوص ذات المترع التأثيري، فقد شكل نواة البحث الحجاجي و القلب الرابط بين البلاغة القديمة (الأرسطية، و في صيغها العربية القديمة) و البلاغة الجديدة (نظريات الحجاج و التداولية و نظرية الأعمال اللغوية)، فالإقناع هدف يتحقق عبر توسل أدوات و أساليب بلاغية (أي لغوية، تركيبية، بيانية...) ولعل من بين الدراسات الأولى التي تطرقت للحجاج بشكل فني و دقيق كتاب "فن الإقناع" (1985) لمحمد العمري، حيث اقترح خطاطات ونماذج عملية لتحليل الخطبة تحليلا حجاجيا) ».[1]

تعد الخطابة في التراث العربي مجالا رحبا لتوظيف المصطلح البلاغي في بعده الحجاجي والإقناعي ،حيث ذهب البعض منهم العمري إلى اعتبار مصطلح الخطابة رديفا شرعيا لمصطلح البلاغة ،استنتاجا من من الفهم الأرسطي ، وهم قلة على حد رأي العمري ، على اعتبار أن الكثرة من رأوا أن الحجاج وثيق الصلة بمصطلح البلاغة « فهناك من الباحثين العرب المحدثين من استعمل كلمة " خطابة" مقابلا لها (هم الأقل)،...الباحثون الذين استعملوا كلمة خطابة راعوا في ذلك المعنى الأرسطي للكلمة و السياق الخطابي الحجاجي الذي يؤطرها. وهناك من استعمل كلمة بلاغة (وهم الأكثر)... أما الذين استعملوا لفظ بلاغة، فقد نظروا إلى المعنى الذي تبلور للكلمة في

[1] صابر الحباشة، التداولية الحجاج،مداخل ونصوص. ص45.

العصر الحديث بعد أن استرجعت بعدها الخطابي التداولي».[1]يمكن التخطيط لعملية تلقي المصطلح البلاغي وتحقيق البعد التواصلي من خلال المخطط الآتي:

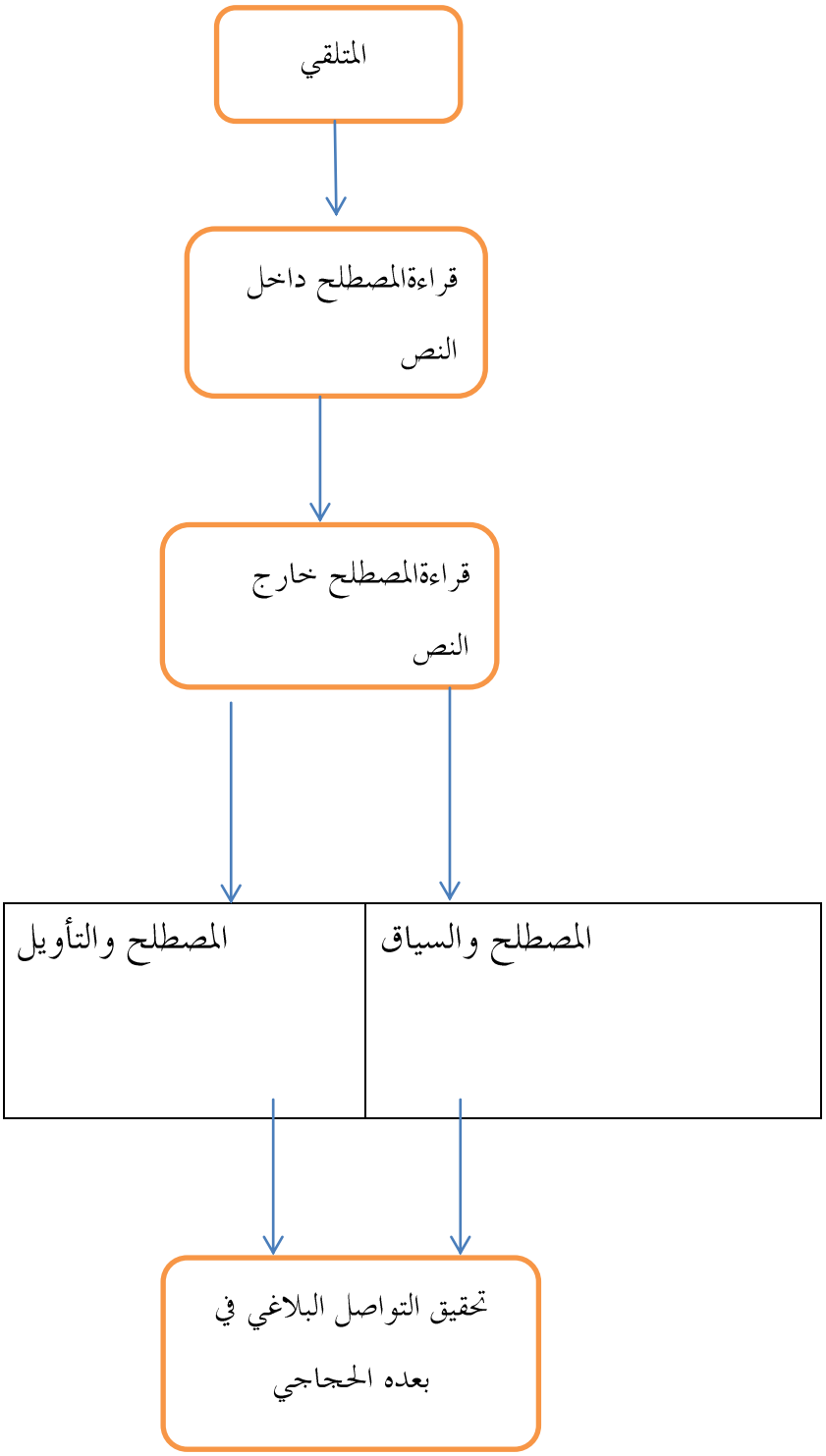

[1] محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة، ص27.

توجيه محمد العمري

نلاحظ من توجيه العمري مايلي:

- فقدان البلاغة في مرحلة ما بعدها التواصلي ، واقتصارها على الجانب التخييلي في الشعر.
- عودة البلاغة في العصر الحديث للبعد الخطابي التداولي ، مما جعل الأداء الوظيفي لمصطلحات البلاغة يتنازعها قطبان اثنان :

1 تخييلي (شعري)

2 خطابي تداولي (حجاجي)

يبدو أن العمري تلقى هذه الرؤية من البلاغة الغربية من أرسطو،حينما فصل بين فن الخطابة وفن الشعر وجعل لكل منهما كتابا مستقلا حيث « تنبه أرسطو لذلك ففصل الخطابة عن الشعر، و ألف في كل منهما كتابا مستقلا، وتبعه في ذلك الفلاسفة المسلمون فحرصوا على التفريق بين طبيعة الشعر الذي يهدف إلى التخييل و طبيعة الخطابة الهادفة إلى التصديق حسب الأحوال و الاحتمال»[1].

يصرح العمري اعتماده على الفكر الأرسطي حول التوظيف الحجاجي للمصطلحات البلاغية ، إذ يعتبر كتاب فن الخطابة وكتاب فن الشعر رافدين هامين من روافد تلقي المصطلح في البحث البلاغي المعاصر،لما يؤديانه من دور بارز في تحقيق عملية الحجاج واستمدادها منه في الدراسات البلاغية المعاصرة ، كون أرسطو أول من فصل بين مصطلحي الخطابة والشعر ،لأجل حجاجية المصطلح البلاغي يقول العمري : «لقد وقفت عند هذا الإشكال منذ ثلاثة عقود عندما اخترت لمحاضراتي في جامعة فاس عنوان : "بلاغة الخطاب الإقناعي" مؤقتا، لأنه مجرد وصف لا يستوفي متطلبات الاصطلاح العلمي الإجرائي الذي يسمح بالاشتقاق و التشعيب. ولذلك عدت إلى الموضوع فاقترحت كلمة "خطابية" مقابلا "لفن الخطابة" قياسا على "الشعرية" التي حلت محل "فن

[1] محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي،مدخل نظري وتطبيقي لدراسة البلاغة العربية، ص07.

الشعر دون حرج. فحين تكون الإحالة على أرسطو فلا دقة في استعمال أي من الكلمتين : بلاغة وخطابة، فالذي عند أرسطو هو "الخطابية" و "الشعرية"، أو علم الخطابة ونقد الشعر»[1].

وبالتالي أصبحت قراءة المصطلح البلاغي وتوظيفه بين نوعين اثنين :

1- بلاغة معيارية طابعها المصطلحي تعليمي محض.

2- بلاغة معاصرة ذات بعد حجاجي لساني ، يتم فيها تلقي المصطلح وتوظيفه على أساس بيان مواصفات الخطاب البلاغي، وهي القراءة البلاغية المعاصرة في منتصف القرن العشرين.

2- الاستمداد الحجاجي للمصطلح البلاغي من التراث – قراءات محمد العمري –

يرى محمد العمري أن حجاجية المصطلح البلاغي يمكن تلقيها من التراث ، سواء العربي منه أوالغربي ، فهو أساس الوقوف على حجاجية توظيف المصطلحات البلاغية في الدراسات المعاصرة ، فكل تطور للبلاغة العربية في العصر الحديث، يحيلنا حتما إلى التراث بقطبيه العربي والغربي إلى استمداد الحجاج والبحث في بلاغته يقول العمري : «لقد أدى تطور الدراسات الحديثة في مسارين لساني نصي و تداولي حجاجي إلى التنبيه إلى غنى التراث البلاغي العربي بشكل عميت عنه الأبصار طوال عقود، وهذا طبعا مرتبط بكون الحضارة العربية مرت بمرحلة حيوية شملت مناحي الخطاب في إطار نهضة علمية شاملة، و لم يكن من الممكن إعادة إدراك ذلك الغنى إلا بالاحتكاك بحضارة مماثلة في الحيوية و الشمولية، حضارة استثمرت التراث البلاغي الفلسفي القديم، ومنه العربي بشكل فعال. فقد كان علينا إذن أن نعود إلى هذا التراث لنسائله في غير استكراه و بشكل عفوي عن تواصله مع أسئلة هذا العصر »[2].

تتجلى حقيقة القراءة العمرية لحجاجية المصطلح البلاغي في التراث ، ماذهب إليه الجرجاني في بناء النظرية الحجاجية للمجازات في تحقيق تلك الإشارات التي تنعكس على المتلقي إثر ذلكم

[1] محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة، ص28.

[2] المصدر نفسه، ص 245 ــ246 .

التباعد بين شيئين أوأشياء.هذا التاباعد الذي ينشئه مرسل الخطاب في الاستعارة والتشبيه أو المجاز .

يتضح من خلال ما سبق :

- لتحقيق البعد الحجاجي لابد من مراعاة حال المتلقي .
- كلما كان التباعد في مصطلحات المجاز ، كلما كان تحقيق الحجاج فيه أثر على المتلقي.
- ضرورة مساءلة التراث وقرائته قراءة واعية في تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه ، لأجل حجاجية الخطاب البلاغي الذي تتطلع إليه الدراسات البلاغية المعاصرة. "وها نحن نعود، بعد عمر من البحث في المجال البلاغي ببعديه الشعري و الخطابي، إلى نقطة البداية لنتسائل: ماهي البلاغة؟ هل هناك بلاغة واحدة، أم بلاغات متعددة؟ و إذا كانت هناك بلاغات متعددة، هل هناك : مشروعية لقيام بلاغة عامة تنسق هذه البلاغات الخاصة وتتحدث باسمها في نادي العلوم المحيطة بها؟"[1].

- البلاغة العربية والغربية القديمة غنية بملامح الأبعاد الحجاجية ، فلابد من الرجوع إليها ضمن أسئلة البلاغة المعاصرة، لأجل الوقوف على مصادر تجليات البعدالحجاجي في استمداده من المصطلح البلاغي عبر تاريخه الطويل ، ولخلق أبعاد النظرية الحجاجية للاتكاء عليها كمصدر من مصادر التلقي والتوظيف للمصطلح البلاغي برؤية حجاجية معاصرة ، وبالمتامل في جهد العمري نرى أنه يريد تأسيس مصادر النظرة الحجاجية للمصطلح البلاغي في الدراسات المعاصرة، وخلق إجابات لأشكالتي التلقي والتوظيف على أساس حجاجي في أبعاد متعدة منها «البعد المقامي المنطقي المتعلق بالجانب السيكولوجي و الاجتماعي، وهذا هو الذي اهتم به أرسطو كثيرا في الخطابة، وليس له نظير في البلاغة العربية، فيما أعلم، غير شذرات، وقد حاولنا بناء المتاح منه في الفصل الرابع من القسم الأول من كتابنا: البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، في قراءتنا لمشروع الجاحظ في البيان و التبيين، و البعد التداولي اللساني السياقي الذي يهتم بملاءمة العبارة للمقاصد.

[1] محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، ص5.

فهذا المبحث غني جدا في البلاغة العربية وهو الذي صاغه السكاكي في أعقاب عبد القاهر الجرجاني، و اعتبره مركزا للبلاغة ولبا»[1].

إن الرجوع للدرس البلاغي القديم على حد رؤية العمري صار اليوم أمرا لازما لامفر منه ، لأجل تلقي المصطلح البلاغي تلقيا سليما وتوظيفه توظيفا ينم عن مرجعية يتم على أساسها فهم آليات الحجاج واستيعاب جميع مصطلحاته الضرورية لتحقيق ذلك ،حيث « إن دراسة الخطاب الإقناعي قد صارت من الأولويات في العصر الحديث فاستعانت لذلك بالأبحاث الإجتماعية و النفسية»[2].

وهذا أمر اتخذه القدماء أساس مصدرهم في نشأة البلاغة العربية وتكوين مصطلحاتها «ولعل هذا ما جعل الجاحظ، و هو يحمل هم الاقناع حسب الأحوال، يرد البيان كما سبق إلى الفهم، ثم يقايضه بالبلاغة و كأنه يتحدث عن شيء واحد، ثم يرهن البلاغة بمراعاة الأحوال مقايضا إياها بالخطابة، فالبيان هو الفهم، من جهة، وهو إظهار الحجة، من جهة ثانية»[3].

أكد محمود عكاشة هذه الرؤية في نشأة المصطلح البلاغي في بعده الإقناعي بمراعاة الأحوال ، واستخدام أساليب البيان لإظهار الحجة قائلا: « و لم ينشغل البلاغيون العرب بالقضايا الصورية المنطقية التي شغلت الفلاسفة الإغريق، و اهتموا بدراسة المستويات اللغوية (الصوتي و الصرفي و التركيبي و الدلالي)، وربطوا بين التأثير، و شخصية المتكلم، و هيأته و حركاته، و أدائه، و لسنه، و طلاقته و حبسته، كما درسوا الخطابة و قواعدها، و عناصر التأثير و الإقناع فيها»[4].

لقد استعمل بعض المعاصرين مصطلح الحجاج على اعتبار أنه مرادف للجدل و هو ما ضيق في توظيف المصطلح البلاغي على أساس حجاجي، حيث يرجع هذا التوظيف إلى إشكالية تلقي المصطح فيما يلي:

---

[1] محمد العمري،: أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة، ص250.

[2] محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص8.

[3] محمد العمري:أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة .ص38.

[4] محمود عكاشة: تحليل الخطاب، دار النشر للجامعات، القاهرة ، ط1،سنة 2013 م، ص 50.

1- اعتبار بعض القدماء مصطلح الحجاج مرادف للجدل.

2- مصطلح الحجاج هو صناعة منطقية محضة.

3- مصطلح الحجاج عند القدماء بني في الجانب التوظيفي له عند الأصوليين و علماء الكلام، وعلى طريقة المناطقة في الاستنتاج.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الحجاج هو مصطلح، تتناوله كل العلوم على افتراق تخصصاتها، ولذا كان تلقي مفهوم الحجاج يختلف و طبيعة الفن بحسب زوايا تناول القضية المراد إثباتها أو دحضها حيث يمكن على ضوء ما سبق أن يدرس المصطلح البلاغي عل أساس حجاجي «من خلال علاقة المتكلم بالمتلقي في إطار الحال التفرض (أ) أن يحدث (ب) تأثيرا باستعمال آليات الإرسال، كما تفرض على (ب) أن يفهم بطريقة معينة ما يقول (أ) و بالمفهوم القديم تسند الحال إلى بلاغة معينة ... أما الزاوية الثانية فتتمثل في رؤية الحجاج على أساس أنه بنية نصية، وهنا يكون التركيز على الجوانب اللغوية فقط، وذلك بالحديث على الأدوات اللغوية، التي تلعب في النص دورا حجاجيا، وهي المفردات، الأفعال الظروف الأسماء... إلخ»[1]

وللوقوف على إشكاليتي تلقي المصطلح البلاغي و توظيفه حجاجيا في الدراسات البلاغية المعاصرة لابد من الرجوع إلى دواعي نشأة البلاغة العربية؟ بتساؤلات منها:

- ما الهدف من نشأة البلاغة العربية؟ وهل الحجاج غاية نشأتها و تكوينها وتبلور مصطلحاتها؟.

وللإجابة عن هذا الإشكال تبادر للذهن أن دواعي نشأة البلاغة العربية تحديد وسائل البيان ووضوح العبارة بقول بليغ لا يمكن للمتلقي أن تتعدد عليه المفاهيم، حتى يكون المعنى محل الخلاف بين المرسل و المتلقي و هذا أصل نشأة البلاغة في البيئة العربية و لذا احتضنها الشعراء قبلا

- أما عند الغرب فمنشأ الخلاف أصلا في الترجمة فكلمة (ريطوريق) تناولهاالفلاسفة بمفهوم الخطابة و هي عند أرسطو «صناعة مدارها إنتاج قول تبني به الإقناع في مجال المحتمل، و

[1] يمينة تابتي: الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، مجلة الخطاب، ع2، ماي 2007م، ص 286.

المسائل الخلافية القابلة للنقاش بمعنى أنها علاقة بين طرفين تتأسس على اللغة و الخطاب يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله أو يثبت لده اعتقاد أو يميله عنه أو يصنعه له صنعا»[1]

نستنتج من خلال ما سبق:

اختلاف الرؤية العربية و الغربية في أصل النشأة الأولى للبلاغة، وجه الدراسات البلاغية المعاصرة ومنها مصنف الحجاج لبرلمان وتيتيكا أكثر إهتماما بقضايا الحجاج حيث عملا تخليص مصطلح الحجاج من التداخل المفاهيمي مع مصطلح الجدل وتوجيه المتلقي على أن حجاجية المصطلح البلاغي لاتقتضي صرامة الاستدلال بقدر ما تهدف على حمل المتلقي على الإقناع أوالتأثير

[1] فريق بحث في البلاغة و الحجاج، بإشراف حمادى صمود: أم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، منشورات كلية الأدب، جامعة منوبة، تونس، ص12.

المبحث الثالث: المصطلح البلاغي رؤية معاصرة:توجيهات حمادي صمود ومحمد العمري

قد يجتمع على حد قول مشبال البعد الحجاجي و التخييلي في نص واحد من مصطلح بلاغي واحد، باعتبار قدرة القدامى على الجمع بين صياغة التصوير الفني، و البعد الحجاجي الإقناعي دون تناقض إذ «لعل ما يسمى في البلاغة العربية بالتمثيل أن يكون أدل الوجوه البلاغية على تداخل التصوير و الحجاج الذي نسعى غلى الكشف عنه في أخبار الجاحظ فبنيته القائمة على التخييل الذي تجسده جملة من السمات كالتصوير الحسي والمتشابهة السردية و الوصف و المبالغة ، لا تنفي عنه ما يضطلع به من وظائف تواصلية حجاجية و معرفية وخلقية»[1]

على هذا الأساس يتجلى البعد الحجاجي لنشأة البلاغة العربية على عكس ما يتناول البعض من خطب القدامى ونزول الوحي من السماء لمقارعة المنكرين و الجاحدين له، فقد تبنى الباحث المغاربي حمادى صمود البلاغة العربية و الغربية موضوعا لمشروع قراءة، أبرز من خلال ذلك المكونات الحجاجية للمصطلحات البلاغية العربية، في مرحلة يسميها بالحدث الجاحظي حيث جاءت قراءته النقدية «وراء بلاغة للبيان تعتمد الحجاج و الجدل المنطقي بدلا من القتل والعراك، وتعطي لأول مرة في تاريخ النقد العربي مكانة للحدث الكلامي من جهة و للمتكلم من جهة ثانية بوصفه المبدع للخطاب»[2]

نجد نفس الرؤية لحمادى صمود في قراءته النقدية للتراث البلاغي، فجعل القسم الثالث من مؤلفه الكبير "التفكير البلاغي عند العرب..." يحتوي جملة من المقاييس و العناصر و الصور الفنية و المصطلحات البلاغية و ما تحققه من رؤية بلاغية لقياس نسبة الجودة و الامتاع، تمهيدا للحديث عن الاستمداد الحجاجي للمصطلحات البلاغية العربية في نشأتها الأولى باعتباره خاصية النموذج الحجاجي ، يستوعب أغلب عناصر مكونات الخطاب فهو «علاقة بين طرفين أو عدة

[1] محمد مشبال : البلاغة و السرد، جدل التصوير و الحجاج في أخبار الجاحظ، ص16.

[2] محمد سالم أمين الطلبة : الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، دار الكتب الجديدة، سنة2008، ص272.

أطراف تتأسس على اللغة و الخطاب يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله أو ينبت لده اعتقادا أو يميله عنه أو يصنعه له صنعا»[1]

لعل صمود بهذا يحيلنا على قضية البلاغة و الحجاج وجدليتي كل منهما تلقيا و توظيفا، و اعتبارا لخاصية الاختمال بينهما عند كثير من النقاد المعاصرين كما أشرنا آنفا، حيث يرى صمودأن « كثرة المصطلحات المستعملة الجارية اليوم في الدراسات الحجاجية و أشباهها إلى مناهج الاحتجاج و سبله... مثل مفهوم الاستدراج... بوصفه دالا على المخادعة التي أصبحت تعد من لغة وصف بلاغة الخطاب وما يقوم فيها من صنوف الحيل للإيقاع بالمخاطب»[2]

إن اعتبار البلاغة حجاجا في جوهرها يحيلنا صمود على اعتبار أن المنجر البلاغي العربي ظل «لفترة طويلة مختزلة في باب العبارة و الأسلوب، و لم تعمل على توسيع و تحليل المحاولات التي تناولت الحجة و البرهان منذ الجاحظ حتى الجرجاني، لكنه يرى أن إعادة قراءة هذا التراث كفيلة بإعادة ترتيب عناصر النظرية البلاغية العربية بطريقة مختلفة عن السابق، بحيث يبرز تصور واضح لبلاغة الشعر و آخر لبلاغة الحجاج ، لأن البلاغة العربية في عصر التدوين كانت تستجيب لحاجات نعينة نجمت عن سياقات فكرية و مذهبية واجتماعية بالغة الخصوصية»[3]

يرى العمري أن البحث البلاغي عبر تاريخه الطويل و العريض جمع لنا في هذه المسيرة مصطلحات بلاغية لايمكن جمعها لا تحت عنوان كبير يحمل هذا الاختلاف و التنوع هذا العنوان يحمل مصطلح البلاغة العامة، إذ يرى أنه هو« العلم الذي يستوعب مجموع الإجتهادات التي ساهم بها المنشغلون بالخطاب الاحتمالي المؤثر من زوايا عديدة: البديعيون و نقاد الشعر و الخطابة عند اليونان من بداية التفكير البلاغي إلى القلرن الخامس الهجري، بل حتى السابع منه ، حيث كان حازم آخر المجتهدين (ت 684/1285م) »[4]

---

[1] حمادى صمود : في تجليات الخطاب البلاغي، الناشر: دار قرطاج، تونس ، سنة 1999، ص65.

[2] المرجع نفسه، ص95.

[3] محمد سالم الأمين : الحجاج في البلاغة المعاصرة ص281.

[4] محمد العمري: المحاضرة و المناضرة في تأسيس البلاغة العامة، مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني، الناشر: أفريقيا الشرق، المغرب، سنة 2017م، ص13.

يرى صمود في قضية المصطلح البلاغي، أن إشكال التلقي في تحديد المفهوم الوظيفي له تعتريه عدة إشكالات فوجزها في مايلي:[1]

أ- خروج بعض التعريفات لحدود المصطلح عن الجانب البلاغي لها و ارتباطها بالمفهوم اللغوي، و الإقتصار فيه على قضية الفهم و الإفهام وتحقيق التواصل بين الباث و المتلقي.[2]

ب- التركيز على المرسل في تحقيق السلامة اللغوية، و الترتيب لأجزاء الكلام، وهذا جانب قد يحقق الأثر الإقناعي في المتكلم بخصائص تعلقت من طرف واحد وهو المرسل دون مراعاة للمتلقي، فيكون الخطاب البلاغي هذا نفسه مؤشرا وبد حجاجي في مقام دون مقام.

ج - قضية التحديد تعاني من مشكل الضبط الإصطلاحي الدقيق للمفهوم الوظيفي للمصطلح البلاغي، مما يفتح باب التأويل «إذ لا تتبين العلاقة بين محتوى التعريف و الشيء المعرف»[3]

قد وقف الباحث حمادي صمود على بعض المصطلحات الغربية الهامة عند الجاحظ « يرصد من خلاله الدرس البلاغي قبله وبعده ، باعتباره شخصية معلمية تأثرت وأثرت في هذه البلاغة»[4] لتحقيق حجاجية المصطلحات البلاغية، حيث تحدث صاحب البيان و التبيين عن خمسة أقسام هي عينها التي عرفت في الخطابة اليونانية «هذه الأقسام هي في المصطلح الغربي الشائع هي:

1- Inoventio : قسم يتعلق بالأغراض و الحجج و كل المسالك التي تؤدي إللى الإقناع
2- Dispostion : قسم يتعلقبترتيب أجزاء الكلام
3- Elocution : قسم يتعلق بخصائص التعبير و المقاييس الأسلوبية الواجب مراعاتها
4- Pronuntiation : التلفظ أو تحقيق النص في حيز زماني-مكاني من قبل المتكلم
5- Mémorio : التذكير وقوة الحافظة. »[5]

---

[1] ينظر حمادى صمود ،ص 257/256.

[2] ينظر: الجاحظ : البيان و التبيين للمقارنة ج1، ص87.

[3] حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، أسس و تطوره إلى القرن السادس.

[4] بوعافية محمد عبد الرزاق :البلاغة العربية والبلاغات الجديدة ،قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة،ص22.

[5] حمادي صمود: ص259.

إن هذا الأمر جعل صمود يخلص إلى نتيجة مفادها ان حجاجية البلاغة بمكوناتها المصطلحية« إذا ما قارناها بخطابة أرسطو منحسرة ضيقة مهتمة من الخطاب بمظهره اللغوي وبما قد يشتمل عليه من محسنات وطرق في إجراء القول خاصة...فأصبحت القيمة الأدبية الرئيسية التي يبرز على أساسها الفضل و التفوق هي التصوير و الصياغة و النسخ، و أحلت المعاني مرتبة دون مرتبة اللفظ لأنها مبذولة يشترك في معرفتها جميع الناس»[1]

إن حجاجية المصطلح البلاغي تفرض علينا اليوم في الدراسات المعاصرة الفهم العميق لشتى النظريات التي جاء بها التراث الغربي عامة والخطابة اليونانية خاصة، و الإلمام بالسياقات النظرية التي أسسها المعلم الأول أرسطو في كتابه فن الخطابة خاصة حقل الحجاج فيه حيث يشغل ما يقارب ثلثي الكتاب، وهو الأمر الذي جعل كثيرا من الدارسين المعاصرين خاصة في الجانب الحجاجي لقضايا المصطلح البلاغي، الدعوة بضرورة دراسة فن الخطابة عند اليونان أو أي تجديد في البلاغة العربية لابد أن يخضع لهذه الدراسة خاصة ما تعلق بقضايا الحجاج، لأن بعض الباحثين المعاصرينيرى أن الحجاج غربي أرسطي .[2]

1- الحجاج وعلاقته بمصطلحات بلاغية .

الناظر في تلقي مصطلح الإيجاز وتوظيفه بلاغيا بما يحقق البعد الحجاجي ، يرى ذلك جليا من خلاله توظيفه في مختلف الخطابات ،وهو يندرج ضمن مايسمى في الدرسات البلاغية المعاصرة ببلاغة الصمت [3] حيث إنه يخدم حجاجية الخطاب وفق باطن النص لاظاهره، وهو كثير توظيفه في الخطاب القرآني والشعري والخطابي ، حيث جعل من هاته الأنواع خطابا متجددا يتواءم بيئيا

[1] فريق البحث في البلاغة و الحجاج: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليومن بإشراف حمادي صمود ص31.

[2] ينظر: الحسين بنو هاشم: بلاغة الحجاج، الأصول اليونانية ص12، وكتاب عبدالعزيز تحويدق: نظريات الإستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ، ومارك جونسون، ص09 وينظر: صابر الحباشة: التداولية و الحجاج مداخل ونصوص، ص47 للمقارنة.

[3] ينظر : عبد الله البهلول، في بلاغة الخطاب الأدبي، .بحث في سياسة القول في نصوص من الأدب العربي القديم ،الناشر: مطبعة التنفسير الفني، صفاقس، تونس، ط1 ، 2007 م، ص37 وما بعدها

وزمانيا صالح لمختلف الذهنيات والعقول ، وهذا هو سر العملية الحجاجية المنفتحة على التفسير والتأويل. حيث ندرك تلقي البعد الحجاجي لبلاغة الصمت في تراثنا العربي عند الرماني(ت: 384هـ) معبرا عنها بمصطلح الإيجازوما ينشق عنه من مصطلحات قائلا : « الإيجاز على ثلاثة أوجه: الإيجاز بسلوك الطريق الأقرب دون الأبعد , وإيجاز باعتماد الغرض دون ما تشعب , وإيجاز بإظهار الفائدة بما يستحسن دون ما يستقبل , لأن المستقبل ثقيل على النفس؛ فقد يكون للمعنى طريقان أحدهما أقرب من الآخر كقولك: تحرك حركة سريعة – في موضع أسرع وقد يكتنف الغرض شعب كثيرة كالتشبيب قبل المديح , وكالصفات لما يعترض الكلام مما ليس عليه الاعتماد , وإذا ظهرت الفائدة بما يستحسن فهو إيجاز لخفته على النفس.

وإذا عرفت الإيجاز ومراتبه[1]. وتأملت ما جاء في القرآن منه , عرفت فضيلته على سائر الكلام , وهو علوه على غيره من سائر الكلام , وعلوه على غيره من أنواع البيان , والإيجاز تهذيب الكلام بما يحسن به البيان , والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الدرن , والإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ , والإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير , والإيجاز والإكثار إنما هما في المعنى الواحد , وذلك ظاهر في جملة العدد وتفصيله كقول القائل لي عنده خمسة وثلاثة واثنان في موضع عشرة وقد يطول الكلام في البيان عن المعاني المختلفة وهو مع ذلك في نهاية الإيجاز. وإذا كان الإطناب لا مترلة إلا ويحسن أكثر منها فالإطناب حينئذ إيجاز كصفة ما يستحقه الله تعالى من الشكر على نعمه , فإطناب فيه إيجاز. »[2]

[1] ينظر الفصل الثاني رؤية الجاحظ لمصطلح البلاغة باعتبارها هي الإيجاز.للمقارنة

[2] أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت: 384هـ): النكت في إعجاز القرآن: مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (16)]،ص80.79

وبالتالي يمكن القول أن مصطلح بلاغة الصمت[1] هو مصطلح حجاجي معاصر يضم مجموعة من المصطلحات البلاغية في التراث منها (الإيجاز[2] والحذف والاضمار وحتى الإطناب في قوله "وإذا كان الإطناب لا مترلة إلا ويحسن أكثر منها فالإطناب حينئذ إيجاز كصفة ما يستحقه الله تعالى من الشكر على نعمه , فإطناب فيه إيجاز"، يقول الجرجاني مبينا حجاجية مصطلح الحذف « هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة؛ وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن؛ وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر.

وأنا أكتب لك بديئا أمثلة مما عرض فيه الحذف، ثم أنبهك على صحة ما أشرت إليه، وأقيم الحجة من ذلك عليه، صاحب الكتاب [من البسيط]:

اعْتَادَ قلبَكَ مِنْ لَيلَى عَوَائِدُهُ وَهَاجَ أَهْوَاءَكَ المَكْنُونَةَ الطَّلَلُ

رَبْعٌ قَوَاءٌ[3] أَذَاعَ المُعْصِرَاتُ بِهِ وَكُلُّ حَيْرَانَ سَارٍ مَاؤُهُ خَضِلُ[4]»[5]

والتقدير : حذف (حب ليلى) وحذف المبتدأ (هو ربع) في البيت الثاني إذ يعتبر مصطلح « الإيجاز عند الرماني على ضربين: مطابق لفظه لمعناه: لا يزيد عليه، ولا ينقص عنه، كقولك: " سل أهل القرية "، ومنه ما فيه حذف للاستغناء عنه في ذلك الموضع، كقول الله عز وجل: " واسأل القرية " وعبر عن الإيجاز بأن قال: هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف، ونعم ما قال، إلا أن

---

[1] تغير المصطلحات في تعدد تسمياتها لايكسب البلاغة العربية مدلولا سلبيا ،بل بين تعددالمصطلحات وتغيرها بيئيا وزمانيا يجعل بين اختلاف المصطلحات قاسما مشتركا لتحقيق قصدية الخطاب الحجاجي ، وبذلك نتجاوز مفهوم مصطلح البلاغة المنحسرة.

[2] ينظرللمقارنة : الفصل الأول لتعريف البلاغة عند ابن المقفع على اعتبار مصطلحي السكوت والايجاز وجها من وجوهها الحجاجية .

[3] الربع: المترل. والقواء: الفقر.

[4] البيتين لعمرو بن أبي ربيعة وليس موجود في ديوانه ، وقد نسبهما إليه كذلك صاحب كتاب شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»المؤلف: محمد بن محمد حسن شُرَّاب ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان. الطبعة: الأولى، 1427 هـ- 2007 م،ج2.ص285.

[5] عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ): دلائل الإعجاز في علم المعاني.ص163.

هذا الباب متسع جداً، ولكل نوع منه تسمية سماها أهل هذه الصناعة.. فأما الضرب الأول مما ذكر أبو الحسن فهم يسمونه المساواة. »[1]

فقصدية الصمت هنا أودلالة مصطلح الحذف هو قصد واع من الشاعر لا عجز في التعبير ، إذ تتجلى حجاجية الحذف حينما ترك الشاعر في البيت مايدل عليه ، فتتوحد بذلك ثنائية الخطاب الظاهر والمبطن لتخدم بلاغة الصمت في بعدها الحجاجي ، وعند ذاك تكون كأجمل ما يكون به البيان والذكر.

1.1- تلقي مصطلح بلاغة الصمت من التراث:

يذهب إلى هذه الرؤية الحجاجية لبلاغة الصمت ،ضياء الدين بن الأثير، (ت: 637هـ) معتبرا مصطلح الإيجاز «النوع الخامس عشر: في الإيجازوهو حذف زيادات الألفاظ، وهذا نوع من الكلام شريف، لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة من سبق الى غايتها وما صلى، وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلى، وذلك لعلو مكانه، وتعذر إمكانه.

والنظر فيه إنما هو إلى المعاني لا إلى الألفاظ، ولست أعني بذلك أن تهمل الألفاظ، بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة، بل أعني أن مدار النظر في هذا النوع إنما يختص بالمعاني، فرب لفظ قليل يدل على معنى كثير، ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل.

ومثال هذا كالجوهرة الواحدة بالنسبة إلى الدراهم الكثيرة، فمن ينظر إلى طول الألفاظ يؤثر الدراهم بكثرتها، ومن ينظر إلى شرف المعاني يؤثر الجوهرة الواحدة لنفاستها»[2]

نرى من تعريف ابن الأثير لمصطلح الإيجاز على اعتبار أنه ينتمي لمصطلحات بلاغة الصمت بالتعريف والتلقي المعاصر مايلي :

[1] أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 463 هـ) : العمدة في محاسن الشعر وآدابه،ج2.ص250

[2] ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت: 637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة. الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة،ج2.ص209

- هو مصطلح ذوبعد حجاجي بالغ الأهمية ، صعب التوظيف لتعذر مكان التوظيف ،إلا على أرباب الفصاحة والبيان ، فهوبديل عن الكلام، له علاماته الموحية إليه في ثنايا الخطاب، وعلى هذا مدار التحليل البلاغي المعاصر

- قوله " **والنظر فيه إنما هو إلى المعاني لا إلى الألفاظ...لنفاستها**" حيث يظهر الجانب النحوي مايقتضيه الحذف ،ويفسر بلاغيا للوقوف على معانيه ،«إذ كانت الدلالة مرتبطة بالجملة ، فإن القول لا ترتبط به الدلالة بل يرتبط به المعنى »[1] وهو أكثر وقعا على النفوس لمن ينظر إلى شرف المعنى لا كثرة اللفظ.لأن « الإيجاز بالحذف أقوى دليلا على زيادة المعاني على الألفاظ؛ لأنا نرى اللفظ يدل على معنى لم يتضمنه، وفهم ذلك المعنى ضرورة لا بد منه، فعلمنا حينئذ أن ذلك المعنى الزائد على اللفظ مفهوم من دلالته عليه. »[2] **قال البحتري في الطويل:**

وَكَمْ ذُدْتَ عَنّي من تَحاملِ حادثٍ وَسَوْرَةِ أيّامٍ حَزَزْنَ إلى العَظْمِ

يصور الجرجاني بلاغة الصمت ومزيته من خلال مصطلح الحذف في بيت البحتري قائلا: « الأصل لا محالة: حززن اللّحم إلى العظم، إلّا أنّ في مجيئه به محذوفا، وإسقاطه له من النّطق، وتركه في الضمير، مزيّة عجيبة وفائدة جليلة. وذاك أن من حذق الشاعر أن يوقع المعنى في نفس السامع إيقاعا يمنعه به من أن يتوهّم في بدء الأمر شيئا غير المراد، ثم ينصرف إلى المراد. ومعلوم أنه لو أظهر المفعول فقال: «**وسورة أيام حززن اللحم إلى العظم**»، لجاز أن يقع في وهم السامع إلى أن يجيء إلى قوله: «إلى العظم»، أن هذا الحزّ كان في بعض اللحم دون كله... أفيكون دليل

[1] جاك موشلر ،آن ريبول :القاموس الموسوعي للتداولية ، تر : مجموعةمن الأساتذة ، الناشر : دار سيناترا تونس ، ط2، سنة2010م ،ص27.

[2] ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت: 637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ج2.ص218.

أوضح من هذا وأبين وأجلى في صحة ما ذكرت لك، من أنك قد ترى ترك الذّكر أفصح من الذكر، والامتناع من أن يبرز اللفظ من الضمير، أحسن للتصوير»[1]

وبهذا يصور الجرجاني مصطلح الحذف أبلغ تصوير حين وظف حذف المفعول لدلالة السياق عليه .

2- إشكالية تلقي المصطلح البلاغي وتحقيق الوظيفة الحجاجية:

أصبحت الدرسات البلاغية المعاصرة تعاني اليوم في مجال المصطلح البلاغي تلقيا وتوظيفا من إشكاليتين اثنتين أساسا وهما:

1- تلقي المصطلح البلاغي تلقيا ينجذب نحو التراث لفظا ومعنى يقول العمري «إننا نجد أنفسنا بين جاذبيتين جاذبية التراث و جاذبية المعاصرة، بين البلاغة القديمة و الشعرية الحديثة، وقد قررنا خوض هذه المغامرة»[2].

2- تلقى المصطلح البلاغي تلقيا ينجذب نحو الحداثة والمعاصرة ، مما أثر ذلك على ازدحام المصلحات النقدية المعاصرة بين ماهو معرب وبين ما مترجم ، وتبقى درجة توظيف المصطلح البلاغي على وعي الناقد ودرجة فهمه ، حتى أنه «من الملاحظ أن بعض المترجمين ، يقدمون على الترجمة دون تسلح كاف بأدواتها ومطالبها ، ولذلك يعمدون إلى الترجمة الحرفية أو الترجمة الركيكة ،... ومن نتائج الترجمة غير الدقيقة ،ومن نتائج التسرع أو الارتجال في وضع المصطلح ، أن صار المفهوم الأجنبي غامضا عند وضعه مصطلحا في العربية ، رغم أن دلالته قد تكون واضحة في لغته الأصلية،وهذا ما يؤدي إلى شيوع الإبهام أو الغموض»[3]

[1] الجرجاني الدار (ت: 471هـ): دلائل الإعجاز في علم المعاني،تح : عبد الحميد هنداوي،ص117.116.

[2] محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية في الشعر، ص15.

[3] أبو شاويش حماد: مشكلة المصطلح في النقد الأدبي الحديث ، مجلة :كلية التربية، مج1.ع1، يناير1997ن.ص205.

إن إشكالية التلقي[1] للمصطلح البلاغي لم تكتسب دلالتها البلاغية لتوظيف المصطلح المتلقى ، حيث إن هناك مصطلحات خاصة بعلم لا تتعدى لسواه [2]، أشار إلى هذا الاشكال التهاوني في كشافه

5- المعاجم اللغوية وإشكالية رصد المصطلح البلاغي

تتجلى الوظيفة المعجمية جلية عند الدراسين في رصد المصطلح البلاغي ، كما يترتب في نفس الوقت عن ذلك إشكال تعدد المفاهيم في توظيف المصطلح البلاغي لأجل تداخل المصطلحات في المعاجم المتخصصة والغير المتخصصة (المعاجم العامة) ، ولذا أسفرت الدراسات المعاصرة تفاوتا بينا بين المعجم البلاغي المتخصص وغيره من المعاجم اللغوية والأدبية التي رصدت أحيانا بعض المصطلحات البلاغية الفرعية المتولدة عن مصطلحات تمثل الأصل والمفتاح في الدرس البلاغي، "فالذي يتوخى تحديد المصطلح عند ناقد أو بلاغي قديم على سبيل المثال، عليه أن يدرك أنّ موضوع عمله ليس مجموعة من الألفاظ، ولكنه مجموعة من السياقات المعرفية والإيديولوجية المتجاوبة والمتعارضة "[3]

[1] أشار عبد الله صولة إلى قضية التلقي فقال :"أنواع المتلقي على الحقيقة كثيرة والحدود بين بعضها متداخلة ، فهناك المتلقي المطلق بوصفه مفهوما مجردا عن الزمان والمكان ن والمتلقي الفعلي ،وهو يتلقى النص فعلا في زمان بعينه ومكان بعينه ، وهذا يقابل عندنا المتلقين الأولى . وهناك المتلقي الضمني وقد يقابله عندنا المتلقي المحتمل ، والمتلقي المثالي الذي يجد فيه النص من يفهمه على الوجه الأمثل . [1]عبدالله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية.ص42

[2] « فإن لكل علم اصطلاحا خاصا به إذا لم يعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه الاهتداء إليه سبيلا ، وإلى انفهامه دليلا »ينظر محمد علي التهاوني :كشاف اصطلاح الفنون ،تح : لطفي عبد البديع ، مصر عام 1962م.ص1.

[3]ينظر :محمد العمري :أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص226

بعد اطلاعنا على بعض المعاجم اللغوية [1]والبلاغية[2] توصلنا إلى مايلي:

- غياب دلالات المصطلح البلاغي والمفاهيم الثانوية له في المعجم العام، وهذا ما يجعل الباحث المتخصص في الدرس البلاغي المعاصر يجد فراغا لتوظيف بعض المصطلحات انطلاقا من تلقيها عبر المعجم العام، دون المعجم الخاص ، ولعل فكرة ضم المصطلحات البلاغية مع غيرها من المصطلحات اللغوية والأدبية ، كان نتيجة «الجمودالذي حل بالبلاغة عند الغرب أدى لاستبعادها من البحث العلمي الجامعي ،وحل محلها دراسة تاريخ الأدب والدرس الأسلوبي ،لكونها مادة غير قابلة للتطور ولا تصلح للبحث العلمي ، لأنها باتت مادة محددة المعالم ، لم تواكب التطور اللغوي والمنهجي الذي شمل العلوم اللغوية مطلع القرن العشرين ، ولأن المدرسة الشكلانية تولي عناية خاصة للشكل الأدبي البلاغي ، فقد عمل رواد الشكلانية على تطوير البحث البلاغي بالدعوة إلى تطوير المباحث البلاغية ، مواكبة للتطور في علم المناهج الأدبية»[3]

- تتجلى وظيفة المعجم المتخصص في ربط التواصل بين أهل الاختصاص في تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه.واتفاقهم على المصطلح البلاغي الأصل وما يحيل عليه من مصطلحات ثانوية تكون محل اتفاق بينهم ، لتحقيق الوظيفة البلاغية المعاصرة في بعدها الإقناعي.

- سهولة ربط المصطلحات البلاغية وما يتولد عنها من مصطلحات فرعية تخدم المعنى العام وتوسع دلالته البلاغية والإبلاغية لخدمة المصطلح البلاغي الأم ، بالجدول الآتي:

---

[1] أحمد مطلوب :معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، و المعجم المفصّل في علوم البلاغة(البديع، البيان والمعاني) إنعام فوّال عكاوي .

[2] إميل بديع و ميشال عاصي : المعجم المفصّل في اللغة والأدب و قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية(عربي إنجليزي إميل يعقوب وآخرون .

[3] معاذ محمد عبد اليادي الحنفي: المنجز النقدي بين النقد البلاغي والنقد الأدبي الحديث في الأدب الفمسطيني المعاصر، بإشراف : نبيل خالد أبو عمى و محمود محمد العامودي ، رسالة دكتوراه ، الجامعة الإسلامية – غزة. ص215

المصطلـــح البلاغـــي	عدد فروعـــه	المصطلحات المنبثقة عن المصطلح الأصل
التشبيـــه	14 فرعا	التشبيه البليغ- التشبيه التمثيلي –التشبيه الضمني –التشبيه المقلوب- التشبيه المشروط –تشبيه التفضيل –التشبيه القريب – التشبيه المبتذل – التشبيه البعيد- التشبيه الغريب –التشبيه الحسي – التشبيه العقلي – التشبيه المتنامي[1]
الاستشهاد والاحتجاج	4 فروع	التشبيه الضمني عند العسكري- الاستطراد[2] – حسن الخروج – حسن التخلص عند السيوطي[3]
الكناية	فرعين	التعريض[4] عند ابن منظور والفيروز ابادي –الاشارة عند ابن رشيق
الالتفات	7 فروع	العدول عند الجرجاني –شجاعة العربية عند ابن الأثير –الاعتراض عند ابن رشيق – الاستدراك عند قدامة – الاحتراس عند ابن أبي الأصبع - الانصراف عند أسامة بن منقذ – الانزياح عند المعاصرين .

[1] التشبيه المتنامي :يسميه شوقي ضيف بالتضمين... ويطلق عليه شكري فيصل اسم الاستدارة التشبيهية ويسميه ايليا الحاوي التشبيه الاستطرادي ويعده امتدادا للتشبيه التمثيلي ...وهو المشابهة التي يحدثها الشاعر بين شيئين أو أشياء في تركيب فاتحته نفي بحرف (ما) خاصة وخاتمته إثبات بحرف (الباء)... ولأجل خاصية التدرج والنمو اصطلح عليه بالتشبيه المتنامي ، لأن المشبه به يبدأمفردا بسيطا، ثم يأخذ بالتنامي والاتساع حتى يبلغ أقصى درجة من الاتساع الدلالي والنضوج الفني ، ثم ينتهي بذكر المشبه ، وهي نهاية للبناء الفني وليست نهاية لوصف المشبه.ينظر :عمر عتيق : معجم مصطلحات علم البلاغة، الناشر دار أسامة ، عمان ، الأردن ،ط1 ، سنة2016م.ص179-180،181-182.

[2] القيرواني يفرق بين مصطلحي الاستطراد وحسن الخروج فيقول في الثاني :أن يري الشاعر في وصف شيء وهو إنما يريد غيره ، فإن قطع أو رجع إلى ماكان فيه فذلك استطراد وإن تمادى فذلك خروج ...

[3] ينظر السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ،ج3.ص373.

[4] يرى ابن الأثير أن معظم البلاغيين ممن ذكرنا لم يفرقوا بين الكناية والتعريض ... فذكروا للكناية أمثلة من التعريض والعكس .ينظر ابن الأثير : المثل السائر .}2 ص201.

خلاصة:

توصلنا في نهاية هذا الفصل لجملة من العوامل ساهمت في نهوض البحث البلاغي المغاربي المعاصر ، وقف من خلالها الدارسون على تحديد إشكاليتي التلقي والتوظيف للمصطلح البلاغي التي وجهت الدراسات البلاغية المعاصرة إلى أن إشكالية تلقي المصطلح البلاغي وليدة البيئة التي أثرت على نشأته بحكم التأثير والتأثر في تفاعل الثقافات كما حصل الشأن مع مصطلح البلاغة مما ساقه الجاحظ في كتاب البيان والتبيين على أنها هي الفصل والوصل عند الفارسي و تصحيح الأقسام عند الهندي وحسن الاقتضاب عند الرومي ووضوح الدلالة عند الهندي ، فكل هاته المنابع والمشارب في تحديد المصطلح البلاغي ، ولدت اشكالا في عملية التلقي والتوظيف عند المعاصرين ولذا دعت الدراسات المغاربية المعاصرة منهم محمد مشبال والعمري وصمود إلى ضرورة توخي الوعي في قراءة التراث ووتظيفه توظيفا سليما يجمع بين ثنائيتي التراث والمعاصرة ، وهي جعل المصطلح البلاغي يحتويه جناحين جناح التصديق وجناح التخييل على حد رأي العمري لأجل تحقيق المقاربة الدلالية بين المرسل والمرسل إليه وذلك من خلال مراعاة المفهوم النسقي الذي يجعل من المصطلح البلاغي مصطلحا جامعا للبعد الحجاجي والتخييلي .

خـــاتـــمـــة

لقد أوصلتنا هاته الدراسة المتواضعة بمجاليها النظري والتطبيقي إلى بلوغ بعض النتائج التي تعلقت بقضايا البحث البلاغي عامة والمصطلحي منه خاصة ، فكان عروجنا على جهود القدامي مفتاحا توجيهيا رسم لنا طريق تتبع اشكالتي تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه ، الذي وجدنا لها دراسات جادة وقيمة لدى المعاصرين والمهتمين بالقضايا البلاغية في توجيه هاتين الإشكاليتين ، وإذ ننحني أمامهم تواضعا وتقديرا لما بذلوا ووصلوا إليه ، فإننا نأمل أن نتوخى أن نقف على بعض النتائج والأهداف التي أردنا تحقيقها في هذا الموضوع بما يتلاءم ومتطلبات الدراسات البلاغية المغاربية المعاصرة فكانت نتائج البحث كالآتي:

- اهتمام العرب الشديد بالمصطلح البلاغي تلقيا وتوظيفا لأجل التأصيل السليم و بلوغ المرام في الإقناع والتأثير ، وهذا ما يعني بعض الغموض في بداية الأمر انطلاقا من ابن المعتز و مرورا بالجاحظ، وبعثا روحيا للبلاغة ككل مع الجرجاني، انتهاءا بالسكاكي في تقسيم مصطلحات البلاغة إلى ثلاثة مباحث : البيان والمعاني والبديع، تقسيما يهدف من خلاله تحقيق البعد التواصلي بين منتج الخطاب والمتلقي به.
- أثر الخطاب القرآني في تحديد ماهية المصطلح البلاغي جلي وواضح لا ينكره إلا جاحد، إذ رسم لنا الوحي الإلهي البعد الفني والبلاغي لمصطلح المجاز ككونه نابع من مصطلح التشبيه الذي تفرعت منه جل المصطلحات المجازية كالاستعارة والكناية والمجاز بنوعيه،و لذا كانت الإرهاصات الأولى تدعوا إلى تأصيل مصطلح التشبيه، لما له من جذب واستمالة للنفوس والأحاسيس، فهو جوهر العمل الإبداعي عند العرب القدامى، والجاهلية خاصة.
- بداية ظهور معالم إشكاليتي تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه، تزامنت مع بدايات النهضة العلمية المعاصرة، وتداخل العلوم وتعاورها في تحليل الخطابات، وهو الأمر نفسه عند القدامى حينما اكتشفوا أن هناك بلاغتين، بلاغة العجم وبلاغة العرب، وهذا ما صرح به السيوطي أنه انتهج طريق العرب في التأليف، لا طريقة العجم.
- كان للمدرسة الفلسفية على غرار المدارس الأخرى الأثر البين في توجيه تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه، مما جعل البعض من النقاد المعاصرين منهم والمتأخرين يرون أن البلاغة العربية

مصطلحاتها هي من نتاج الفكر الفلسفي الذي اتخذ من المنطق و الجدل بعدين أساسيين في وضع المصطلح البلاغي ، وهو الأمر الذي جعل أبو هلال العسكري يحذو حذو منطق قدامة بن جعفر في تأسيس المصطلح البلاغي وفق آليات المنطق اليوناني، وهذا ما توصل إليه سعد مصلوح إلى أن المباحث البلاغية بتقسيماتها قائمة على المنطق الأرسطي.

- تبنت بعض الدراسات البلاغية المغاربية في تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه المفهوم الواسع للبلاغة الشرقية والغربية قديمة كانت أو معاصرة، وقد مثل هذا الإتجاه حمادي صمود في قراءته للمنجز الجاحظي مركزا على المصطلحات البلاغية التي تهتم بجانب البيان وقصدية الدلالة في التوظيف ،وأبرز هذه المصطلحات الحقيقية والمجاز والبلاغة والفصاحة، كونها بمثابة مرتكزات البحث البلاغي ككل خاصة في الجانب المصطلحي منه، وهو الأمر نفسه عند العسكري الذي يرى أن إهمال هاته المصطلحات هو إخلال بعملية الوقوف على سر إعجاز الخطاب القرآني عن طريق الذوق الفني.

- تلقى العرب التشبيه كأول مصطلح بلاغي، لما له من دور فعال، كونه معيار لبلاغة الشاعر ،فمن شبه فقد أبلغ وما تقع عليه الحاسة في التشبيه أفضل مما لا تقع عليه، وبذلك جاء الوصف القرآني، حيث إن البلاغة لم تكن كعلم له مصطلحات تضبطه، وإنما ينتظم لها الخطاب البلاغي عفويا دونما حاجة لأي توظيف لمصطلح بلاغي مقصود، وإنما اعتبار درجات التمايز والتفاضل بين الشعراء والبلغاء في قدرتهم على التشبيه والعمل على تمييز الجيد منه والحسن والرديء.

- تمثلت جهود القدامى في وضع مصطلحات علم المعاني والبيان والبديع ،وقد واجهتها عدة مؤثرات خلال القرون السبعة الأولى من أهمها القرآن الكريم، خاصة أن العرب اشتغلوا كثيرا في بداية أمرهم على تحدي هذا الخطاب، فكانت مجمل مؤلفاتهم تنحوا نحو قضايا الإعجاز، ولذا تداخلت بعض المصطلحات البلاغية مع بعض القضايا النحوية والأصولية كمصطلحي الخبر والإنشاء، فكما يشتغل عليهما البلاغي، يشغل عليهما الأصولي والنحوي.

- يعتبر علم البيان من أهم علوم البلاغة الثلاث، لما اجتمع عليه من أثر بليغ في نفسية متلقي الخطاب، ولما له من دور فعال في الكشف عن الحقيقة، وهو الأمر الذي سهل على الجرجاني

الوقوف على ماهية وحقيقة مصطلحات البلاغة والبيان والبراعة، فكان مؤلفه أسرارالبلاغة، إنجازا يهدف بحق الوقوف على حقيقة مصطلحات علم البيان.

- استمر المفهوم العام لتلقي مصطلحات علم البديع ردحا من الزمن يضم بعضا من مصطلحات علم البيان كالاستعارة والمجاز ،وهو علم من علوم البلاغة الثلاث، حاز قصب السبق في جمع شتاته ابن المعتز، ولكنه في الغالب أراد به مصطلحات البلاغة بمفهومها اللغوي العام، حيث ضم بعض مصطلحات البيان والمعاني لعلم البديع، وبالتالي يكون ابن المعتز أول من ألف في البلاغة العربية علم اعتبار أن تلقي مصطلح البديع عند المتقدمين هو مرادف لمصطلحي البيان أول البلاغة.
- ساهم الجاحظ (ت255هـــ) إلى حد كبير في بعث البحث البلاغي المعاصر، حيث تعتبر مؤلفاته البلاغية خاصة كتابه (البيان والتبين) أهم مصدر من مصادر توجيه البحث البلاغي المعاصر عامة، وتلقى المصطلح البلاغي و توظيفه في الدراسات المعاصرة خاصة، وهذا الذي أكدته الدراسات المغاربية المعاصرة في مجال البلاغة العربية، حيث اعتبره حمادي صمود أهم مصدر من مصادر البلاغة، يمكن التلقي منه والبناء على وفق ما يحقق الغرض المقصود من توظيف المصطلح البلاغي، فهو يعتبر الذاكرة التي تحفظ أساسيات هذا العلم.
- يعتبر محمد مشبال –رائد الدراسات البلاغية المغاربية المعاصرة– الجاحظ على أنه أحد المحطات الكبرى في تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه ، كونه رسم المعالم الكبرى للتجديد البلاغي المعاصر، وذلك لما اشتملت عليه مؤلفاته من خطب وأشعار وأخبار ولطائف... احتوت كثيرا من المصطلحات البلاغية، وعملت على توظيفها في النثر بعدما كانت البلاغة مفتونة بالشعر خاصة، وهو تحول ينبـــئ على ما تتطلع إليه الدراسات البلاغية المعاصرة، لتتجاوز بذلك إشكاليتي تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه وفق العلوم المعاصرة نقدا و تحليلا وقراءة، وبذا يكون الجاحظ مؤسس بلاغة السرد على حد رؤية محمد مشبال.
- حضور البعد التداولي بقوة في تراث القدامى، وهو ما ساهم بقوة في بعث تجديد البحث البلاغي المعاصر، وهو الأمر الذي نلتمسه في تعريف المصطلح البلاغي عند كل من العسكري (ت395هـــ) والسكاكي (ت 626 هـــ) حيث ركزا في ذلك على منتج الخطاب ومتلقيه،

وفق نظام لغوي سليم، لتحقيق عملية التواصل بين الطرفين (المرسل والمتلقي) وهو بعد تداولي نادت به الدراسات التداولية المعاصرة، انطلاقا من لغة الخطاب اليومي، وارتقاءا إلى مستوى الخطاب الإقناعي، وهو ذلك المستوى العالي من البلاغة العربية بالتشبيهات والمحسنات... لبلوغ العملية التواصلية في بعدها البلاغي التداولي.

- الوقوف على إشكاليتي تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه، تقتضي الجمع بين الأصالة والمعاصرة، فهي شرط لتجاوز تقليد القدامى وفقدان التأصيل ،أو الانسلاخ عنه ، كما أن إحياء معاني المصطلحات لا يمكن إلا بقراءة تراث الأوائل و أصل الوضع والوقوف على حقيقته اللغوية ، وفلسفته الوظيفية، وما مصطلح البلاغة الجديدة إلا تفسير لمصطلح الحجاج عند القدامى.
- إثبات البعد الحجاجي في الشعر العربي رؤية بلاغية مغاربية معاصرة تبنتها الباحثة سامية الدريدي، انطلاقا من تلقي المصطلح الحجاجي وتوظيفه عند القدامى، فالغموض هو وسيلة من وسائل توظيف المصطلح البلاغي ذو بعد حجاجي يلزم المتلقي بالإذعان وقبول الحقيقة.
- إن أثر المصطلح البلاغي في الدراسات العربية المعاصرة يبدو جليا لما عرفته الساحة الأدبية من تقدم كبير في نشاطها التأليفي و الإبداعي، هذا الأثر أعاد السؤال من جديد عن ماهية مصطلح البلاغة، وهل هناك بلاغة واحدة أم بلاغات ؟، ومن هنا جاءت دعوات التجديد في تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه ببعديه الشعري و الخطابي، فكانت الوجهة العلمية المعاصرة في مجال تحديد إشكاليتي تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه تدعو إلى ضرورة اعتبار السياق لبيان ماهية توظيف المصطلح البلاغي، كحلول مصطلح الحجاج محل مصطلح التداول في سياق بلاغة الإقناع.
- تمثلت إشكاليتي تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه في اكتشاف فجوة مصطلحية، فجوة تلقي المصطلح وتوليده، وعلى أي أساس يتم توظيفه مراعاة للترجمات والإضافات المصطلحية التي تضاف للبحث البلاغي المعاصرة مع اعتبار توحيد هذة الإضافات المصطلحية وتوحيدها بين مختلف الأقطار العربية، ناهيك عن ما تتشارك فيه العلوم من المصطلحات والمفاهيم الدقيقة لها داخل اللسان البشري واختلافها من عقل علمي لآخر.

- دعت الدراسات المغاربية المعاصرة، إلى ضرورة مراعاة المسار التاريخي لنشأة المصطلح البلاغي وتطوره ببعديه اللغوي والفلسفي العام.
- أثرت إشكالية عدم استيعاب التراث للمصطلح البلاغي ، فتولّدت أحيانا عدة تناقضات في عمليتي التلقي والتوظيف ، كما هو الشأن مع بعض المصطلحات كاالتوسع والانحراف والانزياح فهي مصطلحات لمسمىّ مصطلح العدول في التراث العربي.
- تناغم وانسجام المصطلح البلاغي والتحليل الأسلوبي المعاصر ، وفق آليات وخصائص معاصرة منها، انتقاء الأسلوب الجيّد لتوظيف المصطلح البلاغي ،قصد الوصول إلى الإقناع والإمتاع ، للحفاظ على فخامة الأسلوب.
- حضور البعد التداولي في التراث البلاغي العربي ، كما أشار إلى ذلك بعض الدرسين المغاربيين أمثال طه عبد الرحمن ومحمد العمري مما ساهم في تجاوز إشكاليتي تلقي وتوظيف المصطلح البلاغي ، فكان كل خطاب هو ذو بعد حجاجي بالدرجة الأولى ، وهووعي كبير في الدراسات المغاربية المعاصرة بمعايير التحليل التداولي للمصطلحات البلاغية.
- حجاجية المصطلح البلاغي، يمكن تلقيها من التراث العربي ، فكل توظيف حجاجي للمصطلحات البلاغية في مساره اللساني النصي ، والتداولي الحجاجي ينبئ عن ثراء التراث، كما الشأن مع الجرجاني في إشاراته لتباعد مصطلحات المجاز لتحقيق عملية الحجاج ، فهي دعوة صريحة لإعادة قراءة التراث ومساءلته من جديد .

وفي ختام بحثنا هذا يمكن القول أن إشكالية تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه ، يمكن اعتبارها دافع من دوافع بعث البحث البلاغي وتجديده، وبالتالي تكون البلاغة قد توجهت نحو مسارها المنشود ، في مواكبة وتطور العلوم والمعارف وازدهارها، وهذا لايتم إلا باستلهام قيمنا العلمية في تراثنا العربي، وهو أمر صار بالضرورة لازما لامفر منه بغية تلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه وفق مرجعية أساسها الفهم السليم لطرائق الحجاج، وهو من أولويات الدراسات البلاغية المعاصرة.

وعلى ضوء ماسبق ، يكون عملنا قد أوشك نهايته ، راجين من المولى عزّوجل أن نكون قد ساهمنا في إثراء الدرس البلاغي ولو بقراءة جديدة وإطلالة على روافد تلقي المصطلح البلاغي وما يكتنفه من أبعاد بلاغية في التوظيف المعاصر يجب الإلمام بها ، قصد إمداده بالبعد الجمالي والحجاجي .

وكل ماتوصلنا إليه ماهو إلا غيظ من فيض آملين أن تكون هناك دراسات وبحوث في المستقبل بغية إثراء قضايا المصطلح البلاغي، والتوسع فيه، فنوصي في نهاية بحثنا هذا الباحثين والمهتمين بالدرس البلاغي على أن يتطرقوا لجوانب هذا الموضوع دراسة وتحليلا لما له من بعد كبير في بعث البلاغة العربية وانفتاحها على العلوم المعاصرة.

وأخيرا أتوجه بالشكر للمولى عزّوجلّ على توفيقه لنا في تتبع مجريات هذه الرسالة ، رفقة سندي وأستاذي الفاضل الدكتور **نورالدين دحماني** الذي أنفق من وقته وجهده الفكري لأجل تتبع محطات هذا البحث ، وحرصه على إخراجه في أبهى حلّة ، فأتوجّه له بالشكر الجزيل ، داعين المولى تعالى أن يجزيه عنّا خير الجزاء ، ويمدّه بالصحة والعافية ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الملاحـــق

فهرس الآيات القرآنية			
الآيـــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾	النساء	63	19
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	البقرة	204	26/27
﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾	البقرة	93	31
﴿ اَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَّاكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيِّتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾	الحجرات	49	39
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَاكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَاكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۖ ﴾	النساء	10	39
﴿ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾	المائدة	42	39
﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾	الحجر	94	41
﴿ يَوْمَ يَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾	ق	30	44
﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالْاَرْضِ ﴾	البقرة- الانعام	117- 101	71
﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾	طه	70	91
﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ۖ ﴾	النساء	63	98
﴿ وَالَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ ﴾	الشورى	16	98

﴿ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴾	الفرقان	28	125
﴿ وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآ ﴾	الأنبياء	75	130
﴿ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾	مريم	04	138
﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗا ﴾	غافر	13	147
﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾	الواقعة	19	181
﴿ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴾	الواقعة	33	181
﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝1 وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝2 أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝3 بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝4 بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝5 ﴾	القيامة	01إلى05	191
﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴾	الاسراء	89	233
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾	الانبياء	25	236
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	البقرة	2	239

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾	الحج	18	241
﴿ وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿2﴾ ﴾	الممتحنة	02	241

فهرس المصطلحات

رد للعجز على الصدر 73

الابتداع.....71

الاتفاق 69

الاحتجاج.....67

الاختراع.....71

الاسترسال 93

الإستعارة الحجاجية **145**

الاستعارة والتشبيه.....26

الاستعطاف 97

الأسلوب 49

الأسلوبية.....213

الإشارة 66

الأصالة 94

الاعجاز.....55

الإفصاح 93

الإقناع.....88

الالتفات 73

الالتفات، الاعتراض، الرجوع، حسن الخروج، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تجاهل العارف، الهزل الذي يراد به الجد، حسن التضمين، التعريض و الكناية، الإفراط في الصفة، حسن التشبيه، لزوم ما لا يلزم حسن الابتداء 57

الانتصاف.....97

الإيجاز 226

الإيجاز و الاختصار و الاجتزاء.....55

الإيهام 207

البحث البلاغي.....51

البحث الفلسفي.....51

البديع.....23
البرجماتية.....89
البعد التداولي.....83
البعد السيميائي 93
البلاغة الجديدة.....95
البلاغة القديمة 122
البلاغة"".....18
الـــتأثير والإقناع.....37
التأويل.....43
التجنيس 73, 202
التخييل 51
التداولية.....83
التراجيديا 51
الترجمة.....170
التشبيه البليغ 122
التلقي.....196
التمثيل.....209
التوجيه.....207
التورية 207
التوسع.....202
التوظيف 114
الجناس.....69
الحال 66
الحجاج 50, 94
الحجج.....95
الحد والاستدلال 49

الحذف من المجاز 31
الخبر الإنشاء 56
الخبر و الإنشاء.....56
الخط.....66
الخطاب الإشهاري.....110
الخطاب الاقناعي.....86
الخطابة.....88
الرجوع، حسن الخروج، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تجاهل العارف، الهزل الذي يراد به الجد، حسن التضمين، التعريض والكناية، الإفراط في الصفة، حسن التشبيه، لزوم ما لا يلزم، حسن الابتداء 74
السجع.....191
الصدق والكذب 84
الصفة.....56
الصورة البلاغية 136
الطباق 239
العدول.....202
العقد.....66
العلامة اللغوية.....93
العلامية 93
العموم والخصوص والإطلاق التقييد والإجمال التفصيل والتراجيح 56
الغرابة.....51
الغموض 101
الفاصلة 191
الفصاحة 20
الفصل الوصل الإيجاز لإطناب والمساواة 65
الفصل والوصل 30
القصر.....65

الكناية 55
الكوميديا 51
اللفظ 66
اللكنة، والخطأ والصواب، والاغلاق والإبانة، والملحون والمعرب 38
المثل.....67
المجاز القرآني.....165
المحاكاة.....198
المذهب الكلامي 73
المسند.....65
المسند إليه.....64
المطابقة 73
المقابلة 219
الموصوف 56
الواقعية.....82, 92
الوحي 75
انزياح 202
انفتاح الخطاب.....110
برهان.....97
توليد المصطلح 109
حسن الأداء.....71
صور البيانية.....65
صور بيانية 95
صورة.....118
صورة حجاجية 95
علم البيان 25, 54
علم المعاني 25, 52

كالذكر والحذف والتنكير والتعريف والتكرار والتقديم والتأخير 113
لبلاغة الكلاسيكية 95
لتواصل 83
لحقيقة 38
لصورة البلاغية.....31
متعلقات الفعل.....65
مجاز الاختصار 31
محسنات البديع.....59
معنى المعنى 86
مقتضى الحال 64
نظرية الحجاج.....95
نظرية النظم.....53
والاستئلاف.....97
والبراعة والبيان.....20
والسجع 69
والمجاز والكناية، والطباق، والجناس 28
والمعاصرة 94
وعلامة 68

فهرس المصطلحات الأجنبية

256..... Allegorein
257.....argumantation
196.....argument figure
136..... arguments
201..... ecart
136.....figures
155..... fitting
190..... gramar text
226.....L’ampleur

226..... La concision
231..... pragmatique
94.....Rhetorique
190..... sentence grama

قائمة المصادروالمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن الأثير الكاتب (ت637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة و النشر ـبيروت ، عام 1420 هـ .
2. ابن الأثير الكاتب نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت: 637هـ): الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور. تح: مصطفى جواد.الناشر: مطبعة المجمع العلمي. عام النشر: 1375هـ.
3. ابن المعتز أبو العباس، عبد الله بن محمد بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (ت: 296هـ) : البديع في البديع. الناشر: دار الجيل. الطبعة: الطبعة الأولى 1410هـ - 1990م.
4. ابن الناظم بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم(ت: 686هـ):المصباح في المعاني والبيان والبديع .تح:حسني عبدالجليل يوسف .النشر مكتبة الآداب.
5. ابن جاك موشلر ،آن ريبول :القاموس الموسوعي للتداولية ، تر : مجموعة من الأساتذة ، الناشر : دار سيناترا تونس ، ط2، سنة2010م
6. ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ): الخصائص، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،الطبعة: الرابعة،ج2.
7. ابن حجة الحموي: (ت: 837هـ): خزانة الأدب وغاية الأرب، الناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت. الطبعة: الطبعة الأخيرة 2004م. .
8. ابن خلدون (ت808هـ) : ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تح خليل شحادة ، الناشر دار الفكر بيروت ط2 ،1408هـ/1988م
9. ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تح: خليل شحادة،الناشر: دار الفكر، بيروت. الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.

10. ابن رشيق القيرواني(ت: 463 هـــ) أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 463 هـــ) ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر: دار الجيل .ط 05، 1401 هـــ - 1981 م.ج2.

11. ابن طباطبا محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن (ت: 322هـــ): عيار الشعر. تح: عبد العزيز بن ناصر المانع. الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.

12. ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت: 276هـــ): الشعر والشعراء. الناشر: دار الحديث، القاهرة. سنة: 1423 هـــ.ج1

13. ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـــ) ، تأويل مشكل القرآن.تح: إبراهيم شمس الدين. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. ص85.

14. ابن وهب أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب،البرهان في وجوه البيان،تح : حفني محمد،الناشر: مكتبة الشباب (القاهرة) - مطبعة الرسالة،عام النشر: 1389 هـــ - 1969 م.

15. أبو العدوس يوسف أبو العدوس :الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية،منشورات الأهلية ،عمان الأردن ،ط1.سنة1997م.

16. أبو الفتوح عبد المجيد بدوي .التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد .. دار الوفاء للطباعة والنشر . ط 2 ، 1988 م.

17. أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: 209هـــ): : مجاز القرآن، تح : محمد فواد سزگين،المقدمة .

18. إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت- سنة 1998 م.

19. أرسطو : فن الشعر – تر: محمد شكري عياد – دار الكتاب العربي – القاهرة – 1967 .

20. أرسطو: الخطابة، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة2008م.

21. إسماعيل عزالدين:الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية،الناشر دار الفكر العربي.

22. الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502هـ) : تفسير الراغب الأصفهاني . تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني. الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا.ط1: 1420 هـ - 1999 م.

23. أمين الطلبة محمد سالم: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، دار الكتب الجديدة، سنة2008

24. بارث رولان ، قراءة جديدة للبلاغة القديمة ، تر: عمر أوكان ، رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2011م.

25. الباقلاني أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت: 403هـ): إعجاز القرآن للباقلاني. تح: السيد أحمد صقرالناشر: دار المعارف – مصرالطبعة: الخامسة، 1997م.

26. بدري فرحان ،الأسلوبية في النقد العربي الحديث ،دراسة في تحليل الخطاب ،بيروت لبنان ،ط1، سنة2003م.

27. البغوي (ت: 510هـ) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: 510هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي،تح: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش،الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة:الرابعة، 1417هـ- 1997.م.

28. بلحبيب رشيد أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى ، اللسان العربي ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية .جامعة محمد الأول .وجدة المغرب.

29. بليت هنريش بليت : البلاغة والاسلوبية نحو نموذج سيمائي لتحليل النص،تر: محمد العمري ، الناشر : أفريقيا الشرق، المغرب سنة 1999 م

30. بن عيسى بطاهر : إشكالية تجديد البلاغة العربية(رؤية في المنهج وطرائق التعليم).

31. البهلول عبد الله ، في بلاغة الخطاب الأدبي، .بحث في سياسة القول في نصوص من الأدب العربي القديم ،الناشر: مطبعة التنفسير الفني، صفاقس، تونس، ط1 ، 2007 م

32. بوجادي خليفة :في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، دار الحكمة، سطيف، ط. 1

33. بوطاجين السعيد:الترجمة والمصطلح ، الناشر : منشورات الاختلاف ،الجزائر العاصمة ،ط1.سنة2009م.ص28.

34. بومنجل عبد الملك ، بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية في الأدب ونقده جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 .

35. تودوروف تزفيتان: الأدب والدلالة،تر:محمد نديم خشفة.مكتبة الأسد ، حلب.

36. الثعالبي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت: 429هـــ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. الناشر: دار المعارف – القاهرة.

37. الجابري محمد عابد ، بنية العقل العربي.دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية. مركز دراسات الوحدة العربية .بيروت لبنان .ط1سنة1989.ط2.سنة2009.

38. الجاحظ (ت: 255هـــ) الحيوان. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الثانية، 1424 هـــ ج05.

39. الجاحظ (ت: 255هـــ): البرصان والعرجان والعميان والحولان،الناشر: دار الجيل، بيروت. الطبعة: الأولى، 1410 هـــ.

40. الجاحظ (ت: 255هـــ): رسائل الجاحظ،تح وشرح: عبد السلام محمد هارون،الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة،عام النشر: 1384 هـــ - 1964 م.

41. الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: 255هـــ) : البيان والتبيين. الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: 1423 هـــ.

42. جان كوهان:بنية اللغة الشعرية ، تر: محمد الولي ، محمد العمري ،الناشر: دار توبقال ،الدار البيضاء المغرب،ط1 سنة1986م.

43. الجربوع عبد الله بن عبد الرحمن:الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط: 1، 1424هـ/2003م.

44. الجرجاني (ت471هـ): أسرار البلاغة . تح محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة ،دار المدني بجدة .

45. الجرجاني (ت471هـ): دلائل الإعجاز. تح محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة ،دار المدني بجدة .ط3 ،1992/1413.

46. الجرجاني محمد بن علي محمد الجرجاني 729هـ: الإشارات و التنبيهات في علم البلاغة ، محمد بن علي محمد الجرجاني 729هـ تح. عبد القادر حسين ، الناشر مكتبة الآداب 1418ه /1997م ص13.

47. جعفر نوري جعفر الجوانب السيكولوجية في أدب الجاحظ ،دار الرشيد بغداد 1981م

48. الجمحي محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (ت232هـ).تح محمود محمد شاكر، طبقات فحول الشعراء. الناشر: دار المدني – جدة.ج02.

49. جميل عبد المجيد البلاغة والاتصال ، دار غريب للطباعة و النشر مصر ، ط 2000 م

50. الجندي علي: في تاريخ الأدب الجاهلي. الناشر: مكتبة دار التراث. طبعة دار التراث الأول

51. الحاتمي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، أبو علي (ت: 388هـ): حلية المحاضرة.تح: جعفر الكتاني.

52. حاج صالح عبد الرحمان: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2007م.

53. الحباشة صابر: التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، الناشر :صفحات ،دمشق 2008م

54. حَبَنَّكَة الميداني عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: 1425هـ): : البلاغة العربية. الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت .الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996 م.

55. حسان تمام:،مقالات في اللغة والأدب،عالم الكتب،القاهرة،مصر،الطبعة الأولى1427 هـــ 2006.ج2.

56. حسين عبد القادر: أثر النحاة في البحث البلاغي ،الناشر :مطبعة نهظة مصر ، القاهرة .سنة1975م.

57. الحسين بنو هاشم : بلاغة الحجاج _الأصول اليونانية- ص 337/336.

58. حسين عبد القادر ،المختصر في تاريخ البلاغة.درا غريب للنشر والطباعة والتوزيع.القاهرة.تاريخ النشر2001م.

59. حسين عبد القادر:القرآن والصورة البيانية.عالم الكتب بيروت .ط02.سنة1405-1985م.

60. حماد أبو شاويش: مشكلة المصطلح في النقد الأدبي الحديث ، مجلة :كلية التربية، مج1.ع1، يناير1997م

61. حمداوي جميل حمداوي البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية .

62. حمداوي جميل:من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة : الناشر : موقع دار الألوكة .

63. حمودة عبد العزيز:المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة الكويت، 2001 م ،ص6 .

64. خالفي حسين ، البلاغة و تحليل الخطاب ، دار الفارابي ، بيروت لبنان ط1، 2011م.

65. خطابي محمد: لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص ، المركز الثقافي العربي ، ط1 سنة 1991م .

66. الخولي أمين: مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير زالأدب ، الناشر دار المعرفة ،ط1،سنة1961م.

67. درويش أحمد: النص البلاغي في التراث العربي و الأوربي، الناشر: ، دار غريب لنشر والتوزيع. د .ط،1998 م .

68. الدريدي سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني، بنيته وأساليبه .اربد.عالم الكتب الحديث . الأردن .ط1. 2007.1428 .ص 52.

69. الدسوقي محمد ،البنية التكوينية للصورة الفنية ، دار العلم و الإيمان ، مصر 2009 م

70. الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: 606هـــ):مفاتح الغيب،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. ط: 3 - 1420 هـــ،ج23.

71. راضي عبد الحكيم: الأبعاد الكلامية و الفلسفية في الفكر البلاغي و النقدي عند الجاحظ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط3..2006م.

72. الرافعي مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: 1356هـــ): إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت - الطبعة الثامنة - 1425 هـــ - 2005 م

73. الرباعي عبد القادر: الطير في الشعر الجاهلي ، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1 1998 م.

74. الرباعي عبد القادر: الصورة الفنية في النقد الشعري ،دراسة في النظرية و التطبيق ،دار العلوم للطباعة و النشر ، الرياض 1984م.

75. رستيني فرنسوا: فنون النص وعلومه ،تر:ادريس الخطاب، الناشر :دار توبقال، المغرب ،ط1.سنة2010 م

76. الرماني علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت: 384هـــ)النكت في إعجاز القرآن: مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (16)] تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام الناشر: دار المعارف بمصر.الطبعة: الثالثة، 1976م.

77. رومية وهبة: شعرنا القديم والنقد الجديد ،الناشر :عالم المعرفة الكويت،ط4،سنة1996م.ص40

78. الزرقاني عبدالعظيم:مناهل العرفان في علوم القرآن،دارالمعرفة .

79. الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـــ): البرهان في علوم القرآن،تح : محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، 1376 هـــ - 1957 م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.ج1.

80. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـــ) : أساس البلاغة. تح: محمد باسل عيون السود. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة: الأولى، 1419 هـــ - 1998 م.

81. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـــ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت. الطبعة: الثالثة - 1407 هـــ. المقدمة .

82. سالم رامي جميل:التأثير اليوناني في النقد والبلاغة العربيين من منظور الدراسات العربية المعاصرة .عالم الكتب.ط01.سنة2014م.

83. السبكي بهاء الدين (ت773هـــ) : عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح ،تح عبد الحميد هنداوي ،الناشر المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، بيروت ـلبنان ،ط1/1423هـــ/2003،ج1

84. السد نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث (تحليل الخطاب الشعري والسردي)ج1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م

85. السَّراج محمد علي ، اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، مراجعة:خيرالدين شمسي باشا،الناشر: دار الفكر – دمشق،ط01. 1403 هـــ - 1983 م.

86. السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: 626هـــ) :مفتاح العلوم.ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور.الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. ط: 2، 1407 هـــ - 1987 م.

87. سلطان منير: البديع تأصيل وتجديد.الناشر :منشأة المعارف الأسكندرية

88. سنان الخفاجي أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت: 466هـــ). سر الفصاحة. الناشر: دار الكتب العلمية.الطبعة: 01.سنة 1402هـــ_1982م.

89. السندوبي حسن: أدب الجاحظ ، المكتبة التجارية ، القاهرة 1931م

90. سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: 180هـ) : الكتاب. تح: عبد السلام محمد هارون. الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة. ط: 03، 1408 هـ - 1988 م.

91. السيد شفيع: أساليب البديع في البلاغة العربية ، رؤية معاصرة .الناشر:دار غريب القاهرة 2006م.

92. السيوطي جلال الدين (ت911هـ): بقية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ،تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر المكتبة العصرية لبنان _صيدا .

93. السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط: 1394هـ/ 1974 م.

94. السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت : 911هـ): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. تح : محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر : دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاؤه – مصر.ط1. 1387 هـ - 1967 م.

95. شادي محمد: البلاغة الوظيفية، الناشر:دار اليقين –المنصورة – مصر – ط 1،سنة 1432هـ./2011م.

96. شارل بلا : الجاحظ في البصرة و بغداد و سامراء ، تر: ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، دمشق 1958 م

97. الشايب أحمد: أصول النقد الأدبي ، الناشر:النهضة الصرية القاهرة، ط 2 ،1973 م

98. الشايب أحمد: الأسلوب-دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية- الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ط3، سنة 1411هـ/ 1991م،

99. الشريف الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ) : كتاب التعريفات. لمحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان. الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م.

100. الشنتريني أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت: 542هـــ):الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تح: إحسان عباس. الناشر: الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس. ط: 1 – 1981.ج1.ص14.12..

101. صحراوي، مسعود، التداولية عند علماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.

102. صمود حمادى ، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، منشورات كلية الآداب منوبة ، تونس .ط2 .

103. صمود حمادي: من تجليات الخطاب البلاغي. دار قرطاج تونس ط 1. 1995

104. صمود حمادي:في نظرية الأدب عند العرب ،النادي الأدبي بجدة.

105. صولة عبدالله: الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية

106. ضيف صابر : الأسلوبية والتداولية –مداخل لتحليل الخطاب_ ص08.

107. ضيف شوقي: في النقد الأدبي .الناشر دار العارف .مصر.ط2.سنة 1966م.

108. ضيف شوقي:البلاغة تطور و تاريخ ، دار المعارف القاهرة ط09 ، ص120 .

109. ضيف صابر ضيف:التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر .سنة2008.ص15

110. الطاهر بن عاشور التونسي (ت : 1393هـــ).محمد الطاهر بن محمد بن محمد: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس.سنة النشر: 1984 هـــ.ج1.

111. الطاهر بومزبر :التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون ، منشورات الاختلاف .ط1.سنة1428 ه.2007م.

112. طايعي أحمد: التواصل البلاغي من المصرح به إلى المسكوت عنه، الناشر: زاوية للفن والثقافه الرباط ،ط1،سنة 1429 هـــ 2008 م.

113. الطبري (ت310هـــ) جامع البيان في تأويل القرآن تح : أحمد محمد شاكر ، الناشر مؤسسة الرسالة ، ط01 / 1420هـــ/ 2000م ،ج1/

114. طبل حسن: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية،الناشر : دار الفكر العربي، القاهرة،ط1.سنة1998م.

115. الطريسي أحمد ، النص الشعري بين الرؤية البيانية و الرؤية الإشارية ، الدار المصرية السعودية ، القاهرة 2004 .

116. طه عبد الرحمن في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ،المركز الثقافي العربي ،الرباط ،ط1 ،1998م.

117. طه عبد الرحمن: الداليات والتداوليات، البحث اللساني والسيميائي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، ط1، المغرب، 1984م.

118. طه عبد الرحمن، ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، سنة 2000م .

119. عبابنة سامي محمد: التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي و البلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث.ص91.

120. عبابنة محمد: التفكير الأسلوبي –رؤية معاصرة في التراث النقدي و البلاغي في ضوء الأسلوب و الحديث، الناشر : عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، سنة2007م

121. عباس إحسان: تاريخ النقد الأدبي عند العرب .

122. عبد الرزاق بو عافية محمد: البلاغة العربية والبلاغات الجديدة قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة .

123. عبد الرزاق بوعافية محمد: كيمياء المجاز بين الخطاب القرآني والإنساني – قراءة في المفهوم وآليات الفهم ومقاصد الخطاب-الناشر:مؤسسة حسين رأس الجبل قسنطينة ، ط1، سنة2019م_1440 هـ.

124. عبد الفتاح صالح نافع : الصورة الشعرية في شعر بشار بن برد ، الناشر : دار الفكر،عمان ،1983م

125. عبد المجيد جميل ،البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية.الهيئة المصريةالعامة . جون كوهين ، بنية لغة الشعر ، تر: محمد الولي ومحمد العمري ، دار توبفال للنشر ، الدار البيضاء المغرب 1986م.

126. عبد المطلب محمد: البلاغة والأسلوبية، الناشر : الشركة المصرية لونجومان . مكتبه لبنان. ط1.سنة1994م .

127. عتيق عبد العزيز: علم البديع، الناشر: ار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. د.ط.د.س.ص43.

128. عتيق عبد العزيز: علم البيان ، الناشر دار النهضة العربية للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان عام 1405هـ/ 1982م

129. عتيق عبد العزيز: علم المعاني دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت سنة 1405 هـ_1985م.

130. عثير عبد السلام ، عندما نتواصل نغير ، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج ، إفريقيا الشرق، المغرب 2006 م

131. عدمان عزيز: دراسات في البلاغة العربية و النقد الأدبي المعاصر ،الناشر :عالم الكتب الحديث ،الأردن ،ط1،سنة 1432ه -2011م .

132. عرفة عبد العزيز:قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية ، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى،1986م.

133. العسكري (ت: نحو 395هـ): : الصناعتين. تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت. عام النشر: 1419 هـ.

134. عصفور جابر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، الناشر :المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط3.1992م.

135. عصفور جابر:مفهوم الشعر :الناشر: دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة. 1978 م.

136. العلوي (ت745هـ) : الطراز لأسرار البلاغة ، علوم حقائق الإعجاز ، الناشر المكتبة العصرية بيروت ط1،1423هـ.

137. العلويّ يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي (ت: 745هـ): الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت، ط: 1، 1423 هـ.

138. العمري محمد : البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، الناشر:أفريقيا الشرق ، المغرب .ط02.سنة 2012.

139. العمري محمد: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة ، الناشر : أفريقيا الشرق ،المغرب ،2013.

140. العمري محمد: المحاضرة و المناضرة في تأسيس البلاغة العامة، مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني، الناشر: أفريقيا الشرق، المغرب، سنة 2017م

141. العمري محمد :بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية(الخطابة في القرن الأول نموذجا)، إفريقيا الشرق الدار البيضاء /بيروت، ط3 .سنة2002م.

142. العمري محمد :نظرية الأدب في القرن العشرين، أفريقيا الشرق، المغرب، ط 2 - :، 2014م

143. العمري محمد:البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،إفريقيا الشرق،المغرب ،د ط ، 1999 م.

144. عياشي منذر : الأسلوبية وتحليل الخطاب، الناشر : دار نينوى، دمشق، ط1، سنة 1436هـ/2015م

145. عيد رجاء ، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور .الناشر:منشأة المعرف بالأسكندرية.ط02.

146. غلوش أحمد أحمد: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني. لناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة: الأولى 1424هـ- 2004م.

147. فان ديك تون أ ، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، تر سعيد حسن بحيري، دار القاهرة ،القاهرة، ط2، 2005م.

148. فريق البحث في البلاغة والحجاج :أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمادي صمود ، الناشر : كلية الآداب منوبة ،تونس.

149. فضل صلاح: بلاغة الخطاب و علم النص. عالم المعرفة ، صدرت السلسلة في يناير 1978 بإشراف أحمد مشاري العدواني .المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .الكويت

150. فضل صلاح:مناهج النقد المعاصر ،الناشر : أفريقيا الشرق .المغرب ، سنة2002م.ص88.

151. القاسمي محمد: قضايا النقد الأدبي المعاصر ، الناشر : دار يافا ، عمان الأردن ، ط1. سنة 2010 م

152. قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (: 337هـ)، نقد الشعر. الناشر: مطبعة الجوائب – قسطنطينية .ط: 01،سنة 1302هـ..

153. قدامة جعفر ، نقد النثر تقديم طه حسين ، عبد الحميد العبادي ،دار الكتب المصرية .

154. القرطاجني حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن (ت: 684هـ): منهاج البلغاء وسراج الأدباء.تح : محمد الحبيب بلخوجة .ط3، دار الغرب الاسلامي ، بيروت .1986م.

155. القزويني الرازي أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، ابو الحسين (ت 395هـ) : الصحابي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها ، الناشر محمد علي بيضون ، ط01، 1418هـ/ 1997م .

156. القزويني محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت: 739هـ) : الإيضاح في علوم البلاغة. المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي. الناشر: دار الجيل – بيروت. الطبعة: 3.

157. القط عبد القادر: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر- دار النهضة العربية للطباعة والنشر- ط2- سنة1981م.

158. القيرواني أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 463 هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تح: محمد محيي الدين عبد الحميدج1.

159. كوافحة رولا سلطان ، تطور المصطلحات النقدية والبلاغية في الأدب المملوكي-ابن الأثير الحلبي أنموذجا-،دارالكندي،عمان،ط1 .2019م.

160. المبارك مازن:الموجز في تاريخ البلاغة ، دار الفكر .

161. المبرد (ت 285هـ) :الفاضل ،الناشر دار الكتب المصرية القاهرة ،ط3 عام 1421هـ

162. المبرد محمد بن يزيد ، أبو العباس (ت: 285هـــ): الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة. الطبعة: الثالثة.سنة 1417 هـــ - 1997 م.

163. المبرد. (ت258هـــ):البلاغة.تح د.رمضان عبدالتواب .الناشر: مكتبة الثقافة الدينية القاهرة.ط02. 1405هـــ-1985م .

164. محمد أحمد سعيد: مدخل الى البلاغة العربية مكتبة الاداب القاهرة 2013م.

165. محمد حسن عبد الله ، أصول النظرية البلاغية مكتبة وهبة القاهرة ط3 1994م .

166. محمد عبد المنعم خفاجي، محمد العدي فرهود، عبد العزيز شرف : الأسلوبية والبيان العربي، الناشر: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، سنة1412ه/1992م

167. مختار عمر أحمد ، علم الدلالة ، الناشر :عالم الكتب ،القاهرة، ط1 .سنة 1985.

168. المرابط عبد الواحد.رشيد أعرضي .حسين كتانة. حسين درير.عبد الحميد زاهيد.من البلاغة المختزلة إلى البلاغة الرحبة ، قراءات في أعمال الدكتور محمد مشبال، الناشر :عالم الكتب الحديث ،إربد الأردن .ط1.، سنة2017م

169. المراغي أحمد ابن مصطفى:علوم البلاغة "البيان ،المعاني ،البديع "، ، دون دار النشر، دـــ س،

170. المراغي أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـــ): علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع».د.ط.

171. المراغي أحمد مصطفى ، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ، الحلبي القاهرة سنة 1950 م.

172. مرتاض عبد الملك نظرية البلاغة، دار القدس العربي، الجزائر،2010م.

173. مرتاض محمد: النقد الأدبي القديم في المغرب العربي ـــ نشأته وتطوره ـــ (دراسة وتطبيق)، منشورات اتِّحاد الكتَّاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2000م

174. مرزوق حلمي: في فلسفة البلاغة العربية(علم المعاني).كلية الآداب دمنهور،1999م.

175. المسدى عبد السلام ، المصطلح النقدي ، مؤسسة عبد الكريم عبد الله تونس 1994 م.

176. المسدى عبد السلام: الأدب و الخطاب النقد المباشر، دار الكتب الجديد المتحدة، ط1، سنة2004

177. المسدي عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، الناشر: الدار العربية للكتاب ، ط3، د.س،

178. المسدي عبد السلام: التفكير اللساني في الحضارة العربية ،الدار العربية للكتب ،تونس، ط2 ،1986 م

179. مشبال محمد ، البلاغة و الأصول ، أفريقيا الشرق، المغرب ،سنة2007م

180. مشبال محمد: البلاغة و الخطاب ،معالم نقدية مقال لمحمد العمري ،الناشر : دار الأمان الرباط ، ط1 سنة1435هـ، 2014 م، ص41 .

181. مشبال محمد: بلاغة السرد جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ .ص.162

182. مشبال محمد :بلاغة النادرة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب، 2006 ، ص27

183. مشبال محمد: صور اللغة إلى صور الخطاب :دار العين للنشر،الإسكندرية،2011 م

184. مشبال محمد:البلاغة والخطاب ، دار الأمان الرباط ، ط1. 1435هـ 2014م.

185. مشبال محمد:البلاغة والسرد والحجاج في أخبار الجاحظ ، الناشر :مطبعة الخليج العربي .تطوان المغرب ، سنة 2010م،ص62

186. مصلوح سعد: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللّسانية آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت.ط1.سنة 2003 م، ص 70.

187. مطلوب أحمد: بحوث بلاغية .مطبوعات المجمع العلمي .بغداد.1417 هـ -1996م.

188. مطلوب أحمد ، في المصطلح النقدي ، المجمع العلمي بغداد 2002م .

189. مطلوب أحمد و كامل حسن البصير، البلاغة والتطبيق. ط1999.02.ص33.

190. مطلوب أحمد: البحث البلاغي عند العرب منشورات دار الجاحظ بغداد 1982 .

191. مفتاح محمد : التلقي والتأويل- مقاربة نسقية – الناشر : المركز الثقافي العربي بيروت.ط 1.سنة1994م

192. مفتاح محمد: تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص ،الناشر : المركز الثقافي العربي ، المغرب . ط1. سنة 1985م

193. مناهج جامعة المدينة العالمية: البلاغة 1 – البيان والبديع. الناشر: جامعة المدينة العالمية. كود المادة: LARB4093. المرحلة: بكالوريوس. الناشر: جامعة المدينة العالمية

194. مندور محمد: النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب و اللغة ، مترجم عن . لانسبون ومايبيه ، الناشر : دار نهضة مصر ، القاهرة ، سنة 1996م

195. موسى سلامة:البلاغة العصرية واللغة العربية،الناشر.ميراث من الكفاح الهادف.ط1.سنة1945.

196. ناصف مصطفى: اللغة والبلاغة والميلاد الجديد .الناشر:دارسعاد الصباح. الكويت ط1/1992م.ص158.

197. نبيل علي و حجازي نادية ، الفجوة الرقمية (رؤية عربية لمجتمع المعرفة) الناشر:عالم المعرفة ، الكويت سنة2005 م

198. نوفل سيد ،البلاغة العربية في دور نشأتها ، الهيئة العامة المصرية .

199. النويري شهاب الدين (ت: 733هـــ): نهاية الأرب في فنون الأدب، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1. 1423 هـــ.

200. نيشاوي نسيب : مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر – الاتباعية – الرومانسية – الواقعية – الرمزية .الناشر :ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر .سنة1984م

201. الهاشمي أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت: 1362هـــ): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي. الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

202. هلال محمد غنيمي:النقد الأدبي الحديث ، الناشر دار النهضة ،مصر ،القاهرة ، سنة 1984م

203. هوكس ترينس: الاستعارة ، تر :عمرو زكريا عبدالله، مراجعة : محمد بريري ،الناشر : المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1، سنة 2016 .

204. وغليس يوسف :إشكالية المصطلح، منشورات الاختلاف الدار العربية للعلوم ناشرون-بيروت-ط/1 سنة2008م.ص55.

205. الولي محمد: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ،الناشر : المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ،ط1.سنة 1990م

206. ياوس هانز روبرت ياوس : جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي ، تر :رشيد بنجو ، الناشر :المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ط1،سنة2004م

المعاجم

1. ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ) :محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين لسان العرب: الناشر: دار صادربيروت.ط3 - 1414 هـ مادة: غ.ب.ل.ج08.

2. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ): معجم مقاييس اللغة،تح: عبد السلام محمد هارون،الناشر: دار الفكر،عام النشر: 1399هـ - 1979م، ج1،مادة(جوز)

3. أحمد مطلوب :معجم المصطلحات البلاغية وتطورها.مطبعة المجمع العلمي العراقي .1407ه-1998م.ج03

4. أحمد مطلوب :معجم النقد العربي القديم. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. .ط1. 1989م. المقدمة ،ج1.

5. إميل بديع و ميشال عاصي : المعجم المفصّل في اللغة والأدب و قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية(عربي إنجليزي إميل يعقوب وآخرون .

6. التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاح الفنون والعلوم، دار التراث العربي، (د.ط) 1998م

7. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط، 1، بيروت، لبنان،

8. شوقي ضيف ، معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي بغداد 1983_1987 ، ج3 .

9. عبد العزيز قليقلة : معجم البلاغة العربية نقد ونقض ، الناشر :دار الفكر العربي القاهرة ، ط1 ، سنة 1412هـ/1991م،ص11.

10. علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ط، 1، لبنان، 1985م

11. عمر عتيق : معجم مصطلحات علم البلاغة، الناشر دار أسامة ، عمان ، الأردن ،ط1 ، سنة2016م

12. الفيروزآبادى (ت: 817هـــ):مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـــ): القاموس المحيط،تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي،الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. ط: 8، 1426 هـــ - 2005 م.ص1000.

13. الفيروزبادي الشيرازي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

14. مجدي وهبة وكامل المهندس :معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مكتبة لبنان بيروت ط2 1984 .

15. مجدي وهبة وكامل المهندس :معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مكتبة لبنان بيروت ط2 1984

16. محمد إبراهيم عبادة، معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب، ط،1، القاهرة، 2011م

17. محمد إبراهيم عبادة، معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب، ط،1، القاهرة، 2011م.

الدواوين الشعرية

1 أبو العتاهية الديوان ،الناشر: دار بيروت ،سنة 1406هـــ- 1986م،د.ط

2 امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (ت: 545 م): الديوان ، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي الناشر: دار المعرفة – بيروت. الطبعة: الثانية، 1425 هـــ - 2004 م.ص39.

4 الشعراء الهذليون: ديوان الهذليين، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي.الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة – جمهورية مصر العربية، عام النشر: 1385 هـــ - 1965 م. ج1.ص64.

5 العسكري (ت: 395هـــ): أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: 395هـــ): ديوان المعاني. الناشر: دار الجيل – بيروت.ج02.

6 عنترة بن شداد : الديوان .دار الكتب العلمية بيروت .لبنان .ط1.سنة 1985م.

7 كثير عزة : الديوان جمعه وشرحه إحسان عباس ، الناشر : دار الثقافة بيروت لبنان ،سنة 1391هـــ.1981م.

8 لبيد بن ربيعة العامري :تح : إحسان عباس ،الناشر :التراث العربي ، الكويت ، سنة1962م،السلسلة 8.ص315

المجلات العلمية

1. أبو المجد سيد نوفل: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم. الناشر: .ع52..

2. أحمد سعدي :مجلة :الصوتيات التداخل والتضارب في المصطلح البلاغي ،.ع19

3. أحمد كامش:مجلة إشكالات. مجلد: 07 عدد: 02 السنة 2018. الرابط : البوابة الجزائرية للمجلات العلمية المحكمة .

4. أحمد يوسف: مجلة علامات السيميائيات والبلاغة، ، ع - 28 ، سنة 2007 ، مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء، المغرب.

5. امحمد و احميد :مجلة البلاغة و تحليل الخطاب ،سؤال المصطلح البلاغة والاجتهاد المصطلحي بين الوضع والإحياء دراسة لنماذج . ، ع9، 2016 ،مطبعة النجاح ، الدار البيضاء

6. إيمان جربوعة :مجلة : رفوف:آليات القرآني في ضوء المناهج اللسانية الحديثة قراءة في بعض إجراءات المنهج التداولي، ، جامعة أدرار ، ع09.سنة 2016م.

7. بن معمر بوخضرة: مجلة مقاليد إشكالية معالجة المصطلح في الترجمة، ، ع1، سنة2011م

8. حاج هني محمد: مجلة اللغة الوظيفية معاجم المصطلحات البلاغية –أهدافها المعرفية وإشكالاتها المنهجية- ع8. كلية الآداب والفنون جامعة شلف .

9. حسين دحو :مجلة كلية الآداب واللغات المصطلح البلاغي إشكالية الماهية والتصور ، ، جامعة بسكرة،ع13.سنة 2013 م.

10. ريتشارد مجلة الغرب و الفكر ، فلسفة البلاغة ، تر : ناصر جلاوي و سعيد الغانمي ، العالمي ، العددان :13-14 1991م

11. طه عبد الرحمان :مجلة المناظرة في فقه المصطلح الفلسفي العربي،. ع6.سنة1993م.

12. الطيب العزالي قواوة: مجلة البحوث والدراسات التماسك النصي بين الدرس البلاغي القديم والدرس اللساني الحديث..م15. ع1.سنة2018م.

13. الطيب بودربالة ولسعيد جابالله:مجلة العلوم الإنسانية الواقعية في الأدب، ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، العدد السابع.

14. عبد اللطيف حني: مجلة مقاليد، فاعلية البديع في إحداث التماسك النصي وإنتاج الدلالة- مقاربة لسانيه نصية - ع8.جوان2015م

15. عماد عبد اللطيف :مجلة البلاغة وتحليل الخطاب سؤال المصطلح البلاغي : ع9.سنة2016م.ص225.

16. عماد عبد اللطيف مجلة : البلاغة وتحليل الخطاب: أزمة المصطلح البلاغي مظاهر وأسباب ومقترحات ، ، الناشر:مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ع 9، سنة 2016م

17. عمر بوقمرة: مجلة التواصلية الحجاج في الشعر العربي القديم كتاب "الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني، بنيته وأساليبه "لـــ: سامية الدريدي- أنموذجا - ، ع 7.

18. فتحي محمد رفيق، افتخار سليم محي الدين: مجلة الإشعاع دلالات مصطلح البلاغة العربية و الأسلوبية الحديثة في النظرية والإجراء، دراسة في المختلف و المؤتلف، ، ع.4، جوان 2015م

19. لخميسي شرفي :مجلة قراءات جمالية الصورة البلاغية في ديوان مقام البوح لعبد الله العشي ، ،ع3.سنة2011.

20. متنهى عبد الجاسم : مجلة الفلسفة نظرية المحاكاة في الفلسفة اليونانية رؤية نقدية : ، ع16 ، كانون الأول سنة 2017 جامعة المستنصرية، العراق .

21. مجلة الدرسات الانسانية والاجتماعية مقال دائرة المعارف ، ص1044 ، نقلا عن حمادى صمود ، التفكير البلاغي ص38.

22. مجلة فصول قضايا المصطلح الأدبي....العددان الثالث و الرابع أفريل سبتمبر 1997 م

23. محمد الولي مجلة عالم الفكر:مدخل إلى الحجاج ، أفلاطون وأرسطو و شايم بيرلمان

24. محمد مشبال مجلة مواسم ، جماليات النمط الواقعي في الأدب ، ، ع4 .1995 م

25. مسعود بدوخة: مجلة مقاليد المرجعيات الثقافية للمصطلح البلاغي العربي، ،العدد الأول / جوان2011 م

26. منتصر بلحاج:بإشراف نورالدين دحماني: العدول وأبعاده الحجاجية في الخطاب القرآني : .م9.ع2.

27. نور الدين دريم: مجلة:اللغة والاتصال المصطلحات البلاغية في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت 902 هـــ)وصف وتحليل، ،مج13،ع22.

الرسائل العلمية

1 البشير عزوزي : حجاجية الاستعارة في الشعر العربي – ديوان المتنبي أنموذجا – رسالة ماجيستر سنة 2013.مقدمة الرسالة ص،أ

2 داحو آسية :الايقاع المعنوي في الصورة الشعرية ، محمود درويش أنموذجا ، رسالة ماجيستر ، إشراف :العربي عميش .

3 نورالدين دحماني : بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني مقاربة تحليلية في جماليات الأداء والإيحاء.رسالة دكتوراه بإشراف :احمد مسعود جامعة وهران سنة 2012/2011.

4 ياسر بن سليمان شوشو:النقد التطبيقي عند الصفدي دراسة وتوجيها، رسالة دكتوراه ،إشراف حامد بن صالح الربيعي

فهرس الموضوعات

مقدمة.....أ
مدخل.....11

الفصل الأول: المصطلح البلاغي بين التأصيل والتجديد.....17

المبحث الأول: المصطلح البلاغي في التراث العربي: 18
1- مفهوم مصطلح" البلاغة"لغة واصطلاحا:.....18
أ/ المفهوم اللغوي:.....18
ب/ مفهوم البلاغة في الاصطلاح: 20
2- مراحل تطور مصطلح البلاغة 22
1.2- مرحلة المفهوم الفني العام: 22
2.2- مرحلة التأليف والتجميع : 23
3.2 - مرحلة الإستقرار والتفرد: 24
3 - المصطلح البلاغي وتطوره في التراث العربي: 25
1.3- حقل النقاد واللغويين:.....26
1.1.3 - المصطلح البلاغي والإرهاصات الأولى.....31
2.3 - حقل المتأدبين:.....35
3.3 - حقل المتكلمين: 36
4.3 - حقل الفلاسفة:.....45

المبحث الثاني:جهود القدامى في وضع مصطلحات علوم البلاغة الثلاث :المعاني والبيان والبديع. 52

جهود القدامى في وضع مصطلحات : علم المعاني..... 52
أ/ علم المعاني :.....52
ب/ علاقة نظرية النظم بعلم المعاني :.....54
1 - مدرسة الأصوليين والمفسرين :..... 55
2 - مدرسة اللغويين و النحاة :.....57
3 - مدرسة الشعراء و الكتاب :.....58
2 – علم البيان النشأة و التطور :.....65
1 مرحلة المفهوم الفني: 71
أ-البديع عند ابن المعتز (ت 296هـ) 72

ب-البديع عند الجرجاني: 75

المبحث الثالث: جهود المحدثين في بعث تجديد البحث البلاغي : 78

1 – القراءة المعاصرة في المنجز البلاغي عند الجاحظ : 78

1-1 القراءة المعاصرة لمحمد مشبال في منجز الجاحظ(ت255هـ) 80

2-1 – الاتجاه الواقعي في بلاغة الجاحظ:..... 82

3-1 – ملامح البعد التداولي عند القدامى: 84

2 – المصطلح البلاغي بين الأصالة والمعاصرة..... 94

1.2 – الملمح الحجاجي في التراث البلاغي: 95

2.2 – الملمح الحجاجي في شعر القدامى – رؤية مغاربية معاصرة–..... 99

خلاصة..... 104

الفصـــل الثـــانـــي: المصطلح البلاغي في الدراسات العربية والمغاربية المعاصرة 105

المبحث الأول: واقع الدراسات العربية المعاصرة في مجال البحث البلاغي..... 106

1 لجهود العلمية في وضع المصطلح البلاغي..... 107

1.1– دعوات التجديد لتلقي المصطلح البلاغي وتوظيفه..... 108

2.1 – المصطلح البلاغي في النقد المغاربي الحديث و عوامل التجديد : 109

3.1– المصطلح البلاغي بين القديم ومتطلبات التجديد..... 111

4.1 – المصطلح البلاغي وإشكالية التوظيف..... 114

2 – المصطلح البلاغي بين جمود الدلالة وتطور الإبداع:..... 116

1.2– المصطلح البلاغي وإشكالية المفهوم..... 118

2.2 – المصطلح البلاغي القديم وإشكالية التوظيف المعاصر 120

3– مظاهر تلقي المصطلح البلاغي في الدراسات المغاربية المعاصرة – قراءة محمد العمري **–**..... 123

تمهيد: 123

1.3 – عوامل تلقي مصطلح المجاز ومظاهره عند العمري..... 125

2.3 – نشأة المصطلح البلاغي في الدراسات المغاربية عند اللغويين – قراءة لمحمد العمري– 127

1.3.3 – نشأة مصطلح المجاز..... 127

أ/ المجاز لغة..... 127

ب/ اصطلاحا..... 128

3.3 - أقسام مصطلح المجازعند العمري..... 131
4.3- مصطلح المجاز عند أبي عبيدة وإشكالية الدلالة عند التوظيف – قراءة محمد العمري-..... 132
المبحث الثاني : مظاهر التجديد في المصطلح البلاغي في الدراسات المغاربية المعاصرة 135
1 – حجاجية الصورة البلاغية: 136
1.1 - مصطلح الصورة البلاغية 136
2.1 - المصطلح البلاغي في ضوء الصورة البلاغية 139
3.1- مفهوم الصورة البلاغية في الدراسات المغاربية المعاصرة..... 142
2 – المصطلح البلاغي ودعوات التجديد في الدراسات المغاربية المعاصرة..... 144
1.2 - المصطلح البلاغي ومظاهر التجديد في الدرسات المغاربية المعاصرة 145
2.2 - الإستعارة الحجاجية وغير الحجاجية: 145
2.2 - الخصائص البلاغية والعلمية لدلالة مصطلح الاستعارة : 148
3 – أساس بناء المعنى في المصطلح البلاغي 150
المبحث الثالث :المصطلح البلاغي ومظاهر التلقي في الدراسات المغاربية المعاصرة..... 156
1- مظاهر تلقي المصطلح البلاغي في الدراسات المغاربية المعاصرة : قراءة حمادي صمود النقدية:..... 157
1- إشكالية تلقي المصطلح البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني و التأثر الأجنبي: 173
2 - إشكالية تلقي المصطلح البلاغي عند الجاحظ والتأثر الأجنبي: 176
خلاصة..... 182
الفصل الثالث :المصطلح البلاغي في الدراسات المغاربية بين السياق المعرفي والتوظيف المعاصر..... 183
المبحث الأول: المصطلح البلاغي ومظاهر التلقي والتوظيف في الدراسات المغاربية المعاصرة 184
- تعليق على رأي الجرجاني..... 188
1- المصطلح البلاغي بين أصل الوضع ومتطلبات التجديد..... 189
1.1- مصطلحات علم البديع..... 190
2- العمري والدعوة الى نظام مصطلحي جديد : 195
4.3- المصطلح البلاغي والأنساق المعرفية عند محمد العمري 196
4- مباحث البلاغة العربية بين إشكاليتي التلقي والتوظيف 199
1.4- المصطلح البلاغي وخلفيات القراءة 203
2.4- المصطلح البلاغي وإشكالية تعدد التسمية..... 205

أ/مصطلح التشبيه.....206
3.4-تعدد التسمية عند القدامى.....206
4.4- المصطلح البلاغي وتعدد التسمية عند المحدثين.....208
أ/ في قراءة محمد مشبال.....209
6 – المصطلح البلاغي وإشكالية الترجمة 210
خلاصة.....212
المبحث الثاني: المصطلح البلاغي في ضوء الدراسات الأسلوبية تلقيا وتوظيفا 213
1– البلاغة والأسلوبية. 213
1.1-المصطلح البلاغي بين التلقي ومرعاة الأسلوب.....214
2–المصطلح البلاغي والتحليل الأسلوبي المعاصر :..... 218
2.2- نظرية النظم وعلاقتها بالأسلوبية: 220
3– المصطلحات البلاغية وعلاقتها بالأسلوبية 222
2.2- التحليل الأسلوبي للصورة الفنية : 224
3.2- المصطلح البلاغي وأثره في فخامة الأسلوب : 225
المبحث الثالث: المصطلح البلاغي والبعد التداولي المعاصر 229
تمهيد:..... 229
1-التداولية لغة :.....229
1.2- التداولية اصطلاحاً:.....230
3 – جذور التداولية في التراث العربي 231
1.3 - المصطلح البلاغي في ضوء المقاربة التداولية للخطاب القرآني عند المفسرين.....234
3.3- المصطلح البلاغي في الخطاب القرآني قراءة تداولية في تفسير الطاهر بن عاشور 237
أ/مصطلح الطباق.....239
خلاصة.....242
الفصل الرابع:المصطلح البلاغي بين فلسفة الوضع والتوظيفالمعاصر رؤية مغاربية.....244
المبحث الأول : إشكالية الدراسات البلاغية المغاربية في مجال المصطلح تلقيا وتوظيفا 245
تمهيد: 245

1 -المصطلح البلاغي بين إشكاليتي التلقي والتوظيف..... 245
1.1- مفهوم مصطلح التلقي.....245
2_المصطلح البلاغي و إشكاليتي التلقي والتوظيف: 246
1.2-المصطلح البلاغي في بلاغة النادرة لمحمد مشبال:دراسة لإشكاليتي التلقي و التوظيف.....248
تمهيد..... 248
2.2 -مميزات الشعر و النثر عند محمد مشبال.....248
3.2- المصطلح البلاغي ومعايير قراءة التراث عند محمد مشبال 248
3-الأجناس الأدبية وإشكالية تلقي المصطلح البلاغي و توظيفه: 250
1.3-المصطلح البلاغي بين الشعر و النثر عند محمد مشبال: 252
4-المفهوم النسقي العام و إشكالاته في المصطلح البلاغي تلقيا و توظيفا :.....255
تعليق 257
4- المصطلح البلاغي وثنائية الدال والمدلول 259
المبحث الثاني :الإستمداد الحجاجي للمصطلح البلاغي - رؤية مغاربية – 261
1-المصطلح البلاغي بين وعي التلقي والوظيفة الحجاجية عند العمري 263
تمهيد: 263
1.1-لبلاغة والحجاج.....264
أ/ توجيه محمد العمري.....267
2-الاستمداد الحجاجي للمصطلح البلاغي من التراث - قراءات محمد العمري –..... 268
المبحث الثالث: المصطلح البلاغي رؤية معاصرة:توجيهات حمادي صمود ومحمد العمري 273
1- الحجاج وعلاقته بمصطلحات بلاغية 276
1.1- تلقي مصطلح بلاغة الصمت من التراث: 279
2- إشكالية تلقي المصطلح البلاغي وتحقيق الوظيفة الحجاجية:..... 281
5-المعاجم اللغوية وإشكالية رصد المصطلح البلاغي 282
خلاصة.....285
خـــاتـــمـــة 286
الملاحق..... .....**293**
فهرس الموضوعات.....**327**.

ملخص البحث

الملخص:

تسعى هذه الرسالة إلى محاولة الكشف عن قضايا المصطلح البلاغي ، خاصة ما تعلق بإشكاليتي التلقي والتوظيف في الدرسات البلاغية المغاربية المعاصرة ، إذ وجدنا جهودا قيمة في هذا المجال مثلها نخبة من الدراسين المغاربيين أمثال محمد العمري وحمادي صمود ومحمد مشبال وعبدالله صولة وعبد السلام المسدي ... إذ كانت جهودهم متجهة في عمومها لتجاوز إشكالية تلقي المصطلح البلاغي بمفهومه القديم في التراث العربي والغربي ، لأن هذا الأمر ولّد عائقا في توظيفه توظيفا يتناسب والعلوم المعاصرة كالأسلوبية والتداولية ، فكان بحثنا في هذه الأطروحة هو تحديد بعض المفاهيم للمصطلحات البلاغية كما يرى ابن قتيبة مثلا انطواء مصطلحات عدة من استعارة وتمثيل وكناية ... تحت مفهوم مصطلح واحد هو المجاز. هذا الأمر وغيره في تلقي المصطلح البلاغي وجه الباحثين البلاغيين المغاربيين إلى تجاوز هذه النظرة الضيقة للمصطلح وتوظيفه توظيفا يحقق له البعد التخييلي والحجاجي ،وتجاوز المفاهيم اللغوية المحضة التي عاشتها البلاغة ردحا من الزمن.

الكلمات المفتاحية:

المصطلح– البلاغة – التلقي – التوظيف – الحجاج

Summary:

This thesis seeks to try to uncover issues of the rhetorical term, especially what is related to the problems of reception and employment in contemporary Maghreb rhetorical studies, as we found valuable efforts in this field, like a group of Maghreb scholars such as Muhammad al-Omari, Hammadi Samoud, Muhammad Mishbal, Abdullah Soula, and Abd al-Salam al-Masdi ... As their efforts were directed in general to overcoming the problem of receiving the rhetorical term in its old sense in the Arab and Western heritage, because this matter created a hindrance in employing it in accordance with contemporary sciences such as stylistic and pragmatic, so our research in this thesis was to define some concepts for rhetorical terms as Ibn Qutayba, for example, sees the convergence of terms Several metaphors, representations and metaphors ... Under the concept of one term, metaphor. This matter and others in receiving the rhetorical term directed Maghreb rhetorical researchers to bypass this narrow view of the term and to employ it in a fictional and argumentative dimension, and to transcend the purely linguistic concepts that the rhetoric lived through for a long time.

key words: The term - rhetoric - receiving - employment – pilgrims